



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION

MA ARABIC
(2019 Admission Onwards)

MEDIEVAL ARABIC
LITERATURE

Self-Learning Material

II SEMESTER

CORE COURSE - ARA2C07

190107



UNIVERSITY OF CALICUT
SCHOOL OF DISTANCE EDUCATION
STUDY MATERIAL SECOND SEMESTER

MA ARABIC

(2019 Admission Onwards)

MEDIEVAL ARABIC
LITERATURE

CORE COURSE - **ARA2C07**

PREPARED BY :

Dr.SAINUDEEN P.T,

ASSISTANT PROFESSOR,
DEPARTMENT OF ARABIC,
THUNCHAN MEMORIAL GOVT. COLLEGE,
TIRUR, MALAPPURAM.

SCRUTINIZED BY:

Dr.ABDUL LATHIEF. P.P

ASSISTANT PROFESSOR,
DEPT. OF ARABIC, THUNCHAN MEMORIAL GOVT. COLLEGE,
TIRUR, MALAPPURAM.

Contents

Unit –I :Features of Abbasid Prose

- الأدب العربي في العصر العباسي
- أساليب النثر
- المقامات وأصحابها
- الرسائل وأصحابها
- التوقيعات
- الفلسفة والفلاسفة في العصر العباسي
- القصة في العصر العباسي
- الدراسات في القرآن وعلم التفسير
- أساليب الشعر العباسي
- الشعراء البارزون في العصر العباسي

Unit- II: Major reference works

- المؤلفات في النثر العباسي
- أهم الكتب وأصحابها
- العلوم في العصر العباسي

Unit –III: Prose for detailed study

- فضل علم التاريخ من مقدمة ابن خلدون
- المقامة الجلوانية للحريزي
- المقامة البغدادية للهمذاني
- أجناس توقيعات الوزراء والسادة من كتاب خاص الخاص للثعالبي
- قصة أهل البصرة من المسجدين من كتاب البخلاء للجاحظ

Unit – IV: Poetry for detailed study

- ألا في سبيل المجد لأبي العلاء المعري
- أضحى التنائي لابن زيدون
- الرأي قبل شجاعة لأبي الطيب المتنبي
- دع اللوم لابن الرومي
- أحسن بأيام العقيق لأبي تمام

UNIT – I

الأدب العربي في العصر العباسي

العهد العباسي

قامت الدولة العباسية على أكتاف الفرس والشعبوية. أولاً وضع أساسها أبو العباس السفاح. وكانت مدينة الأنبار عاصمة الدولة. ثم جاء المنصور وبنى مدينة بغداد ونقل العاصمة إليها. وبهذا توجهت الدولة من البيئة العربية إلى البيئة الفارسية وإلى التجديد. وكانت هناك بيئة جديدة. البيئة الاقتصادية كانت واسعة جداً، ولذلك فسح مجال للترف. وفي الاجتماعية نشأ عن الترف انحطاط في الأخلاق. وامتازت البيئة الدينية بالحرية، وفي البيئة الثقافية شاعت العربية الخالصة والثقافة اليونانية والثقافة الشرقية كلها بفضل المدارس والترجمات. وكانت لهذه الثقافات أثر بالغ في الثقافة الجديدة. أثرت اليونانية في الفلسفة والتحليل والعلم، والهندية في التأمل والزهد والحكمة، والفارسية في المادة والزخرف والتفخيم والموسيقى. أفادت اللغة العربية ألفاظ وأساليب وتنوعت مجارى الفكر، وانتظم علم الكلام بفضل الفلسفة.

بنيت القصور للخلفاء، وكان قصر الخليفة يسمى باب الذهب، أو القبة الخضراء وقد بنى منصور قصور أخرى منها القصر جامع المسجد. وقصر الخلد في ضفة دجلة، وقصر الرصانة في جانب الشرقي الشمالي مسكن لابنه المهدي. وبنى البرامكة قصورا منها القصر الجعفري في الشرق. وأصبح بغداد قلب العالم الشرقي ومركزاً تجارياً كبيراً. كانت الخلافة زعامة دينية ودنيوية، ثم أخذت مع الأيام تتحول إلى زعامة دينية مستضعفة.

الأدب العباسي

والأدب الذي ينسب إلى العباسيين هو أدب العباسيين في بغداد، والبويهيين في فارس، والحمدانيين في الشام، والفاطميين في مصر والمغرب. ومن المراكز الأدبية في العصر العباسي بغداد عاصمة الخلافة، والبصرة والكوفة في العراق. وكان للمربد أثر عظيم في عقلية العرب. واشتهرت المدينة المنورة بالحجاز في علوم الدين، وفي الفسطاط بمصر ازدهرت علوم الدين واللسان. كانت بخارى عاصمة الدولة السامانية في الخراسان، وجرجان عاصمة الزيارية بطبرستان، وغزنة في أفغانستان، والقاهرة عاصمة الدولة الفاطمية بمصر، وحلب مقر الدولة الحمدانية كما من عواصم العلوم. وكان معاهد العلم في

ذلك العصر الكتابيب والمساجد ومجالس المناظرة، والمكتبات خاصة خزانة الحكمة أو بيت الحكمة ببغداد التي أسسها الرشيد وأمامها المأمون.

النثر العربي في العصر العباسي

كان النثر العباسي امتدادا للنثر الأموي من فنون وأساليب. وراح ينمو في ظل الحضارة الجديدة، فظهرت في النثر آثار المدينة العباسية والتفكير العباسي أكثر مما ظهرت في الشعر.

أغراض النثر وفنونه :

لقد ضعفت الخطابة في هذا العهد شيئا فشيئا، وذلك لضعف الدواعي إليها ولضعف القدرة عليها، ففي صدر هذا العهد ظلت أسباب الخطابة قوية لما جرى من انقلابات خطيرة من دعوات مذهبية وثورات اجتماعية. ولذلك كان للخطابة شأن يذكر فتعددت موضوعاتها ومناحيها، ثم أخذ يتقلص وفقا لاستحكام الأمر في أيدي بني العباس. وأصبح الفضل للسيف والسلطان لا للسان. خبت الأحزاب وخمدت الفصاحة العربية فعمد الناس إلى الثقافة والكتابة. وحلت مكانة الخطابة الرسائل الإدارية والمنشورات الدولية والمناظرات العلمية وبقيت الخطابة في المساجد.

أما الكتابة فتجاوزت حدود الدواوين إلى وصف الحضارة الجديدة من لهو وترف وقصور ورياض وإلى وصف النفس البشرية من نزعات وأهواء، ونقد الكتب الأدبية وشرحها وبسط المسائل العلمية والدينية، من روايات القصص والأخبار الخيالية والتاريخية والمفاحرات وما إلى ذلك. وتعددت فنون الكتابة في العهد العباسي فكان منها الرسائل الإخوانية في الشكر والعتاب والتعازي والتهاني والاستعطاف وغير ذلك. ومنها التصانيف العلمية والأدبية والمقالات والمناظرات والعهود والروايات القصصية والمقامات.

أساليب النثر:

ظهر أثر الفلسفة والعلوم في النثر العباسي فاتسع مجال التفكير، وعني الكتاب بربط الأسباب بالمسببات. وامتدت العقول بتأثير النقل والترجمة إلى وضع الكتب واتباع الأساليب التصنيفية فيها. وظهر الأثر الفارسي والآداب الفارسية والترفة العباسي في الكتابة، فمالت إلى السهولة في العبارة والتأنق في اللفظ والجودة في الوصف وإطالة المقدمات وتنوع البدء والختام، كما مالت إلى الغلو والإكثار من الألقاب والدعاء. وكان أكثر الميول إلى التفصيل والإطناب. ومن الأثر العربي ظهور العبارة جزلة متينة لا تخلو من الإيجاز أحيانا وهذا واضح في التوقيعات.

هذه هي أهم مميزات النثر العباسي ومن هذه المميزات ينحدر النثر تدريجيا إلى سبيل التنميق والزخرفة حتى أصبح مجرد صنعة فيما بعد.

هناك ثلاثة أطوار للنثر العربي. الطور الأول أدب الثورة التجديدية، ففي هذا الطور يوجد امتداد أسلوب عبد الحميد مع ابن المقفع وتلاميذه أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح، وسهل بن هارون، والحسن بن سهل وعمرو بن مسعدة. الطور الثاني هو أدب الحركة المعاكسة. فظهر فيه الجاحظ بطريقة فيما إطناب ودقة الوصف وكثرة الاستطراد وشدة الاستقصاء للأمور. والطور الثالث هو أدب الاستقرار والتدرج نحو الزخرف. فقد ظهرت في النثر طريقة ابن العميد وطريقة القاضي الفاضل. كانا يلزمان السجع والإكثار من التحسينات البديعية والاقتباس.

المقامات

المقامات شبه قصة قصيرة تدور حول بطل وهي بروي أخباره رابية وهي أيضا، وبطلها رجل أحكم التحيل، وقصر همه على تحصيل الرزق، فكانت أخباره كلها تدور حول الكدية والخداع والاحتيال والتمويه لا تربطها وحدة موضوعية ولا تحيها شخصية حقيقية. فالمقامات ميدان لعرض النكتة وإظهار البراعة في التخلص من مأزق الحياة، وبنوع خاص لإظهار المقدرة اللغوية والأدبية. ومع ذلك كانت محاولة جريئة في إرساء فن قصصي جديد في الأدب العربي. وقد اختلفت الآراء في تاريخ بداية المقامات كما اختلفت في من أنشأ الرواية أولا. يقول الحريري والقلقشندي وغيرهما إن البديع الهمداني هو واضع هذا الفن. وفي رأي جرجي زيدان كان البديع يستعمل نسق رسائل اللغوي أحمد بن فارس في مقاماته. وفي رأي ابن قتيبة وابن عبد ربه يرجع تاريخ المقامات إلى أبعد عهد من عهد الهمداني. والأرجح من هذه الآراء إن فن المقامات نشأ تدريجيا من رواية القصص والأخبار. وأن للبديع الهمداني فضل في تنظيمها ووضعها في شكلها الفني الخاص. لقد استفاد البديع من ابن دريد ومن أساليب الترسل والكتابة فاستخلص منها أسلوب المقامات واستفاد من الأحوال الاجتماعية في عصره.

مُقومات المقامة

١) المجلس: يجب أن تدور حوادث المقامة في مجلس واحد لا تنتقل منها إلا شاذًا ونادرا. فهذا المجلس يكون غالبا وحدة مكان ضيقة.

٢) الراوية: ولكل مجموع من المقامات راوية واحد ينقلها عن المجلس الذي تحدث فيه.

٣) المُكدي: هو البطل المستعطي المحتال في المقامة. لكل مجموع من المقامات مكذوب أو بطل. وهو شخص خيالي في الأغلب. أبرز مميزاته أنه واسع الحيلة ذرب اللسان ذو مقدرة فائقة في العلم والأدب. وهو شاعر فقير يتظاهر بالتقوى ويضمهر المجون ويتظاهر بالجد ويضمهر الهزل، يبدو غالبا في ثوب التاعس البائس إلا أنه في الحقيقة محتال وجالب منفعة. ولا يكشف المكدي أمره إلا بعد أن نال من أهل المجلس مالا أو ثيابا.

٤) المُلحَة (النكتة) أو العقدة: وهي الفكرة التي تدور حولها القصة المتضمنة في المقامة. وتكون هذه الفكرة طرفية أو جريئة. ليس ثمة صلة بين المقامة والمقامة إلا أن المؤلف واحد والراوي واحد والمكدي واحد.

٥) عنوان المقامة : إن عنوان المقامة مأخوذ من اسم البلد الذي انعقد مجلس المقامة فيه نحو المقامة الدمشقية أو التبريزية أو الرملية أو المغربية أو السمرقندية أو البلخية أو الكوفية أو البغدادية أو العراقية وما إلى ذلك. أو يكون نسبة إلى الملحَة أو إلى موضوعه مثل المقامة الدينارية أو الحرزية أو الشعرية أو الإبليسية أو الخمرية أو الأسدية أو المضيرية (نسبة إلى أكلة المضيرة) أو القرظية (نسبة إلى القرظ والشعر) ونحو ذلك.

٦) الصناعة في المقامات : الغرض المهم في المقامة ليس سرد القصة أو حكاية ما. بل تصنع الألفاظ وتأنقها. وليس الشكل القصصي هدفها. بل نسج الأساليب المسجوعة وإغراقها وتطبيق المحسنات البديعية من جناس وطباق وغيرها. فالمقامة أسلوبها نثري ولكن يتخلله شعر على لسان البطل أو المكدي .

٧) الفكاهة : من أهم ميزة المقامة الفكاهة والمرح والإضحاك والإطراف والألغاز وسرد أخبار المتسولين والطفيليين.

ومن الناحية الفنية القصصية ليس للمقامات قيمة حقيقية في فنيته وإن وضعت في قالب القصصي، لأنها خلت من أهم مميزات القصة من الشخصيات الروائية الممتازة، وتحليل نفسياتها ودرس أخلاقها. فهي بجمالها حيل تفسر حياة متكذ ألفت على صورة واحدة. وفيها انصراف عن الموضوع إلى الأسلوب وعرض للموعظة أو النكتة والألغاز اللغوية والنحوية في لغة جزلة كثيرة الغريب وفي أسلوب مسجع. فالمقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر لكونها مخلوطة بين النثر والنظم. وكانت المقامات صورة جزئية لحياة العصر الذي فشت فيه عادة التلصص والكدية. وقد جاء مرار على لسان أبي الفتح الإسكندري ذم العصر الذي أصبح فيه الحمق خير من التعقل.

فتح بديع الزمان الهمداني باب فن المقامات، فولج به بعده كثيرون بل قلما مر به أديب من الأدباء المعروفين منذ عهد الحريري إلى أواخر القرن التاسع عشر إلا طرقة. فهذا يشير إلى رواج المقامة عند الأدباء وقلة التجربة القصصية عند العرب. وأشهر من عرف بهذا الفن وبرع فيه ثلاثة بديع الزمان الهمداني، وأبو محمد القاسم الحريري في العهد العباسي والشيخ ناصيف اليازجي في عهد النهضة.

بديع الزمان الهمداني (٩٢٩ - ١٠٠٧ م / ٣٥٨ - ٣٩٨ هـ)

حياته : أبو الفضل أحمد بن حسين المعروف ببديع الزمان ولد بهمدان ونشأ بها. وأخذ اللغة عن ابن فارس اللغوي الشهير. درس اللغة العربية والفارسية. ثم غادر بلاده واتصل بالصاحب بن عباد

فازداد من معارفه. ثم ضرب في الأرض متنقلا من خراسان إلى جرجان إلى سجستان إلى أفغانستان وإلى نيسابور فتجلت عبقريته وذاعت شهرته وأملى بها أربع مائة مقامة. ولقي بها أبابكر الخوارزمي فناظره وتوصل بشتى أساليب الجميلة والدهاء وبشبابه ولسانه فتغلب على الخوارزمي فرفع قدره عند الملوك والأمراء. وتنقل في حواضر فارس منتجعا مادحا الأمراء. أخيرا أقام بهرات وعاش بها رضى البال وبها تزوج ومات سنة ١٠٠٧ م ولم يبلغ الأربعين من عمره. كان الهمداني مقبول الصورة ذكي القلب قوي الحافظة. ونثره يستهوي القلوب وكله من قبيل الشعر المنثور، وللصناعة تأثير فيه ولكن لم يفسده تكلفه، وفيه متانة اللفظ ورشاقة المعنى ودقة التخيل. وكان شعره رقيقا لم يبلغ مبلغ نثره.

مقاماته : لقد وصل إلينا من مقاماته إحدى وخمسون مقامة طبعت في البلاد الكثيرة وشرحت على أيدي الأدباء الكثرين، تتناول الموضوعات الأدبية واللغوية والكلامية والأخبار. راوية مقامات الهمداني هو عيسى بن هشام، وهو رجل أسفار وتجارة واحتيال. وأما بطله فهو أبو الفتح الإسكندري، وهو رجل عقل وثقافة واسعة يقول الشعر ويعرف اللغة والنقد والأدب، وهو عالم يطمئن إلى علمه سديد الرأي لا يتعصب لأي نوع، إنه خبر الحياة حلوها ومرها. وهو رجل الكدية والاحتيال. لقد حمله على ذلك السبيل الذي لا يليق به، دهر قسا عليه وعلى سائر أهل العلم والأدب. فكثرت الشكوى من الزمن، فأصبح صلوكا ومتسولا، وانتجع البلاد في طلب المال فزار جميع مدن البلاد العربية متنقلا، وتقلب مع تقلبات الزمان فأصبح خطيبا وزعيما لجماعة بني الساسان، وإماما يصلى في الناس وناسكا في المقامة الخمرية وفي المقامة القزوينية متنكرا في زي المجاهدين، وفي المقامة الفردية قرادا يرقص قردهن وفي الموصلية دجالا يدعي إحياء الموتى وكشف الضر والبلاء كأنه استفاد النظرية "الغاية تبرر الوسيلة" قبل وضعها.

أما قيمة المقامة الهمدانية فنرى أنه لم يرم بديع الزمان فيها إلى غاية فنية خاصة، ولكنه رمى فيها قبل كل شيء إلى غاية تعليمية. ولهذا قال ابن الطقطقي: إن المقامات لا يستفاد منها سوى التمرن على الإنشاء والوقوف على مذاهب النظم والنثر. لعله السبب في إكثار الهمداني من أساليب البيان والبديع ومن الألفاظ الغربية، فحمل كل مقامة من مقاماته ما استطاع من الفوائد اللغوية والبيانية والعروضية، وحشد في كلامه الزخرف، ومع ذلك نلاحظ في بعض مقاماته الطويلة مثل المقامة المضربية والمقامة الأسدية مجالا واسعا لبعض القصص الطريف النابض بالحياة مع متعة وروعة، وأسلوبيا قصصيا شائقا مع ظهور التكلف والزخرفة. ويظهر في مقامات الهمداني طرفه وخفة روحه.

أبو محمد القاسم الحريري (١٠٥٤ - ١١٢٢ م / ٤٤٦ - ٥١٦ هـ)

أبو محمد القاسم بن علي الحريري ولد في مشان قرب البصرة. ونشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها، وكان في أول أمره يبيع الحرير أو يصنعه فلقب بالحريري. وصرفه عن ذلك شغفه بالأدب وولعه بالعلم. فجدد في الدرس والتحصيل حتى سمت منزلته وشهرته فقربه الأمراء والرؤساء. وقف الحريري

على أساليب العرب وحفظ كثيرا من أخبارهم وأشعارهم وعاش على هذا النحو إلى أن مات سنة ١١٢٢م. كان الحريري دميما بخيلا قذرا الثوب، لكن له سعة الصدر والاعتراف بالحق لأهله. وهو رقيق الملحة وروعة الأدب، وكان كاتباً مكثراً وشاعراً مقلاً، وهو من ساقاة أتباع ابن العميد وله مؤلفات عديدة منها: كتاب "درة الغواص في أوهام الخواص"، وديوان رسائل. وإلى ذلك كان صاحب المقامات. وله خمسون مقامة على منوال بديع الزمان الهمذاني، وله كتاب ملحة الإعراب في النحو.

مقاماته : وضع خمسين مقامة لشرف الدين أبي نصر أنوشروان وهو وزير المسترشد بالله. وقد شرحت شروحا كثيرة منها شرح المطرزي وشرح العكبري وشرح الشريشي. وترجمت إلى لغات عديدة. بدأ الحريري كتابة مقامة بالمقامة الثامنة والأربعين "المقامة الحرامية". بدءا من سنة ١١٠١م وانتهى من كتابة المقامات سنة ١١١٠. تدور مقامات الحريري حول الاحتيال بطرق شتى، تارة في شكل ديني كما في المقامة الصناعية، وتارة في شكل أدبي وفكاهي، وتارة في شكل مجون. رواية مقامات الحريري هو الحارث بن ممام، وهو رجل رحالة أبي النفس بعيد عن المسالك اللصومية. وبطلها أبو زيد السروجي وهو من أهل الكدية وكانت وسيلته في ذلك فصاحة لسانه وسحر بيانه.

قيمتها : وهي تشبه بمقامات الهمذاني في نزعتها التعليمية. ومقاماته أكثر إيغالا في التسجيع والتعقيد وتصعيب الأداء من مقامات الهمذاني. حفلت بالكنايات أشبه بالألغاز. كما حفلت بالأحاجي النحوية والمسائل الفقهية والفتاوى اللغوية. وحفلت بالغريب من الألفاظ. وقد استحدث الحريري فنونا من أساليب العبث اللغوي فاستخدم مالا يستحيل بالانعكاس. فاستخدم الحروف كلها معجمة أو كلها عاطفة في الجمل. أو كلمات أولها معجم ثانيا عاطل ثم معجم ثم عاطل على هذا النحو، وبذلك إنه خلب أساليب معاصرية ومتأخرية. وكانت العبارة فيها قصيرة تقطع تقطعا موسيقيا وبلغته مهما جرى فيها من ضروب الصنعة والعتن.

الرسائل

ازدهرت كتابة الرسائل وتطورت وبلغت أوج كمالها في العصر العباسي مما كانت في العصور السابقة. وتنوعت الرسالة إلى الإجتماعية والأدبية والإخوانية والديوانية (السياسية). فأشهرها الديوانية والإخوانية. ومن المتراسلين المشهورين عبد الله بن المقفع والجاحظ وابن العميد وأحمد بن يوسف وسهل بن هارون وابن المعتز. فالرسائل الديوانية أو السلطانية كانت تصدر عن الديوان العالي لتأييد مذهب أو تمكين سياسته أو تفضيل فريق على فريق. فالرسائل الإخوانية يتبادلها الأصدقاء في الشوق والعتاب والتهنئة والتعزية والاعتذار والاستعطاف وغير ذلك. احتكك العرب بالفرس يُعد دافعا قويا لازدهار الرسالة الأدبية.

الرسائل الديوانية : هي الرسالة الخاصة بشؤون الدولة في الداخل والخارج ومصدرها وموردها الديوان. سميت أيضا بالرسائل الرسمية . كانت تتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية

الولاية . وأخذ البيعة للخلفاء وولاية العهود ومن الفتوح والجهاد ومواسم الحج والأعياد والأمان وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجذب وعمود الخلفاء لأبناءهم ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكام في تديير السياسة والحكم وتناولت في بعض الأحوال أغراض التهينات والتعزيبات والشكر .

الرسائل الإخوانية : هي الرسائل التي تكون بين الأفراد وربما تشمل الرسائل الأدبية والاجتماعية والشخصية ، ومن أغراضها التهينة والتعزية والشكوى والعتاب والاستعطاف وغيرها من العواطف الفردية . فأغراضها جمة وأساليبها متنوعة ، ومنها جادة فكاهية تصدر عادة بالتحميدات ، وتنسب إلى هارون الرشيد أنه أول من أمر أن تبتدئ مكاتباته بعد البسملة بالصلوة على النبي (صلى الله عليه وسلم).

التوقيعات

هي جمل قصيرة مقتبسة أو منشأة التي كان الخلفاء خاصة يوقعون بها في آخر رقاع الشكوى أو آخر أوراق الشكايات التي تعرض عليهم أو ترفع إليهم . ربما تكون عبارة التوقيع اقتراحا أو حُكما من قضاء أو مَبلغا من المال للصراف والإنفاق . وهذا النوع من النثر كان معروفا منذ الجاهلية واتسع في العباسية وصار أدبا نثريا . فكان الكاتب يجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه ، فإذا عرضت قضية على السلطان أمر الكاتب أن يوقع بما يجب إجراؤه ، وقد يكون الكاتب أحيانا السلطان نفسه .

والعادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك ، أو من له أمر ونهي في أسفل الكتاب المرفوع إليه ، أو على ظهره ، أو في عرضه ، بإيجاب ما يسأل أو منعه ، كقول الملك : ينفذ هذا إن شاء الله ، أو هذا صحيح . وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب ينفذ هذا إن شاء الله ، أو لينظر في خبر هذا ، أو نحو ذلك .

أنواع التوقيعات الأدبية

قد يكون التوقيع أية قرآنية تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب ، أو اشتملت عليه القضية . ومن ذلك ما كتب به عامل إرمينية إلى المهدي الخليفة العباسي يشكو إليه سوء طاعة الرعية ، فوقع المهدي في خطابه قوله تعالى (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد يكون التوقيع بيت شعر . من ذلك ما كتب به قتيبة بن مسلم الباهلي إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي يتهدهد بالخلع ، فوقع سليمان في كتابه :

زعم الفرزدق أن سيقتل مريعا أبشر بطول سلامة يا مريع

وقد يكون مثلا سائرا : ومما وقع به علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى طلحة بن عبيد الله : (في بيته يوتى الحكم)

وقد يكون التوقيع حكمة . من ذلك ما وقع به السفاح الخليفة العباسي الأول في رقعة قوم شكوا احتباس أرزاقهم : من صبر في الشدة شارك في النعمة . ومن ملازمات التوقيع : الإيجاز والبلاغة والقوة .

ابن العميد (٢٩٧ - ٣٦٠ هـ / ٨٩٢ - ٩٧٠ م)

أبو الفضل محمد بن الحسين المعروف بابن العميد فارسي الأصل، كان أبوه مترسلا يتولى الكتابة في المملكة السامانية. فنشأ ابنه على الأدب ودربه الكتابة. فبرع ابن العميد في الإنشاء والترسل. وتوسع في الفلسفة والنجوم. إنه سمي بال"أستاذ"، ولقب بال"لجاحظ الثاني". وبعد استكمال عدته وقوته غادر التجاري إلى بلاد الجبل من ملك آل بويه، فقلد الأعمال في دولتهم حتى رقي إلى منصب الوزير. فوزر لركن الدولة بن بويه، وأقام في وزارته إلى أن مات سنة ٣٦٠ هـ. جري على منبج البرامكة في الجود فقصدته الشعراء والأدباء من الأنحاء المختلفة، وقد مدحه المتنبي كثيرا، ولكن كان ابن العميد قليل الحظ من العافية ألحت عليه الأوصاب وتناوبت عليه الأمراض حتى موته.

كان ابن العميد واسع الحفظ ولما بجميع ضروب الثقافة. له مجموعة رسائل في النصح والعتاب وغيرها. وله بعض الشعر الرقيق. وكان له طريقة خاصة في الكتابة هي مزج من زخرف أنيق وموسيقى رائعة. وأما عناصر طريقته: هي التزام السجع القصير الفقرات، والتصوير والتلوين والتنسيق بدمج وشي السجع في وشي البديع، وضروب أساليب البيان. وعدم التقيد بالسجع والتنميق تقيدا مطلقا، الميل إلى الترادف والإطناب. البراعة في حسن استعمال حروف الجر وسائر الروابط الكلامية. الإغراب في الإشارات التاريخية واللغوية والعلمية. هكذا كان نثر ابن العميد صلة وصل بين عهد السجع المتألف والعهد الذي سبقه. ومن تلاميذه: أبو بكر الخوارزمي، أبو إسحاق الصابي، الصاحب بن عباد، وبديع الزمان الهمداني.

عبد الله ابن المقفع (٧٢٤- ٧٥٩م/١٠٦- ١٤٢هـ)

حياته: أبو محمد عبد الله زويه بن داوويه المعروف بابن المقفع ولد نحو سنة ١٠٦ هـ في قرية جور بفارس. فأخذ الثقافة الفارسية ثم رحل إلى البصرة فحصل من ملكة العربية. كان ابن المقفع ناضج العقل غزير المعارف حسن الأدب في حداثة شبابه. أصبح كاتباً في دولة بني أمية فكتب لعمرو بن هبيرة ثم لي زيد بن عمرو، وبعد الانقلاب العباسي اتصل بهم وأسلم على يد عيسى بن علي العباسي، ولزم في تأديب بعض أبناءه. واستمر في عمله الكتابي حتى أن قتل على يد سفيان بن معاوية والي بصرة من قبل المنصور. وقد اختلف المؤرخون في سبب قتله، والأغلب أنه قتل لتشدده في كتابه لصيغة الأمان التي وضعها ابن المقفع ليوقع عليها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي أماناً لعبد الله بن علي عم المنصور. وكان سفيان أحد ولاة المنصور يرصد فرصة على ابن المقفع، فاستغل الفرصة وطلبه عند قدومه وأمر بتنوير فسجرت ثم قطعه عضوا فعضوا ورمى به في التنور.

أخلاقه ومذاهبه: إنه شهد اضطهاد العرب للموالي فأفعم قلبه كرها للعرب، ولئن مال إلى العباسيين لم يكن قلبه معهم. وكان علوي السياسة فارسي النزعة متظاهراً بصداقته لبني العباس. وكان على مذهب المجوس ولم يسلم إلا للتقرب إلى العباسيين، وقد اتهم بالزندقة. وكان إلى ذلك من أقوى الشخصيات في عالم الأدب العربي. وكان قويا في خلقه وعقله وسعة علمه ولسانه، وكان نبيلاً كريماً

جمع إلى الثقافة الفارسية الثقافة العربية والثقافة الهندية واليونانية عن طريق الفارسية. وكان ينزع نزعة قوية لقومه الفارسي يريد إحياء أمته بنشر آدابها وسياستها وتاريخها. آثاره: أبقى كثيرا من الآثار، وكان أكثر ما كتبه ترجمة عن الفهلوية حتى قيل "علمه أكثر من عقله". وكان له غايتان في كتاباته، الأولى: إحياء تاريخ الفرس وسياستهم وتاريخهم. والثانية إصلاح المجتمع العباسي وسياسته بنظم الفرس. وكانت كتاباته على الإجمال ثلاثة أنواع: التاريخ والفلسفة والأدب. وفي التاريخ نقل ابن المقفع عن الفارسية كتاب "خداينامه"، وكتاب "آيين نامه" وكتاب "التاج"، وكتاب "اليتيمة والجمهرة الثمينة"، كلها في تاريخ العجم وسير ملوكهم. وفي الفلسفة أنه نقل عن الفارسية كتب لأرسطو وهي كتاب "قاطوغورياس"، وكتاب "باري أرمينياس" وكتاب "أنالوطيقيا" وكتاب "إيساغوجي". وفي الأدب والاجتماع والإخوانيات له رسائل وكتابات الأدب الصغير، والأدب الكبير، وكليمة ودمنة. وكانت رسائله من سياسة إدارية وإخوانية ومن أشهرها "رسالة الصحابة". وفيها نظام الحكم ووجوه إصلاحه وأمور الجند وقوضى القضاء وأخبار أهل العراق والشام ونظام الخراج وصورة لجزيرة العرب.

ابن المقفع الكاتب: كان ابن المقفع من زعماء الحركة الإصلاحية الفارسية. إنه علم الكثير من أمراض المجتمع في عصره وفي الدولة العباسية الناشئة، فكتب في إصلاح المجتمع رسالات وكتب. فكانت هذه الأمراض من ناحية الراعي الظلم والاستبداد. وأما مهد أمراض الرعية الجهل. فكانت نزعته الإصلاحية هي نزعة فارسية فجعل تاريخهم وآدابهم أساسا لإصلاح المجتمع العباسي. كان ابن المقفع أحد زعماء المدرسة الكتابية الأولى في العهد العباسي كما أنه أحد أبوي النثر الفني العربي الذي خاض في الترجمة. وكان فنه فارسي استقى أسلوبه من كتاب العروبة ومزج فيه روح الفارسية واليونانية والهندية. وكان مفكرا يخضع عنده الفن للفكر فلا يفكر الجمال المادي للأساليب بل ينظر إلى الجمال المعنوي ومن ثم لا يلهو بالصناعة اللفظية. وهذا الاحتفاء البالغ بالمعنى دفعه إلى الأسلوب المنطقي. إنه لم يمل إلى الإطالة. وكان ميله إلى الإيجاز الخاص الذي يجعل الألفاظ على مقدار المعنى. ولتأدية المعنى واضحا إنه اختار اللفظ اختيارا دقيقا ونراه أنه يتعد عن مبالغة الفن.

أثر ابن المقفع: لقد أثر ابن المقفع ومؤلفاته في عقل الشرق ونظم آدابه. وترى هذا الأثر في الأدب والفلسفة وفي الاجتماع أيضا. خلاصة القول إن ابن المقفع فضل جم على الأدب العربي والعقل العربي. وهو خير مثال للثقافة الفارسية والفكر الصافي العميق والأسلوب العالي الرصين.

الجاحظ (١٥١ - ٢٥٥ هـ)

حياته: ولد عمرو بن بحر الجاحظ في البصرة نحو سنة ١٥١ هـ، لقب بالجاحظ لبروز عينيه. وكان يتيما، طلب العلم وأكب في المطالعة وتلقى العلوم من أكابر علماء عصره في البصرة. ثم انتقل إلى بغداد واتصل بكبار رجال العلم والدين. وكان مولعا بالقراءة ومكثرا من مطالعة المؤلفات الفكرية الفلسفية. عندما

بدأ الكتابة لم ينسب إلى نفسه، ولما اشتهر اسمه طلبه المأمون للكتابة. ولكن لم يلبث في القصر الإقليلا، ثم اتصل بالقضاة والوزراء. ولزم الكتابة في فنون مختلفة وفي أواخر أيامه أصيب بفالج نصفي. فعاد إلى البصرة حيث لزم البيت. ثم أصيب على داء الفالج بداء النقرش، فتوفي سنة ٢٥٥ هـ. وقد انهالت عليه الكتب يوما وهو جالس، بينما يقرأ ففضت عليه.

صفاته وثقافته : كان الجاحظ قبيح المنظر، مشوه الوجه، ناتئ العينين. ولكن كان له صفات كثيرة. وكان رجل الفكاة والتفاؤل، ذو نظر واقعي. هو حريص على الوقت أثنى من المال. فكان رجل حلو الحديث حسن المحاضرة حاضر الجواب سريع النكتة. وكان يحب اللهو كما كان مفطورا على الوفاء. أما ثقافته، فكان ذكيا محبا للقراءة. أخذ اللغة والأدب واليونان والثقافة الفارسية والهندية وزاد على ذلك تجربته ومعاينته. أخذ الهندسة وعلم الفلك والحساب والفقه والاجتماع والتاريخ وغيرها من الفنون العلمية. إن المحل الأول عند الجاحظ كان للبحث والتحقيق. وكان رجل دين، يظهر شعوره الديني في جميع آثاره. وكان معتزليا يتخذ العقل إماما في الشريعة وكان له نزعة خاصة تدعى بالجاحظية. أدبه : وكان الجاحظ من أصحاب الأدب المجرد لا يعتمد على الكناية والتلميح. فهو يبريد الحرية في الأدب كما يبريد الحرية في اللغة. وفي الأدب يبريد المناسبة بين الألفاظ والمعاني ومراعات مقتضى الحال. ويريد الاهتمام بالتنقيح والتهديب في الكتابة واختيار الألفاظ الرشيقة، ولا يبريد المبالغة فيها. والجاحظ يبريد في الكتابة البيان أو وضوح الدلالة والإيجاز. وقد عني الجاحظ بتأليف الكتب والرسائل، فترك ما ينيف على مائة وسبعين كتابا. وساعده على ذلك امتداد عمره وانصراف العظماء عن استخدامه في كتاباتهم لدماة خلقه. آثار الجاحظ تؤلف موسوعة علمية أدبية كاملة. وهي خير مثال للثقافة العربية والنضج الفكري، لقد ضاع كثير منها.

آثاره : كتب الجاحظ في الفلسفة والاعتزال والدين منها "كتاب الاعتزال وفضله"، وكتاب "خلق القرآن". وكتب في السياسة والاقتصاد منها "رسالة في مناقب الترك وعمامة جند الخلافة"، و"رسالة في الخراج". وكتب في الأخلاق والاجتماع منها "كتاب البخلاء". وكتب في التاريخ والجغرافية والطبيعية والرياضات منها "كتاب الحيوان". وفي الأدب والشعر والعلوم منها "كتاب البيان والتبيين" وكتاب "المحاسن والأضداد". وكتب في موضوع العداوة والأخوة منها "رسالة التبريع والتدوير".

أسلوبه : ليس الجاحظ رجل الخيال وليس هو رجل العاطفة إنما هو رجل العقل والجدل. ولذلك كان يعدل عن أساليب المجاز. وكان يراعي مقتضى الحال. فهو خير بنفسية الإنسان. إنه أول كاتب مزج بين الهزل والجد. ولغته لغة العقل فيرمي إلى الإفهام. وكانت ألفاظه دقيقة واضحة. ولذلك كله يعد الجاحظ رأس المدرسة النثرية الثانية في الأدب العربي. وكان صورة لبيئته التي عاش فيها. فكان له أثر عظيم في الأدب العربي مهما كان حسنا أو سيئا.

الصاحب بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)

أبو القاسم إسماعيل الصباح بن عباد ولد في كافي الكفاءة من المجال قزوين. درس على ابن فارس اللغوي، واتصل بابن العميد وأخذ عنه واشتهر بالصاحب لمصاحبه لابن العميد. وزر لمؤيد الدولة بن بويه. ثم اتسع بحال سلطانه ونشأ الأدب مهمته، قصده الأدياء والعلماء من كل جوانب فازدهر الأدب في عهده. وكان مجلسه مكتظا بالعلماء والمتكلمين والشعراء، عاش مجبلا ومعظما حتى مات سنة ٣٨٥هـ. دفن بأصهبان.

كان له ولع بجمع الكتب ومطالعتها، ومن آثاره مجموعة رسائل "المحيط" في اللغة، سار على نهج ابن العميد. كان يعني عناية خاصة بلونين التصوير والجناس. وبلغ بمذهب التنميق. شديد الوسع بالجناس في الكلام والكتابة. ومن كتبه أيضا: كتاب الإمامة، والكشف عن مساوئ المنتهي. أكثر فضله في تشجيع الأدياء وتنشيط العلماء.

القاضي الفاضل (٥٢٩ - ٥٩٦هـ / ١١٣٤ - ١١٩٩م)

الوزير مجير الدين أبو علي عبد الرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضل ولد بمدينة عسقلان في فلسطين. ثم ورد مصر في أواخر الدولة الفاطمية. فخدم في ديوان الظاهر بالقاهرة بعد أن قضى سنوات في ديوان ابن حديد قاضي الإسكندرية. وبعد سقوط الدولة الفاطمية وزر لصالح الدين الأيوبي وأصبح كاتبه ومشيريه. وبعد وفاة صلاح الدين أبقاه ابن في مكانته وقضى على ذلك زمنه حتى أن مات سنة ٥٩٦هـ.

طريقته: لقد نشأ في عصر بلغ فيه التأنق البياني في الشعر والنثر مبلغا عظيما حتى أصبحت غاية الكاتب والشاعر. فكان للقاضي الفاضل يد طولي في الحركة الجديدة. هذه الطريقة سمي " الطريقة الفاضلية". ترجع عناصر هذه الطريقة إلى التصوير الشخصي، والإيغال في الجنس والطباق والتورية، والإكثار من حل المنظوم والتضمين والإطناب. كان للقاضي الفاضل أثر كبير في من عاصره ومن أتى بعده من الكتاب. وقد جرى على طريقته كثيرون بكثرة التكلف وقلة البلاغة، وضعف التفكير، حتى أصبحت الكتابة رصف ألفاظ وزخرفة بيان والأعيب لغوية. ولهذا أصبحت أحسن ممهده لعهد الانحطاط. وله ديوان ومجموعة رسائل.

الفلسفة والفلاسفة في العصر العباسي

لفظة الفلسفة يونانية قديمة، مركبة من مقطعين هما " فيلو " بمعنى حب أو محبة، و"سوفيا" بمعنى حكمة. وهي فيلاسوفيا وتفسرها: محبة الحكمة فلما عرّبت قيل: فيلسوف، ثم اشتقت الفلسفة منه. ومعنى الفلسفة: علم حقائق الأشياء، والعمل بما هو أصحح .

المعنى اللغوي: وكلمة فيلسوف مكونة من مقطعين هما: " فيلوس " بمعنى محب، و"سوفوس" بمعنى حكمة، فالفيلسوف هو محب للحكمة. وقد أطلق على الفيلسوف اسم الحكيم " ولكن سقراط لم ترق

هذه التسمية، فقال: أنا لست حكيماً ولكني محب الحكمة فحسب. وقيل إن فيثاغورس كان يقول: لا حكيم إلا الله وحده، وإنما الإنسان فيلسوف فحسب " أي محب للحكمة .

المعنى الإصطلاحي: استعمل اليونان كلمة الفلسفة منذ القرن السادس قبل الميلاد، ولم يكن معناها محدداً ولا مضبوطاً في أول الأمر، فكانوا يطلقون كلمة فلسفة على المعارف الإنسانية المعروفة في زمانهم، فشملت الطب والفلك والهندسة والكيمياء والطبيعة والتنجيم ثم قصرت في الإطلاق على من تأمل في الوجود تأملاً عقلياً، ومع ذلك فإن معناها كان يختلف من عصر إلى آخر ومن فيلسوف إلى آخر .

يقول الفارابي " اسم الفلسفة يوناني ومعناه إثارة الحكمة والفيلسوف هو مؤثر الحكمة ويجعلها غرض حياته ، وماهيتها أنها العلم بالموجودات". ويقول ابن سينا " الفلسفة صناعة نظري يستفيد منها الإنسان ما ينبغي أن يكتسبه لتتعرف بذلك نفسه وتستكمل ليصير عالماً معقولاً ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة وذلك حسب الطاعة البشرية. ويقول ابن رشد " الفلسفة هي معرفة الصلة بين الموجود والموجد."

حاول الفلاسفة الإسلاميون التوفيق بين الدين والفلسفة، وذلك لاعتقادهم أن الدين والفلسفة يساند كل منهما الآخر في كل المسائل الجوهرية. وإن بدا بينهما تعارض فإنه ليس حقيقياً، وإنما نشأ نتيجة لسوء فهم كليهما، و الجدير بالذكر هنا أن عملية التوفيق بين الدين والفلسفة لم يبتدعها الفلاسفة الإسلاميون، بل سبقهم إليها فلاسفة ينتسبون إلى الديانتين اليهودية والنصرانية.

الفلاسفة العرب

الغزالي (٤٥٠-٥٠٥ هـ / ١٠٥٨-١١١١ م)

هو أبو حامد محمد الغزالي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري الذي كان فقيهاً وأصولياً وفيلسوفاً . لُقّب الغزالي بألقاب كثيرة في حياته، أشهرها لقب "حجة الإسلام"، وله أيضاً ألقاب مثل: زين الدين، ومحجة الدين، والعالم الأوحى، ومفتي الأمة، وبركة الأنام، وإمام أئمة الدين، وشرف الأئمة. طلب العلوم من جهازة العلماء ورحل إلى بغداد مدرّساً في المدرسة النظامية في عهد الدولة العباسية بطلب من الوزير السلجوقي نظام الملك. في تلك الفترة اشتهر شهرةً واسعةً، وصار مقصداً لطلاب العلم الشرعي من جميع البلدان، حتى بلغ أنه كان يجلس في مجلسه أكثر من ٤٠٠ من أفاضل الناس وعلمائهم يستمعون له ويكتبون عنه العلم .

فالغزالي مفكر عبقري استخدم المنطق والفلسفة لانتصار الدين وكان هدفه في تلك العلوم العقلية المدافعة عن الإسلام وحماية العامة من أخطار الفلاسفة ولم يوفق بين الفلسفة والدين . فعنده الدين

هو الحق المبين فهو فوق الفلسفة ، وكان غايته في وضع الكتب تقرير امتياز دين الإسلام على غيره من الأديان والفلسفة . ولذلك لقب بحجة الإسلام .

وكان الغزالي سنياً وأشعرياً على طريقة أهل السنة والجماعة معارضاً للمعتزلة والباطنية. فالتقل عنه أمثل وأفضل وأرفع مكانة من العقل، وصرح بأن الإنسان حر في أن يجمع النقل الشرعي والعقل بلا تناقض بينهما . وكان تصوفه معتدلاً يقوم على التمسك بشعائر الإسلام والخشوع في القلب وقطع العلاقة بالدنيا ابتغاء لمرضاة الله.

وكان موقفه من الفلسفة مدافعاً عن الدين . فنقض دعاوى الفلسفة الباطلة من قدم العالم ومن القول بأن الله يعلم الكليات لا الجزئيات والقول بحشر الأرواح يوم القيامة دون الأجساد. فقال إن العالم حادث مخلوق والقديم هو الله . تصدى الغزالي للفلاسفة بعد أن عكف على دراسة الفلسفة ومبادئهم أكثر من سنتين واستوعبها وأظهر على فيها من خداد وتلبس وتخيل حتى صرح عنه فلاسفة الغرب بأنه لم تنتج الفلسفة العربية فكراً مبتكراً كالغزالي .

من مؤلفات الغزالي المشهورة (١) مقاصد الفلاسفة (ألفها لرد آراء الفلاسفة) (٢) المستظهر (ألفها عن عقائد الباطنية) (٣) الإقتصاد في الاعتقاد (هذا الكتاب بحث موجز في علم الكلام) (٤) تهافت الفلاسفة (٥) إحياء علوم الدين (هذا كتاب في التصوف واتجاه العملي في الحياة وعلى السلوك الصوفي في العبادة والتفكير والمعاشرة. (٦) المنقذ من الضلال.

ابن رشد (٥٢٠-٥٩٥ هـ / ١١٢٦-١١٩٨ م)

هو محمد بن أحمد بن محمد القرطبي، يعرف بالحفيد تميزاً عن جدّه الفقيه الذي يحمل اللقب ذاته. ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هجرية (١١٢٦ ميلادية) ونشأ بها ودرس الفقه والأصول وعلم الكلام. وكان ينشد التوفيق بين الفلسفة والدين، وعنى بكلام أرسطو وترجمه إلى العربية وزاد عليه. كان طبيباً وفيلسوفاً يميل إلى علوم الفلاسفة فكانت له الإمامة. يقال عنه أنه ما ترك الاشتغال بالعلم سوى ليلتين: ليلة موت أبيه وليلة عرسه. توفى بمراكش سنة ٥٩٥ هجرية ١١٩٨ ميلادية .

لقد استفاد ابن رشد من محاولة الفلسفة الذين سبقوه في التوفيق بين الفلسفة والدين أمثال ابن سينا والفارابي وابن طفيل، وكان توفيق ابن رشد يقصد به البرهنة على أنّ طبيعة الدين تتلاءم مع طبيعة الفلسفة، ومعنى ذلك أنه كان يهدف إلى إظهار العلاقة القوية بين الدين والفلسفة، أو الحكمة والشريعة-على حد تعبيره- وقد خصص لهذه الغاية كتابيه (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال) و(الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة) ذلك بالإضافة إلى معالجاته لهذا الموضوع في كتابه (تهافت التهافت) في مناسبات مختلفة ومواضع متعددة. ومن مؤلفاته المشهورة (١) تهافت التهافت (٢) فصل المقال (٣) الكشف عن مناهج الأدلة (٤) من وراء الطبيعة (٥) بداية المجتهد ونهاية المقتصد.

الكندي (١٨٥ - ٢٥٦ هـ / ٨٠٥ - ٨٧٣ م)

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق سمي بالكندي نسبة إلى بلدة كندة من بني كهلان ببلاد اليمن، وهو فيلسوف العرب وأول من فلسف منهم وتأثر بفلسفة أرسطو مصطبغة بالأفلاطونية المحدثة، ولد ونشأ بالكوفة وكان أبوه أميراً عليها، درس وتعلّم في البصرة، ثم بغداد علوم الدين واللغة والأدب. بدأ حياته العقلية متكلماً وشارك المعتزلة في بحوثهم المتعلقة بالعدل والتوحيد والنبوة. وكان عالماً في الطب والجغرافيا والموسيقى والكيمياء والفيزياء والرياضيات والموسيقى وعلم النفس والمنطق والفلسفة والمنطق والفلك والرياضيات، ولكن أكثر علمه في الفلسفة، كانت وفاته سنة ٢٥٢ هـ. وهو أول فيلسوف حاول التوفيق بين الفلسفة والدين. وجمع في بعض تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات، واتخذ من التأويل منهجاً للتوفيق بين الوحي والعقل وقد مهد الكندي بمصنفاته ونظرياته مجال البحث لمن جاء بعده من الفلاسفة والعلماء، وأحرز مكانة عند الخلفاء العباسيين -المأمون والمعتصم والمتوكل - من أشهر مؤلفاته في الفلسفة: الفلسفة الأولى، الفلسفة الداخلة، المسائل المنطقية، البحث في تعليم الفلسفة، مسائل في المنطق، كتاب الحث على تعلم الفلسفة.

الفارابي: (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ / ٨٧٤ - ٩٥٠ م)

هو أبو نصر محمد طرخان الفارابي الفارسي الأصل، ويُعرف بالمعلم الثاني، ولد في مقاطعة فاراب من بلاد الترك سنة ٢٥٩ هـ، ونشأ في بلده، وحصل فيها على مبادئ العلوم، رحل إلى إيران فتعلّم اللغة الفارسية، وانتقلت به الأسفار إلى أن وصل إلى بغداد، فتعلّم فيها اللغة العربية. ولما دخلها كان بها أبو بشر متي بن يونس الفيلسوف المشهور، فحضر حلقة درسه، يدرس الرياضيات، والطب، والفلسفة، ورحل إلى مدينة حرّان، وفيها يوحنا بن حيلان الفيلسوف النصراني، فاستفاد منه، وأخذ عنه. كان يحسن اللغة اليونانية، وأكثر اللغات الشرقية المعروفة في عصره. تناول جميع كتب أرسطو، وتمهر باستخراج معانيها، والوقوف على أغراضها، وكان من أكبر فلاسفة المسلمين، ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه، وأبو علي بن سينا انتفع من تصانيفه وتلمذ عليها. له مؤلفات كثيرة، بلغت أكثر من مئة مؤلف منها، الفصوص، آراء أصول المدينة الفاضلة، إحصاء الإيقاعات، المدخل إلى صناعة الموسيقى، الآداب الملوكية، مبادئ الموجودات، إبطال أحكام النجوم، أغراض ما بعد الطبيعة، السياسة المدنية، جوامع السياسة، النواميس، الخطابة، حركة الفلك سمردية، فيلسوف العرب، كتاب التعليقات، إحصاء العلوم، رسالة في العقل وغيرها.

يرى الفارابي أنّ الدين الإسلامي لا يناقض الفلسفة اليونانية، وإن كانت هناك فروق ومتناقضات ففي الظواهر لا في البواطن، ويكفي لإزالة الفروق أن نعلم إلى التأويل الفلسفي ونطلب الحقيقة المجردة من وراء الرموز والاستعارات المختلفة، فالدين والفلسفة يصدران عن أصل واحد هو العقل الفعال، ومن ثمّ فلا فرق بينهما، ولا خلاف بين الحكماء والأنبياء وبين أرسطو ورسول الإسلام صلى الله

عليه وسلم. وحاول أن يثبت أن لا خلاف بين الفلسفة اليونانية، وبين عقائد الشريعة الإسلامية، و الفلسفة والدين عنده أمران متفقان، لأنّ كلا منهما حق، والحق لا يخالف الحق .

إخوان الصفا وخلان الوفا:

هم جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن الثالث الهجري والعاشر الميلادي بالبصرة، اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد، فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها "تحف إخوان الصفا". وهناك كتاب أخر ألفه الحكيم المجريطي القرطبي المتوفى سنة ٣٩٥هـ، وضعه على نمط تحفة إخوان الصفا وسماه "رسائل إخوان الصفا".

أثر فكر الإخوان في مذهب الإسماعيلي في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري. وكانت اهتمامات هذه الجماعة متنوعة وتمتد من العلم والرياضيات إلى الفلك والسياسة. وقاموا بكتابة فلسفتهم عن طريق ٥٢ رسالة مشهورة ذاع صيتها حتى في الأندلس. ويعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية. كان الهدف المعلن من هذه الحركة "التضافر للسمي إلى سعادة النفس عن طريق العلوم التي تطهر النفس". من الأسماء المشهورة في هذه الحركة كانت أبو سليمان محمد بن مشير البستي المشهور بالمقدسي، وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني، ومحمد بن أحمد النرجوري، والعوفي، وزيد بن رفاة

تأثر إخوان الصفا بالفلسفة اليونانية والفارسية والهندية وكانوا يأخذون من كل مذهب بطرف ولكنهم لم يتأثروا على الإطلاق بفكر الكندي وشاركوا مع فكر الفارابي والإسماعيليين في نقطة الأصل السماوي للنفس وعودتها إلى الله. وكان لفكرتهم عن منشأ الكون يبدأ من الله ثم إلى العقل ثم إلى النفس ثم إلى المادة الأولى ثم الأجسام والأفلاك والعناصر والمعادن والنبات والحيوان. فكان نفس الإنسان - من وجهة نظرهم - جزءا من النفس الكلية التي بدورها سترجع إلى الله ثانية يوم المعاد. الموت عند إخوان الصفا يسمى "البعث الأصغر"، بينما تسمى عودة النفس الكلية إلى الله "البعث الأكبر". وكان إخوان الصفا على قناعة إن الهدف المشترك بين الأديان والفلسفات المختلفة هو أن تشبه النفس بالله بقدر ما يستطيعه الإنسان.

كانت كتابات إخوان الصفا ولا تزال مصدر خلاف بين علماء الإسلام وشمل الجدل التساؤل حول الانتماء المذهبي للجماعة فالبعض اعتبرهم من أتباع المدرسة المعتزلية والبعض الآخر اعتبرهم من نتاج المدرسة الباطنية وذهب البعض الآخر إلى حد وصفهم بالإلحاد والزندقة، ولكن إخوان الصفا أنفسهم قسموا العضوية في حركتهم إلى أربع مراتب:

(أ) من يملكون صفاء جوهر نفوسهم وجودة القبول وسرعة التصور. ولا يقل عمر العضو فيها عن خمسة عشر عامًا؛ ويُسمَّون بالأبرار والرحماء، وينتمون إلى طبقة أبواب الصنانع.

ب) من يملكون الشفقة والرحمة على الأخوان. وأعضاؤها من عمر ثلاثين فما فوق؛ ويُسمَّون بالأخيار الفضلاء، وتطبقهم ذوو السياسات.

ج) من يملكون القدرة على دفع العناد والخلاف بالرفق واللفظ المؤدِّي إلى إصلاحه. ويمثل هؤلاء القوة الناموسية الواردة بعد بلوغ الإنسان الأربعين من العمر. ويُسمَّون بالفضلاء الكرام، وهم الملوك والسلطين.

د) المرتبة الأعلى هي التسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عياناً. وهي قوة الملكية الواردة بعد بلوغ الخمسين من العمر، وهي الممَّدة للصعود إلى ملكوت السماء؛ وإليها ينتهي الأنبياء.

القصة في العصر العباسي

القصة فن أدبي يقوم بسرد أحداث تاريخية أوخيالية تهدف إلى غاية أدبية فنية عن طريق الوحدة الموضوعية والتحليل النفسي والمتعة الأخاذة والإنشاء المتن. وهي نوعان : الشعرية والنثرية. أما الشعرية فتكون ملحمة أو قصيدة قصصية أو مثلاً. أما القصة النثرية فتكون خبراً أو حكاية أو رواية، وتكون هذه الحكاية فكاهاة أو سمرا أو ما إلى ذلك. بدأت القصة في العالم بالخرافات والأساطير ثم وجهت توجيها اجتماعيا وبعد ذلك ظهرت قصص الرحالة ثم ارتفعت القصة بتقدم الأيام إلى أن صارت في هذه الأيام من أرقى الفنون الأدبية وأروعها وأكثرها انتشارا.

القصة عند العرب : كانت القصة العربية خالية من الملاحم، ونشأت على أساس من الطبيعة والحقيقة، لأن العرب تنقلوا الأقوال والأحداث عن آبائهم في الحوادث الواقعة في أيامهم. وكانت هذه القصص موجهة إلى التسلية الشعبية لا إلى المتعة الفنية الأدبية. ولقد اجتمع للعرب من أحوال حياتهم وأيامهم تراث قصصي تداولته الألسن حتى وصل إلى العهد العباسي فقام بعض الكتاب لجمع ذلك الشتات المنثور والزيادة على ذلك. ثم اتصلوا بالهند والفرس والروم وأخذ عنهم. فأصبح الأدب القصصي عند العرب واسع النطاق له مسحته الخاصة وقيمتها الحقيقية. وكان فيها قسمان: القصص الموضوعية، والقصص المنقولة.

القصص الموضوعية : يتضمن هذ القصص الحكاية والرواية، فالحكاية حفلت بها المجموعات الأدبية "كالأغاني" وكتاب "البخلاء" وغيرها. وأما الرواية بدأت في العهد الأموي وازدهرت في العباسي. فأنشأ الأدباء روايات مختلفة تدور حول أبطالهم وعشاقهم المعروفين مثل مجنون ليلى وجميل بثينة وعنترة وغيرهم. ومن أشهرها : "حي بن يقظان" لابن طفيل، وسيرة عنترة (إلياذة العرب) وقصة بن هلال وقصة ملك سيف بن ذي يزن وغيرها. وكانت تلك القصص خالية من وحدة الموضوع والسياق القصصي المتلاحم الأجزاء والتحليل والجمال التألوفي. أما القصص المنقولة فأخذوا عن اليونان

بعض الوقائع واغترفوا من الهند والفراس الكثير ومن أشهرها كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة.

كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع :

هو كتاب وضع على ألسنة الهائم والطير وحوى تعاليم أخلاقية. وهو من أصل هندي نقل إلى الفهلوية ومنها إلى العربية ومنها إلى سائر اللغات. وهو يحتوي تفصيلاً لواجبات الراعي والرعية وما يجب على كل إنسان أن يحافظ عليه من جهة الصداقة، والصدق في القول والعمل وأدب الضيافة وما إلى ذلك. للكتاب قيمة تاريخية إذ يطلعنا على أحوال وعقليات واضعيه ومترجميه. وله قيمة فلسفية تجعله من كنوز الحكمة الأدمية، إلا أن حكمته لا تخلو من تشاؤم. ثم للكتاب قيمة أدبية تظهر في أسلوبه الذي أدخل على الأدب العربي تفعيل القصص والحكمة على ألسنة الحيوانات. ومن أبرز قيمها الأدبية الأمثال والحكم.

المثل : يظهر المثل في كليلة ودمنة بمظاهر مختلفة، فمنه الوجيز المجرد من كل حياة ومنه ما يشبه المسرحيات. والرواية في الأمثال الطويلة بطيئة تسير بجلال. وهي في الأمثال القصيرة أوفر حياة. ولكن الرواية وضعت في كليلة ودمنة للحكمة، ولا عجب إذا اتسعت أحياناً وتفرعت. والحيوانات في المثل قد جمعت بين طبيعة الحيوان وطبيعة الإنسان. وقلمنا عنى المؤلف بوصف دقيق للحيوانات في خارجها وعلامتها الفارقة، ويعمل البشر في جو من التشاؤم يظهر مساوئهم ولكن لأجل إصلاحها.

والأمثال في كليلة ودمنة هي في مجملها مسرحيات. منها ما يشبه المأسى الشكسبيرية، ومنها ما يشبه المأسى الأخلاقية ومنها ما يجمع بين المسرح والملاحم. والعمل في الأمثال القصيرة أبسط تركيباً وأقل تعقداً. ولكنه على كل حال يجري على طريقة طبيعية تتوثق فيها العقدة ثم تنحل شيئاً فشيئاً. والمحل الأول للحكمة وإيرادها لا للفن وتوفير أساليبه. أما المسرح فهو عادة المكان الذي يليق بالحيوانات، وفي الوصف اقتصاد شديد. وأما الحكمة فهي جوهر المثل كله في كليلة ودمنة وهي منثورة في كل مكان وكل سائحة كما أنها في مجملها نتيجة الخبرة والعقل والتفكير.

ألف ليلة وليلة

هو كتاب حكايات متتابعة مجزأة بحيث يقرأ كل جزء منها في ليلة. وسبب تسمية الكتاب بهذا الاسم يرجع إلى قصة أن الملك الفارسي شهرنار كان يشك في عفة زوجته. ولذلك إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها في الغد. وكان على الوزير أن يحضر له الفتيات كل ليلة. ولما أعجزه الأمر أتت إليه بنته ذات عقل ودراية اسمها شهرزاد، وأشارت إليه أنها ستنجو من القتل بالحيلة. وأوصت جاريتها دينارزاد أن تطلبها لأن تقص القصص عند ما تخلو مع الملك في الليلة. فلما حصلت معه ابتدأت تقص عليه الخرافات وتصل الحديث إلى انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها، ويسألها في الليلة الثانية

عن تمام الحديث إلى أن أتى عليها ألف ليلة رزقت في أثنائها ولدا أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه، فاستعقلها ومال إليها واستبقاها معه.

وهذا الكتاب في الأصل كتاب فارسي يدعى عند الفرس "هزار أفسانه" معناه ألف خرافات. وليس لدينا معرفة عن بداية ظهوره. وقد تناوله العرب ونقلوا حكايته وضخموه وأضافوا إليه الشيء الكثير وصبغوه بصيغتهم الخاصة. ويذهب بعض المحققين إلى أن للكتاب أصلا هنديا ويونانيا. وفي الكتاب جزء قديم جدا نقل إما عن الهند وإما عن الفارس، وفيه الخيال والمبالغات، والقصد منه التسلية. وأصله هندي. والقسم الثاني هو القسم الذي يرجع إلى زمن الخلفاء العباسيين، وأولهم هارون الرشيد. والقسم الثالث يرجع إلى أصل مصري يصور الحياة الاجتماعية في مصر.

والكتاب في أصل وضعه لا يتجاوز مئتي قصة. وهو يقع الآن في ٢٦٤ حكاية، قسمت على ألف ليلة وليلة. وهولم يؤلف على نحو ما نفهم من تأليف الكتب، فهو مجموعة من الكتب المتفرقة غايتها تسلية العامة. وكان أبو عبد الله محمد المتوفى سنة ٩٤٦م أول من وضع الأصل العربي لهذا الكتاب. وفي عهد المملوكيين في مصر حصل هذا الكتاب على شكله النهائي. ولم يحظ أي كتاب عربي راجا مثل ما حصل عليه كتاب ألف ليلة وليلة. وقد ترجم هذا الكتاب إلى جميع اللغات الأوروبية ومعظم اللغات الشرقية.

الدراسات في القرآن وعلم التفسير

لما تشعبت الفنون من البلاغة والنحو والفلسفة وغيرها تعددت الدراسات في القرآن، بما جمعت من أقوال الصحابة والتابعين. فكثرت التفسير والتأويل. فبعض العلماء اتجه إلى التفسير بالمأثور أو المنقول. هو تفسير القرآن بالقرآن نفسه، وبالسنن وبالأثار عن الصحابة والتابعين. وبعضهم اتجه إلى التفسير بالرأي والاجتهاد، هو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه، ويسمى أيضا التفسير بالدراية والتفسير بالمعقول واتجه الآخرون إلى التفسير بالإشارة، ويسمى أيضا التفسير الصوفي أو التفسير الفيضي، فهذا النوع من التفسيرات والتأويلات الباطنية والفلسفية، منها ما توافق لعقيدة الإسلام وما تنافىها. وبعضهم ساهموا في التفسير الموضوعي.

ومن أمهات التفاسير التي ظهرت في العصر العباسي جامع البيان عن تأويل أي القرآن أو جامع البيان في تأويل القرآن المعروف بـ "تفسير الطبري" للإمام محمد بن جرير الشيباني الإمام أبو جعفر الطبري، هو من أشهر الكتب الإسلامية المختصة بعلم تفسير القرآن الكريم عند أهل السنة والجماعة، ويُعدّه البعض المرجع الأول للتفسير بالمأثور، حيث يذكر الآية من القرآن، ثم يسرد أقوال الصحابة والتابعين في تفسيرها بأسانيدها، ويهتم بالقراءات المختلفة في كل آية ويرجع إحداها، ويسرد الأحاديث النبوية بأسانيدها، والأحكام الفقهية. ومنها أيضا تفسير بحر العلوم لأبي الليث السمرقندي ومعالم التنزيل للبعثي وتفسير القرآن العظيم المشهور بتفسير ابن كثير للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير

ومفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي الذي يعد أكبر تفسير بالرأي والمعقول. ومن التفسير الإشاري المعروف بتفسير محي الدين بن عربي ولطائف الإشارات لأبي القاسم القشيري وتفسير سهل التستري .

الحديث وعلوم الحديث في العصر العباسي

لم يُدوّن الحديث على عهد النبي محمد صلعم ، بل ونهى النبي عن تدوينه، فقد روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلعم قوله: لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحُه، وحِدِّثُوا عني ولا حَرَج. ومن كذب عليّ متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار. فأذن في بعض الحالات بتدوين أحاديثه. وقد رأى بعض العلماء أن النهي عن الكتابة كان وقت نزول القرآن، خشية التباس القرآن بالحديث، غير أنه أذن النبي محمد صلعم لبعض أصحابه كعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك وسمره بن جندب وأبي أن يأذن لبعضهم .

وقد عمد بعض الصحابة مبكراً إلى تدوين الحديث وجمعه بعد وفاة النبي صلعم كابن عباس الذي كان يدور على الصحابة ليسألهم، ويكتب ما يحدثونه به من أحاديث سمعوها من النبي محمد، بل وأراد عمر بن الخطاب أن يكتب الحديث، فاستشار الصحابة في ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، إلا أنه تراجع خشية أن يكب الناس عليه، ويتركوا القرآن . ولم يمض الكثير من الوقت حتى اعتنى التابعون بجمع الحديث وكتابتها، وكذلك اهتم الخلفاء والأمراء الأمويون على المستوى الرسمي بجمعه، فأمروا بعض علماء المسلمين مثل أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وابن شهاب الزهري بجمع الحديث.

بدأت محاولات جمع وترتيب الحديث في منتصف القرن الثاني الهجري على يد الربيع بن صبيح ثم سعيد بن أبي تالاها ما جمعه ابن جريج في مكة، ومالك في موطأه في المدينة، والأوزاعي في الشام، وسفيان الثوري في الكوفة، وحماد بن سلمة في البصرة ومعمربن راشد الصنعاني في اليمن والليث بن سعد في مصر بما تيسر لهم من أحاديث. وقد صنّف هؤلاء ما جمعوه وربّوه وبوّهه بحسب الأبواب والمواضيع الفقهية، وضمّوا إليها بعض أقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

انتقل تدوين الحديث إلى طور آخر أكثر تطوّراً، وازدهر التدوين بازدهار تأليف الكتب في عصرهارون الرشيد، وتشعب وتنوّع، فظهرت منه الموطّات والمصنفات والمسانيد والسنن والأجزاء والجوامع والمستدركات والمستخرجات وبلغ التدوين عصره الذهبي بحلول القرن الثالث الهجري الذي ظهر فيه كتب الصحاح، وانتشر فيه الكثير من علماء وحُفّاظ الحديث الذين أكبوا على علوم الحديث كابن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن المديني ويحيى بن معين والبخاري ومسلم وأبي زرعة الرازي وأبي حاتم الرازي وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي وعثمان بن سعيد الدارمي.

استمرت عملية جمع وتدوين الحديث وتصنيفه وترتيبه حتى نهاية القرن الخامس الهجري، ثم انتقل إلى مرحلة أخرى وهي مرحلة نقد الحديث تصحيحاً وتضعيفاً، ونقد رجاله تجريباً وتعديلاً، وتناول المتن

شرحًا وانتخابًا، لما جمعه الأولون من مؤلفات في القرون الخمسة الأولى. فجمعوا شتات الأقوال النقدية حول الحديث المروي عند الأولين من تحليل للمتن وتجيح وتعديل للرواة ووصل وإرسال وانقطاع للسند فنتج عن ذلك أن أكثرنا من كتب مصطلح الحديث التي رتبوا فيها الحديث وهذبوه وتناولوه بالشروحات.

الترجمة والتأليف في العصر العباسي

لقد عني خلفاء العباسية وعلماءها بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها. كان أسبقهم إلى ذلك الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور، فإنه أنشأ المدارس للطب والشرعية، واستقدم العلماء من الروم والسريران والفرس والهنود، فترجموا له كتبًا في النجوم والطب، ثم فترت هذه النهضة في أيام الهادي والمهدي، حتى قواها الرشيد ونشرها في مملكته المتسعة، وضم إلى إيوانه نوابغ العلماء، وأخذ على نفسه بأن يلحق بكل جامع للصلاة جامعة للعلم، وكان يجلب العلماء مع تباين نحلهم. وقد ترجم في زمنه كتب الطب والكيمياء والنجوم والحيل والحبر والنبات والحيوان. وقد بدأ المأمون بإتمام ما بدأ أباه، واتخذ له بطانة من علماء اليونان والسريران والعجم، وتوافد إليه الحكماء والأدباء من كل جوب وصوب وملة ونحلة، ونقلت إلى بغداد جميع الكتب الموجودة في الأصقاع المختلفة تحت الخلافة العباسية، فترجم على خير ما يمكن كتب الصناعة والعلوم والفنون إلى العربية، وأقبل الخلفاء والناس على تلك العلوم درسًا وفيها وقاموا بتفصيلها وتكميلها وأصلحوا أخطاءها، ثم بسطوا غير ذلك علوم الشريعة وضبطوا قواعد اللسان ووضعوا علوم البيان وعلمي العروض والقافية. وقد حذا الملوك في الشرق والغرب حذو العباسيين، فشيّدوا المدارس وأقاموا المراصد وشجعوا العلماء. ولم تزل سوق العلم نافقة حتى ضعف أمر العرب بتغلب التتار وتسلط الترك، وسارت العلوم إلى أوروبا عن طريق الشام والمغرب.

حركة النقل والترجمة

لعبت حركة النقل دورًا كبيرًا في توجيه الأدب العباسي حاملة إلى العرب قوانين المنطق والعقل وحقائق العلوم والفلسفة والفنون. فشاعت في الأدب نزعة الجدل والترابط الفكري والإبتكار. ومن العوامل المؤثرة في ازدهار حركة الترجمة الجدل الديني الذي نشأ بين الفرق الإسلامية. ثم تجادل المسلمون والنصارى واليهود بينهم في مفاضلة الأديان فتسلح النصارى واليهود بعلوم اليونان والمنطق واستخدموها في الجدل، فأحس المسلمون بتلك العلوم وعكفوا على دراستها للرد عليهم وللمخاضات الدينية بين الفرق الإسلامية. وجعلتهم هذه النزعة في غاية الحرص على ترجمة علوم اليونان والإستفادة منها. وكان لاتساع الدولة الإسلامية دور بارز في حركة الترجمة. وذلك بضم الشعوب العجمية للدول الإسلامية الذين قاموا بنقل علومهم التي تتمشى مع الثقافة الإسلامية ومن أشهرهم الفرس ومن أبرز علماءهم أمثال عبد الله بن المقفع.

ترجم العباسيون من المصادر العديدة أهمها المصدر اليوناني والسرياني والفارسي والهندي. وأشهر ما ترجم منها من علوم الطب والفلسفة والأدب والسياسة والتاريخ والفلك والحساب والموسيقى والمنطق وغيرها .

يعتبر يوحنا بن البطريق من أشهر المترجمين في العصر العباسي الأول فهو مولى للخليفة العباسي المأمون. وكان حنين بن إسحاق عالما بلسان العرب واليونان والفرس والسريان. شجع الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور نقل كتب الأعاجم إلى اللغة العربية . كان الخليفة المنصور ميالا إلى التنجيم وعلم الفلك فقرب إليه علماء تلك الفنون أمثال أبي سهل بن نوبخت الذي ترجم الكثير من كتب الفرس إلى العربية. ومن الذين خدموا المنصور في هذه الحركة محمد بن إبراهيم الغزالي . كتاب المجسطي ترجم عدة مرات في كل من عصور المنصور والمأمون والرشيد. ومن نوابغ المترجمين في عهد المنصور المترجم الفارسي عبد الله بن المقفع صاحب مؤلفة كليلة ودمنة والتي اتخذت شكل الأدب التعليمي .

إن الخليفة المنصور أول خليفة عباسي اهتم بأمر الترجمة ولكن العصر الذهبي للترجمة هو عصر الخليفة المأمون الذي جعل من قصره مقرا للعلماء العربية والعجمية ، وكانت الكتب القيمة والمدونات تجلب من مشارق الأرض ومن مغاربها في عصره . وأرسل إلى ملك الروم يطلب منه كتب العلوم القديمة خاصة كتب العالم الطبيب أرسطاطاليس.

دور بيت الحكمة في التأليف والترجمة

كانت الكتب المترجمة ومخطوطات التراث ودفاتر العلوم تحفظ في قصر الخلافة في بغداد. وعندما تولى هارون الرشيد الحكم نقلها إلى مكتبة ضخمة وسماها بيت الحكمة فيها زوايا للدرس والترجمة والتأليف وخنز الكتب وعين لها الموظفين. ولما توفي خلفه ابنه المأمون الذي اهتم بالمسائل الفلسفية والعلمية وشجع على النهضة العلمية فزود بيت الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس وجمع فيها جهازة المترجمين والأطباء والمفكرين وأغدق عليهم العطاء . وكان أشهر مترجميها في ذلك الوقت يوحنا بن ماسوئيه ويوحنا بن البطريق وحنين بن إسحق.

الشعر العباسي

انتقل الشعر في هذا العصر من هدوء البداية إلى ضوضاء المدينة ومن الصحراء إلى القصور، ومن الرصانة العربية إلى الانغماس في الملاهي، ومن مجالس الأدب والسياسة إلى الغناء. وهذا كله أثر في أغراضه وفنونه، وفي معانيه وأفكاره، وفي أوزانه وأساليبه.

الأغراض والفنون : ظهر الانقلاب العباسي في أغراض الشعر وفنونه ظهورا ملموسا، مضى أرباب الجديد في سبيلهم على الرغم من المقاومة من أصحاب القديم. ولكن هذا التقدم لم يكن حاسما ولم يكن الانقلاب جوهريا. ولذلك لم يخلقوا فنونا جديدة جوهريا مثل الملاحم والتمثيل. وقد كان الشعري

قيود التقليد، وهو نوع غنائي. ضعف الشعر السياسي لقلة الحاجة إليه كما أهمل الغزل العذري لتفش الفساد، في حين ضعف شعر الفخر والحماسة. ومن النواحي الجديدة في أغراض الشعر الشعر الفلسفي الذي يحاول النظر التحليلي إلى الكائنات، والشعر الصوفي الذي يرفع الغزل من المادة إلى الروح والتأمل في الله. كان الشعر التعليمي مظهر من مظاهر نفوذ العقل في هذا العصر، وإلى جانب ذلك ظهر هناك نوع من قصص الحكايات شعرا. وظهر الشعر الهزلي كما شاع التراسل بالشعر. وعلى يد أبي العتاهية أصبح الزهد ذا نزعة فلسفية، كما ظهرت الخمريات ووصف الصيد على يد أبي نواس وظهر الغزل المذكور.

كان المدح والثناء أقوى فنون الشعر في هذا العصر. فقد أصبح الشاعر بوقا للعظماء يذيع أخبارهم ويعلي شأنهم. وكانت هذه المدائح ذات نغمة واحدة. وقد زاد الإقبال على المدح لأنه سبيل الرزق ولأن العظماء في حاجة إليه بسبب ما قام بينهم من التنافس والهجاء أيضا أصبح أداة للتكسب.

فقد ازداد الشعر الحكيم عمقا وتحليلا بسبب انتشار الحكمة الفلسفية والهندية. أصبح الغزل في أكثره فاحشا لا يأنف من ذكر المخازي بصراحة شنيعة ولذلك أصبح ميدانا للفسق والفجور. ومن صفات الغزل انصرافه إلى التشبيب بالغلما من الروم والديلم والترک حتى سمي بالغزل المذكور. فقد مال الوصف عن الموضوعات القديمة إلى ذكر المباني والمصنوعات وأنواع الأطعمة إلى ذكر البساتين والرياض. خلاصة القول: إن الشعر العباسي قد عني العموم بالنظر إلى الواقعية.

أساليب الشعر العباسي:

وإن وجد التفنن في الأغراض فإن الشعر العباسي حافظ على بناء القصيدة على الأوضاع الموروثة عن الأقدمين من التزام الروي والبحر الواحدین. ومن الافتتاح بالغزل وذكر الديار وغيرها. ثم إنهم تركوا أحيانا هذه البداية بذكر الأطلال بدأوا بوصف القصور والخمور ثم اتجهوا إلى الموضوع. فالتجديد في هذا المجال ينحصر في ترك الابتداء بذكر الأطلال وفي الحرص على التناسب والترابط بين أجزاء القصيدة ومراعاة الترتيب في التركيب، والإكثار من النظم على البحور الخفيفة، وابتداع أوزان أخرى والميل إلى هجر الغريب من الألفاظ والتراكيب واعتماد العذوبة والوضوح والتزام البيديع وأساليب البيان وإكثارها. وبالجملة فقد غلبت الصنعة على الشعر حتى ازدادت إلى أن أصبح الشعر في أواخر هذا العصر زخرفة بيّنة.

ينقسم الشعر العباسي إلى ثلاثة أقسام: الأول: أدب الثورة التجديدية، في هذا الأدب محاولات تجديدية جريئة وذلك في ميدان مختلفة في الهجاء والمجون صاحبها بشار بن برد وفي الخمر أبو نواس وفي الزهد أبو العتاهية. الثاني: أدب الحركة المعاكسة: نلمس في هذا العصر السابق ورجوعا إلى القديم مع تأثيرها بالحركة التجديدية، زعماءها أبو تمام والبحتري وابن الرومي. الثالث: أدب الاستقرار والتدرج نحو الزخرف: ومن أشهرهم المتنبي وأبو فراس وأبو العلاء المعري وابن الفارض والشريف الرضي.

أغراض الشعر العباسي

الغزل : شهد العصر العباسي ازدهارا في شتى مجالات العلوم ومنها الشعر بكل أغراضه لكن خفّت صوت المدرسة العذرية في الغزل وكثر الغزل الفاحش ولعل الخطر في هذا ظهور نوع من الغزل يعد أكثر الأنواع انحطاطا وهو الغزل الغلmani. ولكن بالرغم من ذلك ظل الشعراء يتركون هذا النوع في قصائدهم الرسمية. وشاع الغزل الصريح لاختلاط العرب بالأمم الأخرى وكان محركا للغرائز، لا تعفّف ولا حياة فيه : لأنه يتحدث عن مفاتن المرأة الحسية. وقد برع في هذا اللون أبو نواس ومطيع بن إياس. وهناك أيضا شعراء يحافظون على قدر كبير من الغزل العفيف وقد برع في هذا اللون عباس بن الأحنف. ومن سمات الغزل في هذا العصر الأخرى تليين اللغة والابتعاد عن إيراد الغريب من الالفاظ ومن أهم شعراء الغزل في هذا العصر أبو نواس وبشار بن برد وأبو فراس الحمداني وأبو تمام وعباس بن الأحنف والكثيرون غيرهم .

الغلاميات / الغزل المذكور : الإعجاب بالذكور لم يكن موجودا عند الأمويين ولا عند الجاهليين .هذا النوع تسرّب إلى العرب من الفرس مع جيوش أبي مسلم الخراساني. فهذا المذهب شائع في بعض قصائد أبي نواس حيث نقل أوصاف المرأة إلى الغلمان. فالغزل بالذكور وهو أسوأ حالات الغزل التي ظهرت في هذا العصر اتخذها المهتمكون والمفسدون لإشباع رغباتهم الجنسية الشاذة متخذين من نشوة السكر نافذة على أفعالهم . وبلغ بهم الاستهتار حدا جعلهم يشنون عن المؤلف، ويتغزلون بالغلman والصبيان ، ويفضلونهم في كثير من الأحيان على المرأة الأنيقة المترجّة، ومن شعرائهم أبو نواس ووالبة بن الحباب وحسين بن الضحاک ومسلم بن الوليد وبشار بن برد وغيرهم كثير. وقد أشار الجاحظ إلى هذه الفاحشة بين العرب في كتاب المعلمين .

الطرديات : كان المنتشر بين العرب هو استخدام الجوارح في عملية الصيد مثل الشاهين والبازي والصقور والعقاب وكانوا يربونها على تتبع الطير والحيوان. وعند مجيء العصر العباسي انتشر الغنى في أوساط كثيرة ساعد ذلك استعادة هواية الصيد لمكانتها السابقة (ضعفت في عهد الإسلام) . فاننتشرت بصورة سريعة بين الطبقات القادرة التي تجد وقتا فسيحا وكافيا لممارسة الصيد هواية. وكانت هذه الطبقات تخرج للصيد جماعة ترأسها إحدى الشخصيات المرموقة كوزير أو ووال أو أمير أو حيانا الخليفة نفسه . وكانت تضم المقربين وبالطبع من ضمنهم الشعراء . جميع الخلفاء في الدولة العباسية مارسوا بلا استثناء تلك الهواية لأنها أصبحت في زمانهم إحدى مظاهر الحضارة وجزء منها. وكان من الطبيعي أن يصف الشعراء الذين يرافقون الخلفاء في تلك الرحلات ويشتركون فيها ما يحدث فيها في قصائدهم وينقلون عن طريق أشعارهم ما كان يحدث فيها بدأ من عملية صيد الحيوان ثم انضاجه على النار وأخيرا الإقبال على أكله وكانوا يصفون الجوارح التي تستخدم في عملية الصيد

ويعتبر أبو نواس أكبر وأشهر شعراء الطرديات في الأدب العربي وكان أدهم وصفا لرحلات الصيد حتى بلغت تلك الهواية في العصر العباسي من ازدهار وتقدم ورفي . فديوانه أول ديوان وصل إلينا في الأدب

العربي يضم بابا كاملا في الطرد. ويبدو أنه كان دائم الاشتراك في تلك الرحلات والتي كان يقوم بها الخليفة وخاصة الأمين، ونجد أن أكثر طرديات لأبي نواس ، كانت تصف الكلاب التي كان مولعا بها حتى أنه نظم قصيدة يرثي بها كلبا للصيد مات نتيجة للسنعة حيّة ورثاه فيها رثاء حارا. وكذلك نجده قد قام بوصف الصقرو والفهد والفرس والبازي وديك الهند والأسد ووصف أيضا أنواع الحمام المختلفة. ويوجد أيضا العديد من الشعراء الذين نظموا الطرديات ومن أشهرهم ابن الرومي وابن المعتز الذي صنف كتابا في جوارح الصيد ، وللصنوبري أيضا العديد من الطرديات المختلفة .

الإخوانيات : وهي رسائل يتبادلها الأدباء فيما بينهم في صورة نثر أو شعر أو ما يجري بينهم من نوادر، ومداعبات شعرية ويتخذون منها وسيلة لإبداع البراعة ، تمتاز بكثرة المحسنات البديعية. وهي المراسلات المتداولة بين الأصدقاء والخلان بتذكر أيام الودّ والهناء والصدقة. وتأكيد الوفاء لها والالتزام بعهودها. فيها المواساة والموعظة والألم والشكوى. وهذا الفن نوع من الشعر عبر فيه عن أهمية الصداقة وعن الصفات التي يحب أن يتحلى بها الصديق وعن أثر الحب الأول في نفس الإنسان . إخوانيات أبي فراس الهمذاني وأبي تمام والبحرتي من روائع الأدب الإنساني ، أسلوبها جميل ومعناها جليل . إخوانيات أبي فراس لسيف الدولة وإخوانيات البحرتي لصديقه مشهورة جدا .

الوصفيات : أصبح فنا قائما بذاته ، وقد اتسع ليشمل شتى مظاهر الطبيعة كالحدائق والبساتين والمنشآت والمصانع والبرك والسفن والبرك والأساطيل والبحر. فالبحرتي هو المعروف بشاعر الوصف في العصر العباسي. من الموضوعات التي أدخلتها الحضارة والعمران وصف المدن والقصور والبرك والنافورات وغيرها. وممن كتب في ذلك ابن عيينة وعلي بن الجهم. وتوسع البحرتي وتميز في ذلك. وقد وصف عمران مدينة المتوكلية، وحصن الجعفري، وقصريّ الصبيح والمليج، وبركة قصر المتوكل، وغير ذلك. فأول شاعر اقتص بوصف الرياض وتفنن فيها هو الصنوبري (ت ٣٣٤هـ). فأكثر أشعاره في وصف الرياحين والأنوار، ومناظر الزهر والشجر والغدران والأنهار، فاتحاً باباً جديداً من شعر الوصف خاصاً بالطبيعة. وقد قلده الشعراء العباسيون. وتوسع الأندلسيون فيه لتمييز طبيعتهم. وتتجلى عظمة فن الصنوبري في تعبيره اللفظي وتلوينه. وتأتي ألفاظه منسجمة من معانيه الدالة بدقة عن مكانم التصوير، بحيث لا يحس القارئ إلا بالطبيعة حية أمامه.

الخمريات : الخمريات تسمية تُطلق على الأشعار التي تتناول عالم الشراب، بدءاً بالخمرة وأوصافها، مروراً بأوانها وأشكالها، ورجوعاً إلى مواطنها وكرومها ووصفاً لجالسها وما تضمّه من سقاة وندمان وغناء ولهو وطرب، وتتبعاً لتأثيرها في النفس ودبيبها في مفاصل الجسد، وما يحصل منها من نشوة وخيلاء وما يجري في مجالسها من طرائف ولطائف، وطقوس وشعائر، وغير ذلك مما جعل القصائد الخمرية أو الأبيات التي تضمّها قصائد الشعر العربي في هذا الموضوع تحلّل مكانة بارزة في الأدب العربي، ولاشكّ في أنّ أبا نواس هو رائد الشعر الخمري على مرّ العصور لاتخاذة الخمر مدخلاً إلى عالم السياسة والسعادة والجمال والمعرفة ومخرجاً وحيداً من سجن المجتمع وأعرافه وتقاليده ومن مآزق الوجود.

فأبو نواس هو زعيم الشعر الخمري عند العرب كما ثبته الحنا فاخوري في كتابه لا في العصر العباسي ولكن على الإطلاق.

المديحيات : كان هذا الغرض الشعري معروفا لدى العرب من قبل . أضاف إليه الشعراء العباسيون المعاني الإسلامية عند وصف الممدوح . وجدد بعضهم مطلع القصيدة بترك الحديث عن الأطلال المهجورة.

الزهد والتصوف: صار الزهد من موضوعات مهمة متصلة بحياة العوامّ وكانت الجوانيت مملوءة بالفقهاء والوعاظ. فأبو العتاهية هو المعروف بشاعر الزهد في العصر العباسي. ولأبي نواس في أواخر أيامه قصائد طريفة من الزهد. هو الدعوة إلى التقشف، والزهد في متاع الدنيا الفانية، والتزوّد منها بزاد التقوى والصلاح والقناعة للحياة الباقية. الصوفيّات هي الشعر الذي كتبه المتصوفة لنشر أفكارهم الصوفية، أو في تواجدهم وغيوباتهم العرفانية. وكان شعرهم أقرب إلى الدعاية منه إلى الفن الأصيل. ومن شعراء المتصوفة البارزين ابن الفارض والسرّسقيّ والحلاج. فابن الفارض ملقب بـ " سلطان العاشقين لكثرة شعره في العشق الإلهي واعتزل عن الناس لنظم تلك الأشعار. فالرباعية العدوية اشتهر في أدب النساء الصوفيّات التي كانت مخضرمة الدولتين (الأموية والعباسية) وتوفيت في أوائل العصر العباسي. جلال الدين الرومي يعرف بقصائده الصوفية في العربية والفارسية .

الموشحات: الموشحات جمع موشح، وقد عرفه ابن سناء الملك بقوله: الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص بقواف مختلفة. وعرفه في المعاجم الحديثة أن الموشح: شكل خارجي تتخذة القصيدة العربية، يتكون من أجزاء معينة، لا يتحكم فيه وزن واحد أو قافية معينة، ويختلف باختلاف الشعراء. والموشح مأخوذ من التوشيح وهو التجميل والتجميل، ولعلمهم شبهوه بوشاح المرأة وهو خيطان من لؤلؤ وجوهر منظومان، يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر، ليكونا عقداً تتوشح به المرأة، والجامع بينهما هو التشابه في التجميل، والموشح يجمل بالتنوع بين أقفاله وأدواره في الوزن والقافية.

نشأة الموشحات: نشأت الموشحات في الأندلس، في أواخر القرن الثالث الهجري، علي يد مقدّم من مُعأفي القبري أحد شعراء عبد الله بن محمد بن الحكم. وسلكت بعد ذلك سبيل التطور على يد يوسف بن هارون الرمادي الشاعر القرطبي (المتوفى سنة ٤٠٣ هـ)، ثم جاء بعده عبادة بن ماء السماء (المتوفى سنة ٤١٩ هـ) وعلى يديه اكتملت صورة الموشحات، وصارت فنا قائما على أصوله، ومستكملا لبنيانه ونظامه، حيث ألف فيها كتابا سماه : دار الطراز في عمل الموشحات. ويعدّ يحيى بن بقي، وابن عبادة القزّار، وأبو بكر بن زهر، ومحيي الدين بن العربي أبرز شعراء الموشحات.

الزجل: الزجل لغة كلّ صوت، كصوت الرعد والرحى والرياح والأشجار والأحجار والحيوان ومنه صوت الحمام الزاجل. واصطلاحا كلّ شعر منظوم بلغة عامية ولهجة دارجة. لا يراعى فيها قواعد الإعراب، ولا الصيغ الصحيحة للكلمات الأصلية الفصيحة، بل ينشد للتطريب والتنغيم. وهو فن من فنون الأدب

الشعبي وشكل تقليدي من أشكال الشعر العربي. والزجل اسم أطلقه الاندلسيون على شعرهم العامي الذي شاع واشتهر في القرن الثاني عشر الميلادي. وخاصة على يد أبو بكر بن قزمان وهو الذي ابتكر هذا الفن وانتشر بعد ذلك في لهجات الأقطار العربية الأخرى في المشرق.

وعالج الزجل الاندلسي الغزل والمدح والوصف والخمريات والمجون والتصوف وغير ذلك من أغراض الشعر التقليدية المعروفة. ويتحلّى الزجّالُ (شاعر الزجل) بسرعة بديهته وقوّته في الإرتجال، والتعبير عن كلّ ما يعترض حياته من خلال شعره المُعبّر. ويتغنّى الشاعرُ للأمجادِ وللوطن، والطبيعةِ والجَمال. وكلماته تحمل الدّفء والسّحر الذي لا يوجدُ في غيره.

الرتاء: كان للرتاء ثلاثة أوجه قبل العباسيين وهي: الندب – البكاء على الميت بالألفاظ المحزنة، التأيين – الثناء على الشخص حيا وميتا، العزاء – الصبر الجميل على كارثة المتوفى. فأضاف العباسيون ضروبا جديدة إليه وهي: (أ) رتاء الحيوانات والطيور الداجنة (ب) رتاء على المدن عند دمارها، وأول من رثى المدن، الشاعر إسحاق بن حسان المعروف بالخريبي (ت ٢١٢هـ) برثائه بغداد أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون، وهي من (١٣٥) بيتاً، أوردها الطبري كاملة في تاريخه. (ج) رتاء الجوّاري والغلمان (د) رتاء العلماء والأدباء.

الهجاء: صار الهجاء شائعا في العصر ولم ينج أحد من حده سواء كان ملكا أو وزيراً، وشاعت فيه روح السخرية المريرة والفكاهة المضحكة، وأول من فتح باب الهجاء الساخر ابن الرومي. وراح يؤسس لمعاني هذا الهجاء فوجدها في الأمور الخلقية، وفي العادات، والطباع.

الحكمة: هي معروفة قديماً، ولكنها اتّسمت في العصر العباسي بالدقة والعمق، اللذين اكتسبهما الشعراء من إمامهم بعلوم المنطق والفلسفة. ونجد الحكم كثيرا في أشعار أبي تمام والمنتبي والبحتري والمعري

الشعراء البارزون في العصر العباسي

أبونواس ١٤٥-١٩٨ هـ

ولد أبونواس الحسن بن هاني في الأهواز سنة ١٤٥هـ من أب غير عربي وأم فارسية. انتقلت الأسرة إلى البصرة في صغره. أقام بها أبونواس إلى ثلاثين من عمره. وبعد وفاة أبيه أرسلته أمه إلى العمل. كان يعمل في السوق مع ذلك كان يحضر في دروس العلماء حتى حصل ثقافة واسعة. وكانت البصرة مزدحمة بالعلماء كما كانت مزدحمة بأصحاب اللهبو والمجون. فمال أبونواس إلى اللهبو. واتصل بوالبة ابن الحباب. وذهب معه إلى الكوفة وأخذ عنه كثيرا من أخلاقه المتطرفة. ولكن لم ينس نصيبه من العلم. فأخذ اللغة من البادية. وفي الثلاثين من عمره ذهب إلى بغداد. واتصل بالبرامكة ثم دخل قصر هارون الرشيد. ولكن الرشيد سجنه لمجونه ثم أطلقه فذهب إلى مصر ومدح أميره، ولكنه لم يرض في ما نال

من مصر فعاد إلى بغداد فقرّبهُ الخليفة أمين، فراح أبو نواس في راحة ورفقة. ولما انتشبت الحرب بين المأمون والأمين عاتب حزب المأمون تقرّبه إلى الشاعر الماجن فغضب أمين وسجنه ثم أطلق سراحه. ولما قتل أمين يئس الشاعر، فراودته أطياف الموت والأخرة. فتاب إلى الله وجنح إلى الزهد حتى توفي في بغداد سنة ١٩٨ هـ وكان في ٥٤ من عمره.

أخلاقه: عاش أبو نواس في الأماكن المختلفة التي وجد فيها عيش لهو وسكر واستهتار ومجون مع صحبة من المجان، وكان مندفعاً إلى كل جمال لذلك لم يقف على محبوبة واحدة، وكانت حياته على حالة من الحرية الأدبية وكان وسيم الطلعة حسن القوام رقيق النفس نافذ الشعور خفيف الروح مع ذكاء فريد. ولم يهيم له الصبرور حابة الصدر. وكانت نفسيته من الصببانية، وكان واقعياً وصريحاً، وعندما يتطلع إلى المستقبل والحياة الأخيرة يجد عنده حلا من الدين فهو الإيمان بعفو الله الواسع والثقة المفرطة به. آثاره: لأبي نواس ديوان شعر طبع مرارا، وأغراض شعره ترجع إلى الخمر والمجون والغزل والمدح والثناء والهجاء والوصف والصيد والطرْد والزهد والعتاب وغير ذلك.

شعره: وكان مجدداً في الشعر مع بشار بن برد، فكره التقليد لم يتقلد إلا بالضرورة. لأن التقليد يكلفه بذكر الأطلال والغزل وغيرها في بداية القصيدة، وكان مدفوعاً إلى التجديد بفطرته، بحكم ما اجتمع له من العوامل الخارجية والنفسية من الانطلاق والشذوذ والهجوم والمجون، كره التقليد وحياة الأعراب الجافة. وفي العلم والفلسفة رأى آراء جديدة، وفي الدين حرية، فأتى بتأويلات شخصية رحبة. لأنه كان أجوج الناس إليها. فظهر هذا التجديد في شعره من الهجاء تارة حزبياً دفعياً وتارة انتقامياً مع ميله إلى الفارسية وقلة اعداده بالقبائل العربية. وقد عني عناية خاصة في الطرديات، فنراه يقن في وصفه حتى يؤلف لوحات من البراعة والإتقان. يكثر فيه من الصناعة البديهة والإستعارات والتشبيه الخيالية وصور المختلفة والصقافات المتنوعة كما نرى هذا التجديد في زهدياته قليلة.

خمرياته: لقد تعرض الأدب العربي للخمر من الجاهلية. وكانوا يصفون الخمرة للفخر والتمدح. وباتت معاقرة الخمر من أبرز مظاهر الحياة المترفة في المدينة الجديدة. فانشرت حاناتها في بغداد، وكان أبو نواس صاحب عصابة من طلاب اللهو، يتردد إلى الحانات وإلى الديورة النصرانية، فيشرب ثم يندفع في التغني به ووصف السكر متفنناً في كلا الوصف والغناء، حتى أصبح أبو نواس زعيم هذه الحركة وشاعرها المجلي وأميرها. وقد جعل لها في الأدب العربي باباً مستقلاً كاملاً.

وكان حبه للخمر عبادة أو عشقاً يحق السجود. ولا يوقف عند تحريم أو تعنيف. قد شخص أبو نواس الخمر وبنّت فيه عاطفته روحاً حياً. حتى أصبح الخمر جزءاً من ذاته. وكان أسلوبه في الخمريات واقعياً، فتقفي الخمر وما أحاط به وما يتعلق به من المنظور والمشوم والمذاق وتأثيره في الحس وفي النفس ثم زاد على ذلك وصف كرام الخمر وطرف صنعه وحاناته وأنيته والخمارين والسقاة والندامى والمطربات.

وكل ذلك جعل له محلا خاصا فريدا بين عشاق الخمر وشعراءه. ومن ذلك كله يظهر أن خمريات أبي نواس ذات قيمة أدبية كبرى. وهي صورة لنفس الشاعر الخليع.

أبو تمام (٧٩٦م - ٨٤٣م / ١٨٠ - ٢٢٨هـ)

حياته : ولد حبيب أبو تمام في الجاسم قرب دمشق نحو سنة ١٨٠هـ. واختلف في دين أبيه قيل إنه نصراني. اعتنق أبو تمام الإسلام دينا وانتسب إلى قبيلة طي العربيه. وكانت حياته حياة فقيرة في صباه. وانتقل إلى دمشق فعمل في صباه عند حائك ثم انتقل إلى حمص. وصادف بها أن اتصل بديك الجن الشاعر، فتنلمذ له. ثم قصد مصر وسقى فيها الماء بالجامع متبعا حلقات العلم، واتصل بعياش بن لهيعة فلم يظهر كبير طائل، فعاد إلى الشام وحاول التقرب من المأمون فلم يفلح، ولما استخلف المعتصم قربه إليه وأغدق عليه العطاء. وكان أبو تمام في كل تلك المدة كثير التجول، فاتصل بكثير من العلماء والأمرء وذوي الأمر. وقد لقي لدي الحسن ابن وهب إكراما خاصا. إذ ولاه على بريد الموصل إلا أن ولايته هذه لم تمتد إلى السنتين فانتهت بموت الشاعر. وذلك سنة ٢٢٨هـ.

نفسية الشاعر : لأبي تمام شخصية أرسطراطية قوامها العزة والأنفة والاعتداد بالنفس. وشخصية شعبية قوامها طيب المعشر والتمتع بالحياة المترفة.

آثاره : لأبي تمام ديوان شعر فيه مدح ورتاء ووصف وغزل وفخر وما إلى ذلك. وله سبع مجموعات شعرية أشهرها كتاب الحماسة، ونقائض جرير والأخطل، وكتاب الاختيارات من شعر الشعراء، وكتاب الاختيار من أشعار القبائل، وكتاب الفحول، واختيار المقطعات، ومختارات من شعر المحدثين.

أغراض شعره : المدح: أكثر شعر أبي تمام في المدح، وأسلوبه فيه هو الأسلوب القديم، وكان أبو تمام يخلق لجميع ممدوحيه مثلا أعلى صيغ من الشجاعة والنجدة والكرم والمروءة. وقد طبع الأسلوب القديم في المدح بترعته الشخصية إلى الزخرف البديعي وإلى جودة التفكير كما طبعه بعزة وكبر. إلا أن مدائح أبي تمام لا تخلو من غثائفة وابتذال وفساد في الذوق.

الهجاء والعتاب : هجاء تارة عتاب رفيق مترفع، وتارة صرخة أسف وخيبة أمل، وهو أحيانا أخرى قتال عنيف. وأسلوب الشاعر في هجائه هو عموما أوفر طبيعة ويسرا منه في سائر شعره. أما رثاءه، فله رثاء في العظماء والأقارب. ورثائه في العظماء المشهورين في زمن الشاعر رثاء تفجع وأسف تقوم العاطفة الفنية فيه مقام العاطفة الحقيقية. وتنطق بالغلو في كل شيء من غير تأثير حقيقي. في أسلوب رصين وكلام جزل.

أبو تمام الشاعر الغنائي :

في ديوان أبي تمام مقطوعات غزلية ترق فيها الألفاظ وتعذب الأوزان وتتجلى نفس حساسة عميقة الشعور. وقد تضمنت تلك المقطوعات تصاوير رائعة لأظهر عوارض المحب. وله إخوانيات، ففيه يتجلى أبو تمام أقرب الإجابة في وصف عواطف الصداقة منه إلى الإجابة في وصف الحب. وفي رثاءه لأصدقائه

وأنسابه نرى شعره بكاء حقيقيا، وهو أين يتصاعد من جرح بليغ ولوعة ملموس. وفي هجاء الأصدقاء وعناهم تظهر رقة عاطفة الشاعر وعمق تأثره بخيانة الصديق. وفي الفخر كان يعتمد على عقله. فيفخر بعقله وشاعريته وبصبره وبمضاءه وبقييلته. ويلحق بهذا الفخر وصفه للمعارك فيتغنى ببطولة قومه. وله زهديات، وفيها يصور نفسا كثيرة الآمال والمطامع تري كل شيء ينهار ويذول.

أبو تمام شاعر الوصف :

له وصف الطبيعة ووصف المعارك. يمتاز ووصف الطبيعة عند أبي تمام بدقة الملاحظة. والتأمل الفكري والإكثار من المحسنات البيديعية ومن الاعتماد على الصور والمعاني القديمة. ينعش كل ذلك انفعال نفسي شديد وخيال قوي مبدع. ووصف المعارك مثال للشعر الملحمي بتصويره الواسع لأحداث خطيرة. وخياله الرحب الذي يعتمد على الواقع التاريخي ويفخمه في أسلوب جزل هذا الألفاظ كثير الصناعة.

أبو تمام شاعر المعاني :

امتاز أبو تمام بذكاء نادر، صادف من حالة عصره الثقافية ما وفر له مادة التفكير والتحليل. وكان شاعر المعاني المبتكرة والمعاني البعيدة الغور، وقد تجلى مذهبه التفكيري هذا في حكمه ونظراته في النفس والحياة والارشادات الأدبية والكلمات الجامعة. إلا أن كثرة احتفال الشاعر بالمعاني أفسدت عليه موسيقى الشعر أحيانا كثيرة كما أفضت به إلى التعقيد.

فنه : لشعر أبي تمام وجهان متناقضان يتفاوتان تفاوتنا شاسعا من إهمال وعناية. وأبو تمام في شعره صائغ كلام، دائب على الصنعة والتحكك. فنتج عن ذلك وعن عقليته الخاصة الإشراف في اللحن بالمحسنات البيديعية والزخرف والتعقيد والإغراب. وكان شعره يجمع أحيانا قوة وشدة أسر فريديتين في وقع خطابي مؤثر. ذهب النقاد في الحكم على قيمة شعر أبي تمام مذاهب متباينة، فكان له وعليه أحزاب مفرطة في التعصب. والواقع أن أبا تمام قد أوتي عبقرية نادرة لم يتمكن من تنظيم قواها تنظيم الاتزان والذوق. وهو يعد في طليعة الذين جمعوا الثقافة إلى الشعر.

البحثري (٨٣١ - ٢٠٦/٢٨٤)

حياته : أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى البحتري ولد سنة ٨٣١ م بمنبج بين حلب والفرات. نشأها بين المناظر الحسنة تنقف منها ثقافته الأولى. وكان من قبيلة الطائفة فتغلبت عليه فصاحتهم. وكان أبو تمام في ذلك الحين في الذروة، فتنلمذ له. واتصل بالحمصي وبوسيلته ذهب إلى والي معرة. ولزم البحتري أستاذه أبا تمام وأخذ عنه طريقته في البديع، وقد تعهد أبو تمام بعنايته. ثم انتجع الخلفاء والأمراء فذهب إلى بغداد وكان آنئذ ميدان القلق والاضطراب، وكان في عهد المعتصم الذي أصبح فيه الأمر في أيدي الأتراك. فتردد الشاعر في بغداد على دور عليتها مع صحبة أبي تمام فجالس آل طاهر، وأولاد حميد الطوسي وآل سهل. أخيرا اتصل بالمتوكل الذي خفي لديه حظوة كبيرة. وأصبح عنده شاعر القصر ينشد الأشعار فتغدق عليه الأموال الوفرة. ولما قتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان لبث الشاعر في العاصمة

يتقلب مع كل ذي سلطان مستجديا، حتى عاد أخيرا إلى المنبج يقضي فيها أيامه الأخيرة، فأدرسته المنية سنة ٢٨٤/م/٨٩٨ هـ.

آثاره : للبحثري ديوان شعر كبير طبع مرار في القسطنطينية ومصر وبيروت. شرحه أبو العلاء المعري قديما، وسماه "عبث الوليد" وله "كتاب الحماسة" و"كتاب معاني الشعر".

شعره : البحثريديوي النزعة في شعره ولم يتأثر إلا بالصبغة الخارجية من الحضارة الجديدة. وقد أكثر في شعره من تقليد المعاني القديمة. ومن أغراض شعره الغزل والرثاء والفخر والحكم والمدح والهجاء والعتاب والوصف.

غزل البحثري مبتذل المعاني سطحي العاطفة إلا ما قاله في علوة عاشقته، فهو حقيقي الشعور متوثب العاطفة. وهو على كل حال عامر بالرقة والحلاوة، مستوفي الجمال الفني، وقد دعي البحثري "شاعر الطيف" لإكثاره من ذكر خيال الحبيب. وفي الرثاء أسلوبه فخم جليل تغطي فيه العاطفة الفنية على العاطفة الحقيقية، وأحسن رثاءه ما قاله في المتوكل. وفي فخرياته أودع الشاعر إعجابه بقومه وبنفسه، أما في حكمه اجتزا فيها البحثري بالمعاني الشائعة القريبة المنال وليدة الاختيار البسيط.

البحثري شاعر التكسب :

هذا القسم يحتوي المدح والهجاء والعتاب. يقدم لنا مديح البحثري فوائد نفسية وفوائد تاريخية ومتعة أدبية. الفوائد النفسية يطلعنا فيها الشاعر على تحرق ممدوحيه إلى الإطراء وعلى تعبده لوثن المال يضحى له بعزته وكرامته وشاعريته. والفوائد التاريخية تتضمن على كثير من الأحداث التي وقعت في مسارح السياسة في تلك الآونة من المطامع والدسائس والمنافسات والحروب. وتمعته الأدبية ترجع إلى جمال أسلوبه المنسجم الرقيق وإظهار الرقة واللفظ. وكان في حياته الأدبية أربعة أطوار رئيسية: الحيرة بين تقليد معاني أبي تمام وبديع مسلم بن الوليد وإباحية أبي نواس، بدء بروز الشخصية في العراق، ونسوج الشخصية مع المتوكل، الضعف بعد المتوكل. وأما هجاؤه كان ضعيفا، وعتابه توبا، أبدى فيه مهارة وسياسة قرن فيها الرقة واللفظ والجذابة والنعومة وخفة الروح والتأنيب والتهديد، كل في سهولة وحلاوة.

البحثري شاعر الوصف :

هذا يتضمن وصف الطبيعة ووصف العمران : لقد ضمن البحثري وصف الطبيعة لوحات عديدة جمع فيها ألوانا مختلفة من مباحج الطبيعة. وكانت قليلة الحظ من الابتكار، تقليدية في أغلبها، ولكنه رفعها إلى التفوق والشخصية والأصالة. ابتدع طريقة خاصة له وذلك اختيار التفاصيل الطريفة المحسوسة، وجعل فيها موسيقي رائعة. ووصف العمران والقصور فكان البحثري مولعا به، وقد أبدى في وصفه براعة في تغير التفاصيل الناتئة، ودقة في رسم تلك التفاصيل رسما حسيا وانفعالا نفسيا شديدا.

شاعريته : كان البحثري ذا نفس ثقافة وخيال صاف وذوق سليم. وهو من أطبع شعراء العرب ويرى أن الشعر لمج. ومذهبه فيه مذهب امرئ القيس. وفنه يقوم على زخرف يديعي يأخذ به في اقتصاد وذوق. وعلى موسيقي ساحرة تعمر جميع شعره، وحسن اختيار الكلام والتراكيب موافقة للمعنى مع تسلسل تشد وتلين في أواظهما. وموسيقى الشعر عنده من أروع الموسيقى ما في الشعر العربي.

المتني (٩١٥ - ٩٦٥ م / ٣٠٣ - ٣٥٤ هـ)

حياته : أبو الطيب أحمد بن حسين المتني ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ هـ في أسرة صغيرة. وانتقل إلى الشام في صغره مع أبيه، وكان منذ نشأته كبير النفس طموحا إلى المجد. واشتهر منذ حدثه بحدّة الذكاء. واختلط بأعراب السماوة وأخذ عنهم ملكة اللغة، ثم طلب المجد والسيادة بشعره، أخفق طلبها بالسيف، فقام بثورة وكانت نتيجتها الإخفاق والسجن، واتصل المتني ببدر بن عمار في طبرية ثم تركه بسبب الحساد. واتصل بسيف الدولة أمير حلب ولزمه تسع سنوات كانت هذه السنوات أطيب حقبة في حياة المتني، فنال المتني لديه خطوة كبيرة وصحبه في بعض غزواته وحملاته على الروم. فحاز عند سيف الدولة إكراما لم يحزه أي شاعر آخر. أحس المتني عند سيف الدولة الأمير جفوة وانحرافا. وقد غادربلاطه بعد مناظرة بين المتني وبين خالويه مع حنق وحنن أليم عميق على فردوسه المفقود. ثم ذهب إلى دمشق والرملة حتى طلبه كافور الإخشيدي أمير مصر إلى بلاطه فمدحه ووجد عنده تحقيقا لأماله وأحلامه بالسيادة لوعده بالولاية. ولكن لما شعر أبو الطيب بمكر هذا الملك الزنجي اتصل بقائده وانفقا على الثورة ضد كافور، ولكن القائد مات فجأة فأراد المتني الهرب، ونجا فيه سنة ٣٢٠ هـ وهجا كافور الإخشيدي هجاء مرا. ثم سكن في بغداد لمدة سنة واحدة وشرح خلالها ديوانه للعلماء واللغويين وقصد ابن العميد الوزير. وانطلق إلى شيراز واتصل بعضد الدولة السلطان البويهبي ولقي عنده حظوة إلا أنه رجع إلى بلاده. وفي هذه العودة حذره كثير من الناس من اللصوص في الطريق بين واسط وبغداد. ولكنه مضى في طريقه سار مع غلمانة وابنه وعرض له فاتك بن جهل الأسدي في رهط. كان الشاعر قد هجا أخته، فقتل المتني على يده سنة ٣٥٤ هـ.

آثاره : لأبي الطيب المتني ديوان هو الذي قام بجمعه أولا، وشرحه كثيرون. فهم العسكري واليازي. وفي هذا الديوان المدح والرثاء والهجاء والفخر والغزل والوصف والحكم. وهو ينقسم إلى قسمين كبيرين شعر الصبا إلى سنة ٩٤٨ وشعر الكهولة من ٩٤٨ إلى الموت.

بروز شخصيته في شعره :

كان شعر المتني شديد اللصوق بشخصيته. وكان صورة لنفسه في جميع أحوالها وفي مجازاتها وتقديسها، وفي صبرها وأنفتها، وفي ثورتها وتشاؤمها وفي إعراضها عن النديم الروحية. وفي هذا الجانب ينقسم شعره إلى أربعة أقسام: قسم شعر الفتوة يتضمن الفخر والتهديد، وقسم في سيف الدولة وهو

شعر القومية والجهاد، وقسم قيل في مصر هو في عبارة نفس فاشلة يحفل بالمعاني الإنسانية، وقسم قيل في فارس وعراق فيه لبن والتفات إلى الطبيعة.

فنون شعره : المدح : ولقد مدح المتنبي نحواً من خمسين شخصاً وكانت معاني مدحه ما عرفناه عند سائر المداحين إلا أنها تلائم نفسية الشاعر القوية. العتاب والرثاء : يلجأ في رثاءه إلى ضرب الحكم وبسط فلسفة متشائمة. الوصف : توفر المتنبي على وصف الأخلاق. وانصرف إلى وصف بعض المشاهدات الطبيعية والحيوانات وأكثرها وصف المعارك. الهجاء : هجاء المتنبي انتقام لكرامته واحتقار للؤم واستغفار للناس. وهو لا يعرف إلا الطعن الجارح البليغ. الفخر : يفخر المتنبي في جميع أحواله، فخره صريح جريئ. الغزل : وهو ضعيف تقليدي.

فلسفته الشعرية :

ليس المتنبي فيلسوف بمعني الكلمة ولكن له نظرات في الحياة والأحياء. ومصدر فلسفته نفسه وتجاربه وإلهامه، صرف المتنبي همه إلى الإنسان في حياته وأخلاقه وعواطفه وعلاقته بالجماعة التي يعيش فيها. فالحياة في نظره مسرح من مسارح تتنازع البقاء. ولم يلتفت المتنبي إلى الدين إلا نادراً. والزمان في نظره عدو الأحرار وكرائم النفوس. والناس في رأيه في هوة من الصغارة والهوان. وهم يتأهلون الاحتقار فقط. ليست فلسفته فلسفة غيره، وإنما هي اعتماد شديد على الفكر الجازم، وقد جمعت بين القوة والإيجاز وتعاليم أخلاقية سامية ومعرفة عميقة لنفس الإنسانية. وكان المتنبي بدوي النزعة، خالص العروبة، يقدر القومية العربية. وكان طريقه في ذلك طريق جديد. وكان ذا عقل قوي زادت التجارب غنى.

مدح المتنبي :

يشغل المدح القسم الأكبر من ديوان المتنبي. فقد اتخذ الشعر وسيلة للعيش وبلوغ المجد، ولما لاحظ حاجة الكبراء إلى المدح فمدح المتنبي وأعزف في المدح. وكان يستمر على الثناء مااستمر العطاء. ولا يرى في أي عطاء وفاء كافياً. وقد مدح المتنبي نحواً من خمسين شخصاً من ذوي الرتب العالية أمثال سيف الدولة وبدر بن عماد وابن العشائر الحمداني وعضد الدولة وكافور وغيرهم. وكان موضوع مدحه ما تعودنا سماعه عند جميع المداحين من كرم وشجاعة وما إلى ذلك. ولكن زاد المتنبي في بعض الأحيان على ذلك كسيف الدولة وغيره. وكان المتنبي رجل قوي النزوع إلى القوة، محباً للمال تتلصق بنفسيته بالشعر إذا مدح. فلا يصور ممدوحاً خاصاً بل ممدوحاً مثالياً من الصفات ما يلائم القوة والسخاء ويرضي مخيلة الشاعر وقلبه.

وكان أسلوبه في المدح الأسلوب القديم يستهل القصيدة بالغزل ووصف المطية والسير حتى يتخلص إلى المدح. وفي مدائحه لسيف الدولة أفسح مجالاً للمدح والوصف الملحي. قبل اتصاله بالحمدانيين كان المتنبي يبدأ المدائح بتمجيد نفسه ثم ينتقل إلى عرض آراءه في الدنيا والكشف عن الثورة القائمة في ضميره وقلبه فيندرد ويتوعد. في مدائح المتنبي معان ساقلة وألفاظ مبتذلة وتعايير معقدة. وفيها

مغاليات بالغة ولاسيما في وصف القوة. لأنه يعتمد إلى تشابهه شاذة فاسدة الذوق. ولكن هذه الأشياء قليلة إلى جانب ما في مدائحه من جمالات قيمة أمها الخبرة بالأخلاق والحياة العامة والتصوير الرائع للصفات، وعلو النفس في المقاطع المحمية، وشدة الجرس الموسيقي في مدائحه خصوصا. وهذه الجمالات تسمو بالقصيدة إلى جورفيع قوي التأثير. كذلك في مدح المتنبي تحسينات بديعية موفقة من طباق وتلاعب بالألفاظ التي تزيد شعره جمالا وقوة وتأثيرا. ولهذه المدائح قيمة تاريخية، لأن المتنبي أعظم المتغنين بحروب العرب ضد الروم والحروب التي نشبت بين سيف الدولة والقبائل العربية. ولذلك حفل شعره بالمعلومات التاريخية.

وفي الجملة كانت أساليب المتنبي ومعانيه في المدح قديمة إلا أنه أضاف إليها لباسا بهيا عاد بها إلى نضارتها وسكب عليها شخصيته وعبقريته روحا وحياة ودفنا.

أبو العلاء المعري (٩٧٣ - ١٠٥٨ م / ٣٦٣ - ٤٤٩ هـ)

حياته : ولد أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد في المعرة بين حمص وحلب سنة ٣٦٣ هـ. من أسرة عريقة في القدم. وفي الثالثة من عمره مرض بداء الجدري التي ذهبت ببصيرته فعميت حدقاته. وقد أخذ عن أبيه مبادئ العلم، ثم زار حلب ومكاتها وأخذ عن محمد بن عبد الله وتحديث إلى علمائها. ثم قصد أنطاكية وزار مكاتها كما زار دور العلم وسمع منها وسأل. ومر باللاذقية ومنها إلى طرابلس يطلب العلم. وبعد ذلك يمم بغداد مقر الخلافة ودور العلم والمذاهب. واشترك في مجالس العلم والأدب. ولما سمع بمرض أمه عاد إلى المعرة، ولما وصل إليها كانت أمه قد فارقت الحياة، فلزم العزلة. وأنه حزن على موت أمه، حتى اسودت الدنيا في عينه وكثرت من سوادها حتى وصلت إلى قلبه. فلزم البيت منذ سنة ٤٠٠ هـ إلى أن مات سنة ٤٤٩ هـ لا يفارقه فلقب برهين المحبسين. وأكب على تأليف الكتب. وكان يزوره العلماء وأرباب العلم والأدب والطلاب إلى أن مات سنة ١٠٥٨ م. وقف على قبره أكثر من ثمانين شاعرا يرثونه. وقد عرف " بفيلسوف الشعراء".

كان أبو العلاء المعري ذا نفس كبيرة، وذكاء متوقد، وكان دقيق الشعور مانلا إلى التشاؤم. وقد تنقف بالعلوم وأنواع المعرفة كلها في عصره، وأكثر في الفلسفة، وإلى ذلك كانت له قوة الحافظة الفذة، ومزاجه عصبي كثير الشكوك.

أثاره : ترك أبو العلاء المعري نحو سبعين مؤلفا. من أشهرها : سقط الزند، اللزوميات. وله كتب في الأدب واللغة والفلسفة والدين والاجتماع. ومن شعره "الدرعيات" ومن أهم آثاره في النثر : رسائل أبي العلاء، ورسالة الغفران، ورسائل ملقى السبيل، كتاب الأيك والغصون. ورسالة الملائكة، وكتاب الفصول والغايات، و"معجم أحمد" و"ذكرى حبيب" و"عبث الوليد". ولكن ضاع أكثرها.

أبو العلاء الشاعر: سقط الزند : هو شعر نظمه أبو العلاء في صباه وشبابه وله شروح عديدة. فيه المدح والثناء والفخر والوصف. ومدحه على قسمين : قسم في الأمراء فكثُر فيه المبالغة والصناعة. والقسم

الثاني في أصدقائه ومراسليه يحوي عاطفة حقيقية. وشعر أبي العلاء المدحي لا يخلو من ثبات شعرية صحيحة مع البحث العقلي، وهو في مجمله تقليدي. وفخره أيضا قسمان قسم في نفسه وآخر بقومه. وفيه نبض وشخصية قوية ومبالغات. ورتاءه اشتهر فيه داليتته في أبي حمزة، جمعت هذه القصيدة صدق اللوعة وعمق الفكر فيه عاطفة خفاقة وحكمة عميقة. أكثر ما وصف أبو العلاء المعنوي، وهو يتوكأ في غيره على القديم، فيه صورة حسية واستطراد تشبيهي وتمثيلي. ومن أوصافه المشهورة "الدرعيات".

أبو العلاء المفكر: اللزوميات: اللزوميات ديوان شعر كبير. يحتوي آراء الشاعر، وهو مرتب على حروف المعجم في أحد عشر ألف بيت في العقل والطبيعيات والماورائيات والأدبيات والفلسفة العلمية. العقل في نظر المعري إمام ونبي يجب تحكيمه في كل شيء. وفي الطبيعيات قال المعري بالعناصر الأربعة. واضطرب في مسألة قدم العالم. وهو يرى أن عالم الكواكب يعمل في العالم الأسفل. وأن الجسد وعاء دنس للنفس. وأن الإنسان مسير لا مخير. وفي الماورائيات ذهب المعري إلى كثير من الاضطرابات والحيرة والتناقض. الأدبيات أو الفلسفة العلمية عند أبي العلاء مبنية على التشاؤم. وهو ساخط على الدنيا لا يري فيها إلا فسادا. ومع ذلك ترى أبا العلاء يكثر من ذكر الخير في شعره. وهو يسيئ الظن بالمرأة. ويرى أن المجتمع فاسد، وأن لا خير إلا في الانعزال وممارسة الفضيلة. وقيمة اللزوميات تقوم على الشكوك والتناقض والتشاؤم. وشعره في اللزوميات بعيد عن نتاج الخيال الشعري يكثر فيها التكلف.

أبو العلاء الكاتب: الفصول والغايات. هو كتاب عظات ونصائح يتضمن آراء أبي العلاء التي احتواها كتاب اللزوميات في تناقضها واضطرابها، وفي أسلوبه تعقد لغوي وتكلف.

رسالة الغفران: هي رسالة كتبها أبو العلاء إلى ابن القارح جوابا على رسالة بعث بها إليه يذكر فيها شوقه إلى لقاء ويسأله عن عدة مسائل في موضوعات شتى، حتى ينهي فيها على الزندقة. تتضمن رسالة الغفران قسمين: يحوي القسم الأول رحلة ابن القارح في السماء فيزور الفردوس والموقف وجنة العفارب والجحيم. ويحوي القسم الثاني الرد على رسالة ابن القارح، ولهذا الكتاب قيمة علمية فلسفية. كان أبو العلاء في رسالة الغفران ناقد أدب ولغة وتاريخ واجتماع ودين. وظهر عقله فيها دائرة معارف واسعة. ونقده ممزوج بالسخرية والهزء. يتناول المعري بتحكمه اخبار الجنة والنار، وفكرة الغفران، ومهاجم البعث والعودة وبشجب التناسخ. وهو يتناول بنقده الأدبي المعاني والمباني. فيجمد في المعاني الابتداع والابتكار والاتزان وما إلى ذلك. ويعيب في المباني استعمال الألفاظ النافرة والقوافي الغير المعجبة وغيرها. ونقده لا يخلو من عمق وطرافة وإحكام. ولهذا الكتاب قيمة فنية. وذلك في أسلوبه حوار وظرف وفكاهة، ولكن فيه تعقيد شديدا وعبثا لغويا بعيدا عن الفن والطبع.

أبو العلاء (١٣٠-٢١٠ هـ)

حياته : أبو إسحق إسماعيل بن القاسم المعروف بأبي العتاهية ولد سنة ١٣٠هـ في قرية عين التمر بالقرب من الأنبار، فقد اختلف المؤرخون في أصله العربي. وتعاظم بيع الفخار مع أخيه في الكوفة. وكان يعيشه هناك مولعا بالترف والمجون، ثم انتجع الخلفاء والأمراء، فذهب إلى بغداد واتصل بالخليفة المهدي فتقرب إليه. وخفي لديه، فقد علق أبو العتاهية بجارية في قصر المهدي اسمها عتبه، وأكثر من التشبيب بها، ولكنها لم تطاوع معه. فحطم هذه الخيبة حدة مطامعه في الدنيا، ثم مال إلى دراسة مذاهب المتكلمين والزهاد، حتى أصبح زاهدا في الدنيا قولا ومعيشة. ولكن ولعه بالمال لم يبارحه فظل ينتقل من قصر إلى قصر فقربه المأمون من بعده. اختلفت الروايات في تاريخ وفاة أبي العتاهية، وعلى كل حال كان موته ببغداد وكان في سنة ٢١٠ على القول الأرجح.

آثاره : لأبي العتاهية ديوان طبع سنة ١٨٨٦. وفيه قسمان كبيران قسم للزهديات وقسم لسائر الفنون من الغزل والمدح والهجاء والرتاء والعتاب والاستعطف. وقسم للزهد والوعظ والحكمة والمثل.

فنون شعره : الغزل : يحمل شعره الغزلي صورة نفسه، نابضا بحرارة قلب متميم. هو غزل الحب المثالي المتألم الذي لا يخرج في معانيه عن القديم المعروف، ولكن الشاعر يسوقه في بحور رشيقة مطربة. المدح : كان مدحه تجاريا، وأحسن مدحه ما قيل في المهدي والرشيدي، وقد سلك فيه الشاعر مسلك البراعة فأرضى نفسه وأرضى ممدوحيه. أما طريقته فتقليدية ومعانيه قديمة أفرغها في قالب شخصي جمع السهولة والرشاقة والعذوبة. ومدحه لا يخلو من غلو في التمليق. الشكر والعتاب : أدخل علمهما نغمة جديدة من التظرف، فيها حذق وحلاوة. الرثاء : أسلوبه فيه أسلوب المديح والزهد. الهجاء : فيه براعة ومقدرة عجيبة على خلق الفكرة الشائكة الجارحة. وهو من نوع الشعر اللين السهل.

زهده : تضاربت الآراء في صدق أبي العتاهية في زهده. وفي سيرة أبي العتاهية وشعره ما يؤيد كلا الطرفين على السواء. وقد روي أنه يقضي الليالي سهرا للعبادة، وانقطع عن الغزل من زهد فلم يعد إليه بأية حال. ومع ذلك كان أحيانا أخرى لا يبالي بشعائر الدين ويتهاوت على الدنيا ببشع وهم. ولم يكف عن طلب المال ومع ذلك كان شحيحا إلى حد الإفراط. والأرجح إنه ظل متارجحا بين رغبته في الحياة المثلى وضعفه الذي يجرفه نحو الأباطيل. وكان مذهبه في الزهد الإغراق في ازدياء الدنيا والدعاء إلى القناعة. وفي زهدياته دروس قيمة لا تخلو من مغالاة وتشاؤم. وكان فيه قيمة اجتماعية من هذه النواحي ولكنه لم يبين مبادئ خطة كاملة لحياة مثلى. وأما قيمة زهدياته الأدبية فترجع إلى اهتمامه للفكرة والموعظة، وإن كان فيه ركافة وبرودة، إلا أنه أخرجه بريننا من غثاثة الشعر التلبيعي بألوان زاهية من الصور الخيالية الغربية الحلوة، حتى جاءت صبيغته الفنية مغمورة بالسلاسة والعذوبة والانسجام. وزهدياته كانت موجبة إلى العقل أكثر منها إلى العاطفة. والخلافة بين زهديات أبي نواس وأبي العتاهية كانت زهديات أبي نواس في مجملتها عاطفية وزهديات أبي العتاهية في سوادها عقلية.

تجديده : لا جرم أن في زهديات أبي العتاهية دروسا قيمة. فهو يعلمنا ألا نتطلق وراء أوهام الحياة والغرور. وكان أبو العتاهية مجددا في معانيه فقد توفّر على تصوير ناحية الجد من عصره. وفي الفن

يظهر تجديده في امتياز شعره بالطبيعة وسهولة اللفظ والموسيقى العذبة الساحرة، على ما هناك من رتابة.

ابن الرومي (٨٣٥- ٨٩٦م / ٢٢١- ٢٨٣هـ)

حياته : أبو الحسن علي بن عباس بن جريح المعروف بابن الرومي، رومي من ناحية أبيه فارسي من ناحية أمه. ولد ابن الرومي سنة ٨٣٥هـ في بغداد ونشأ بها، عاكفا على طلب العلم، حتى استقامت له ثقافة واسعة النطاق. فتعلم العلوم العربية والعلوم الدخيلة الشائعة من فلسفة وفلك وأساطير، وعلوم الدين. قضى معظم أيامه في بغداد. وكانت حياته سلسلة متواصلة من الخيبة والإزراء، فترزع كيانه واعتلت أعصابه، فتشائم وتطير. وقد نكب كذلك في أسرته، مات والده وهو صغير، ومات أخوه الوحيد في الثلاثين من عمره، ومات أولاده الثلاثة كما توفيت زوجته، فزاد ذلك من جزعه وتشاؤمه. وفي الحياة الاجتماعية لم ينل شيئا كبيرا عند الخلفاء والعظماء، فكان دينه التشكي والتألم. وسخر به الناس لغرابة تصرفاته، فأبغضهم وجرّد لسانه اللاذع لهجومهم. واندفع وراء أهواءه حتى هدت جسمه وكفت بصره فشحب وجهه وتقوس ظهره كما ضعف سمعه، حتى مات سنة ٨٩٦م مسموما، ومما قيل قد سمه القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير المعتقد خوفا من هجاءه اللاذع.

آثاره : لابن الرومي رسائل، وديوان في مدح وهجاء ورثاء وغزل ووصف وفخر وعتاب وطرد. تظهر شخصيته في شعره فزاه مرهف الإحساس والشعور إلى جد بعيد شديد التنبيه، وشعره صورة لشخصيته.

وفي مدحه تملق وسؤال والحاح وتذلل مما يكشف عما في نفسه من جشع ونهم. وفي مدحه تظلم وتذكير بالوعود، وثورة نقمة وتهديد، وفيه اعتداد وتقريع أو عتاب حاذق، يدل على اضطراب الرجل وانقياده لزوات إحساسه. وهذا المدح يمتاز بالإطالة. وهجاؤه نقمة محروم وأنه جريح، ولسعة محتاج ونزقة متطير. ورثاؤه قسمان، قسم في ذويه وقسم في أشخاص مختلفين. فالأول تلوع عميق وزفرات حري. والثاني يعبر عن عاطفة عميقة في نفسه. وفي القسم الأول نلمس قلبه الخفاق الذي حطمته المحن. وفي القسم الثاني نفسه الحساسة في تشاؤمها من الحياة وأسفها عليها. وغزله يكتشف عن شهوته الجنسية، وهو فيه مقلد.

ابن الرومي شاعر الوصف :

في هذا النوع الشعري عنده أربعة أنواع من الوصف، فالأول وصف الطبيعة الخارجية، أكثر شعره في ذلك تقليد مبتذل. وفي بعض قصائده بلغ الشاعر في ذروة الإبداع. يمتاز ذلك الوصف بتنبيه الحواس لاسيما السمع والبصر. وشعوره بالطبيعة شعور عميق دقيق، يتفحص الموضوعات إلى أبعد غاياتها، وينزل إلى المواطن النائية منها، ووصفه كثير التشخيص. والثاني هو من الوصف هو وصف الطبيعة الداخلية، هو وصف النفوس ولا سيما نفس الشاعر. وقد برهن فيه الشاعر عن بصيرة نافذة، وولوع

بالاستقصاء والتحليل، وعن عاطفة شديدة التأثر حتى أصبحت بعض أوصافه النفسية نماذجاً رقيقة للشعر الإنساني. وصف المآكل من أنواع وصف ابن الرومي الثالث. ففي هذا الوصف نهم وإلحاح، في دقة ملاحظة وتصوير تدل على مقدرة الشاعر الفريدة. ومن جانب هذه الثلاثة هناك السخر. هو الرابع من أنواع الوصف، لجأ إلى السخر عن حدة في شعوره بالجمال جعله يشمئز ويثور لمراً كل قبيح. وعن نقمة وتشائم وسخريته مبطنه بالمرارة والعنف. إلا أنها نماذج رقيقة للفن فيها مقارنات غريبة وتوارد الأفكار ودقة المراقبة وبعث الصور البعيدة الإيحاء.

فلسفته: فلسفة ابن الرومي فلسفة إحساس مرهف متقبل لا تخلوا من اضطراب وتناقض. له ثلاث فلسفات، هي فلسفة الحياة وفلسفة الدين وفلسفة الأدب. فالأولى فلسفة أبيوخريّة أظهر فيها الشاعر للحياة والتمتع بها شيئاً من العبادة. ففي الثانية كان ابن الرومي في تقواه طوع الإحساس الطارئ. كانت عاطفته الدينية خاضعة لفلسفة الحياة. وفي الثالثة يرى ابن الرومي جديراً بأن يخدم وينقطع له أهله. شاعريه ابن الرومي وفنه: كان ابن الرومي شاذاً في شعره بسبب عبقريته الخاصة، بأصله وشخصيته وحياته وأحواله. وأما فنه فكان ابن الرومي قليل الاهتمام للصياغة اللفظية. وصرف إحساسه لإبراز الإحساس وابتكار الصور والمعاني الجديدة. غلب على شعره طابع الارتجال. لغة شعره سهلة طبيعية غنية في الدقة والسلاسة، مع منطقية وعقلية، وكلامه طويل مع الحشو.

بشار بن برد (٧١٤. ٧٨٤ م / ٩٦. ١٦٨ هـ)

كان بشار بن برد صلة بين عهدين، عصر ينزع إلى العروبة والحفاظ الديني والسياسي وعصر ينزع إلى الكسروية التي تقف ضد العرب، وإليه يرجع الفضل في إخراج فن المولدين. ولد بشار في البصرة سنة ٩٦ هـ من أب فارسي الأصل اسمه برد. نشأ صحيح العروبة وامتاز بذكاء وعبقرية. وراح ينظم الشعر في العاشرة من عمره. تصدى بشار لجريير بالهجاء ولكنه لم يلتفت إليه. وكان يختلف إلى مجالس العلماء في البصرة واتصل بالمعتزلة ثم تطرف إلى آراء الزندقة والإلحاد ثم أقام له منزل جعله دار لهو ومجون حتى نفوه العلماء من البصرة سنة ١٢٧ هـ. تشرّد بشار في البلاد يطلب كرم الأمراء والملوك، وحصل على حظوة لدى يزيد بن عمرو وبعد قتل يزيد رفع بشار إلى البصرة ولكنه نفي مرة ثانية. فأخذ يتقلب من مدينة إلى أخرى. وبعد أن مات أعداءه كلهم رجع إلى البصرة واتصل بالمنصور ولكنه لم يحصل منه على شيء. وبعد ذلك اتصل بالمهدي ونال منه ثواباً حسناً، ولكن بشاراً أخذ يهجو وزراء الخليفة فوشى به بعضهم إلى الخليفة بأن له غزل فاسق حتى هدده الخليفة بالقتل إن عاد إليه. ولكنه لم يرتدع ولما تولى يعقوب بن داود وزارة المهدي حاول بشار استمالته بالمديح ولكنه لم يكثر به. فسخط البشار وهجا المهدي ووزيره هجاء لاذعاً، فبدأ يعقوب يقبح بشاراً في عيني الخليفة ناسياً إياه إلى الزندقة حتى أمر المهدي بقتله فضرب سبعين سوطاً مات منها سنة ١٦٨ هـ. قيل إنه لم يشيع جثمانه إلا أمة سوداء أعجمية.

نفسيته: كان بشار قببج المنظر سميع الهيئة كفيفا، مع ذكاء ونبوغ. ولكن تصرفاته كانت قبيحة أيضا ولذلك كرهه الناس. نشأ سئى الأدب وأساس عيوبه الإباحة. فخرج عن التقاليد والفضائل، وكانت غرائزه مادية. فسلك سلوك الفسق والمجون، مع ذلك كان له حدة البصرة ودقة الإحساس، وروحه ثائرة ناقبة على الجنس البشري، إلى ذلك كان هازلا ساخرا. وكان كثير الاعتداد بنفسه، جباناً ولذلك لجأ إلى الكذب. فكان بشار من أكبر المنافقين.

آثاره: كانت آثاره جملة تركها في الفارسية والعربية من الخطب والقصائد. ولكن أكثره فقد فقيد. هناك مجموعة من شعره اسمها " المختارات من شعر بشار". وكان أغراض شعره المدح والهجاء والغزل والثناء.

شعره: وكان بشار شاعرا مطبوعا وطماعا مطبوعا، فخلف في شعره من الألوان الحرية ما يلائم أهواءه. فالشعر التقليدي إذا قصد به المقلدين وهو تجديدي إذا ابتغي إرضاء الشعوب والمجددين. وشعره صورة لنفس الشاعر المتقلب، يختصر تقليد بشار في شعره المدحي. فعمد فيه إلى نظم متين رصين جزل قليل العلاقة بالمنطق يستهل بالغزل. فكان يتخذ المدح أداة للتكسب فقط مع تفننه في التقليد.

التجديد: أما من ناحية التجديد فقد ظهر لنا أنه كان مولعا بالحياة الواقعية على إثر انقلاب شامل في الحياة فعمد إلى التمتع بالحياة في حرية وفهم. كل ذلك جعل شعر بشار صورة أمينة في عصره. وكان أول ما طرق بشار من أبواب الشعر الهجاء. فهجاءه كان اندفاعا تلقائيا أو أداة للتكسب أو ذريعة للدفاع عن نفسه. وفي جميع الأحوال يظهر بشار مجددا فيكثر من وصف مهجوه بأوجه العار الشائعة. وفي هذا النحو من التجديد يشترك فيه الفخر والهجاء. فيجعل مهجوه ضحكة بين الناس. وكان غزله جديد في معانيه المجنونية المترفة. جديد في تصاريفه الحضورية الناعمة. جديد في ألفاظه الشريفة السهلة الموسيقية. ولم يعرف بشار معنى صحيحا مستقيما للحب، إنما يعرفه هو اللذة السينة، فحصر غزله ضمن دائرة المحسوس فغزله تصوير لحاجة الشهوة والهوى.

ومن أهم مميزات تجديد بشار أنه أنزل الشعر العربي من طبقته الأرسطوقراطية. نقله بشار إلى الحياة الواقعية وخاصة إلى حياة الشعب الواسعة. وهياً للفن بيئة جديدة وفسح مجال الفن. ولم يقتصر في شعره على حياة الشعب. وشارك في مبتدئات السياسة والعلم والفلسفة والدين. وبالجملة إن بشار كان أول من امتزج من الشعراء بحياة عصره. فكان مكانه بين التقليد والتجديد يتقلب، فترى التقليد في مدحه أسلوبيا ومعنى، كما نرى التجديد في غزله أسلوبيا ومعنى. وكان هذا المدح يمتاز بالتجديد في تصوير ومعان طريقة كما يمتاز الغزل بالمعنى القديم. وهذا ظاهر في الفخر والهجاء.

كان صادق العاطفة ليس خياله جبارا، لأن العى قد حد من قوة اندفاعه. وكان شديد القدرة على ابداع الصور والطريقة الزاهية وصوغ الألوان والأنوار الناطقة العجيبة. فنشأ في شعره التصور المنتزح

من الإحساس والطريقة الواقعية، وذوقه الشعري ذوق مرهف بصير. وقد أثر فنه في لغة شعره وأوزانه. كان بشار زعيم ثورة أدبية ولذلك له محل بين كبار الشعراء.

أبوفراس الحمداني (٩٣٢ - ٩٦٨ م / ٣٢٠ - ٣٥٧ هـ)

أبوفراس الحارث بن سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني ولد في الموصل سنة ٩٣٢ م من أب عربي وأم رومية، قتل أبوه في صغره. نشأ تحت رعاية ابن عمه سيف الدولة. وكان يتنقل بين البلاد المختلفة. وحظي بثقافة حسنة ودرية على أساليب الفروسية. ثم ولاه سيف الدولة على منبج وحران، وقد أسره الروم مرتين في مغارة الكحل. وفي المرة الثانية حمله الروم إلى قسطنطينية وطال بها الأسر. فكتب إلى ابن عمه سيف الدولة في أمر اقتداءه فتباطأ سيف الدولة. وظل يهمله ويهمله حتى كانت سنة ٩٦٦. فبذل فديته. وبعد سنة مات سيف الدولة فرغب أبوفراس في توسيع مقاطعته. فحاربه أبو المعالي ابن سيف الدولة. فسقط في ميدان القتال وهو في السادسة والثلاثين من عمره. وذلك في سنة ٣٥٧ هـ.

أثاره : لأبي فراس ديوان شعر. جمعه له أستاذه ابن خالويه، وقد طبع مرارا. وأفضل طبعااته طبعة الدهان الحديدية. وفيه منظومات في أبواب الشعر المعهودة من غزل وإخوانيات ورناء وفخر ولكن أشهر ما فيه وأجمله "الروميات".

فنونه الشعرية : الغزل : غزله رقيق لين في قليل الابتكار وضعيف الخيال. الإخوانيات : فيها شوق وعاطفة رقيقة ونصيحة ومشاطرة الأفراح والأحزان. وفيها تشك من تقلب الأصدقاء وقلة الوفاء. الرثاء : رثاؤه قليل قصير مع أنه صادق فيه شيء من التفجع وكثير من الحزن. الوصف : وصفه حسي ولكن أغلبه ضعيف. الفخر : فخر الشاعر بعز قومه وأمجادهم كما فخر بشماله ومحامده وكان فخره عالي النفس لين العاطفة.

فنه وشاعريته : عاطفته متغلبة على المعاني ومعانيه غير عميقة مع أنها مؤثرة. وخياله ضعيف تطغي عليه العاطفة. وأسلوبه فيه منطق العاطفة. ومزج المعاني مزج فني. ومبنى شعره يتميز بتوافق الألفاظ بالمعنى والعاطفة، وتراكيبه منسجمة وقعت فيها أغلاط لغوية ونحوية. وأشهر قصائده الروميات : دعى إلى نظمها ألم الأسر وألم أمه. فيه آلام نفسه ونوع إلى أمه وإلى أصدقاءه وإلى سيف الدولة. وهي صورة تامة لنفس الشاعر.

أبو دلامة ١١٠ - ١٦٠ هـ

هو شاعر ساخر عاش في العباسي، وكان عبدا لرجل من أهل الرقة من بني أسد اعتقه في ما بعد، وهو أحد الشعراء المعاصرين لخلفاء بني العباس الثلاث الأوائل، السفاح والمنصور والمهدي، بل يعتبر شاعرهم ونديمهم الخاص. وكان أبو دلامة فكها مرحا فهو حسن الحديث ممتع الرواية اسمه زند بن الجون أوزند أوزند وسبب هذا الاضطراب هو شهرة هذا الشاعر بكنيته دون اسمه. وإن كنيته هذه - أبو دلامة - لها دوافع واسباب جعلت الناس يختارونها له دون سواها. ذهب البعض إلى القول بأنه لقب نسبة

لابنه الذي كان يدعى دلامه. بينما ذهب آخرون للقول بأن دلامه اسم جبل مطل على الحجون بأعلى مكة. ويقال ان هذا الجبل كان اذا صخر املس، وكان محلا لواد البنات في الجاهلية. فكني به لوجود شبه بينه وبين هذا الجبل وهو الطول والسواد. إن أباه كان عبدا لرجل من بني أسد من اهل الرقة. ثم انتقل إلى الكوفة مع مولاه، فنشأ أبو دلامه هناك متصلا بالولاء لبني اسد. ثم اعتقه ولم يعرف متى. أما تاريخ مولده فلم تشر المصادر له. ولكن لما كان أبو دلامه قد عرف في عصر السفاح، فلا جدال أنه قد قضى أكثر من عشرين عاما في الدولة الأموية.

وأما شعره قليل، قاله في المناسبات المختلفة في المدح والطرائف المختلفة لأنه كان مهرجا للخلفاء.

ابن زيدون ٣٩٤ - ٤٦٣ هـ

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون، ولد بقرطبة في بيت شرف وأدب. تخرجة في الثقافات والعلوم العديدة من عند العلماء الكبار في عصره حتى أصبح علما من أعلام الفكر والأدب في عصره. تقرب ابن زيدون إلى أبي الحزم بن جهور والخليفة المستكفي، وهام بابنتها ولادة، وكان المستكفي غير مهتم بالأدب والثقافة وأما ولادة كانت من أهل الأدب والشعر والموسيقى. وبعد وفاة أبيها تعلق بها ابن زيدون وقضيا معا حياة لهو ومجون واستهترام ثم تبدلت ولادة علاقتها مع ابن زيدون بسبب هيامه مع إحدى جوارها فوقعت في الحب مع الوزير أبي عامر بن عبدوس، فنظم ابن زيدون يستعطف ولادة ويستميلها إليه كما نظم القصائد يهجو بها الوزية عبدوس. فسجن الوزير الشاعر، ولم يجد له من المناصرين فعزم على الهرب من السجن أخيرا عفا عنه ابن حزم. وبعد خروجه من السجن ألف قصيدته المشهورة إلى ولادة التي مطلعها :

أضحى التنائى بديلا من تدايننا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وبعد وفاة ابن حزم حصل الشاعر على حظوة كبيرة ورفع إلى منصب الوزير، وانتقل بين المدن المختلفة. وفي أيام ثورة إشبيلية أرسل ابن زيدون لإخماد نار الثورة فأقصى عن قرطبة حيث أصيب بالمرض ومات سنة ١٠٧١م.

ولابن زيدون مجموعة رسائل وديوان شعر مطبوع. ومن أغرضه الشعرية الغزل، وهو حاجة في نفسه يلي نداءها، لأن رجل المرأة الغاوية يهويها إلى حد المرض والجنون. وغزله حافل بالاستعطف والاسترحام والنداءات. وفي مدحه ورتائه هو مقلد شديد التقليد للشعراء العباسيين لاسيما المتنبي والبحتري وأبي تمام. وأما ديباجته كانت منسوجة من نور الأندلس وزهرها، ومن لين طبيعة الأندلس وموسيقاها.

ابن هاني ٣٢٦-٣٦٢ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هاني الأزدي، ولد في قرية سكون في إشبيلية. نشأ على حب الأدب والشعر، واستوطن بالبيرة ونسب إليه. واتصل بالأمراء، وكان منغمسا في اللذات وميالا إلى الفلسفة ومنتما إلى الشيعة حتى رمى بالزندقة، وقام ضده أهل إشبيلية وهددوه بالقتل، فهاجر إلى المغرب. واتصل به

الأمرء والملوك ونال حظوة كبيرة عند المعز لدين الله. عندما توجه المعز لدين الله إلى مصر إثر فتح جوهر الصقلي لها توجه معه ابن هاني أيضا لكنه تخلف في الطريق، ووقف مع رجل أضافه فسكر وعريد ثم وجد في الطريق ميتا، كان ذلك في سنة ٩٧٣م.

كان شاعرا فياض العبقرية متفجر القريحة اقتبس من المتنبي نفسه الحربي ومن أبي تمام صناعة الشعر ومن البحري الصبغة الشعرية ومن الأندلسيين طبيعتهم. كان في مدحه قويا مثل المتنبي في الأسلوب واختار اللهجات الصحراوية، ووصف الحروب وغالى فيه. وفي رثاءه توجد نظرات في الموت والحياة وكانت قليلة الابتكارات، وفي الهجاء حاول ابن هاني تشويه صورة المهجو قدر الاستطاع. وشعره كان طويل النفس متين السبك ضحل المعاني كثير الغريب في اللفظ وضعيف العاطفة.

UNIT- II

المؤلفات في النثر العباسي

العلوم الأدبية في العصر العباسي

ولم تكن العلوم الأدبية مكتوبة في العصر الجاهلي والإسلامي حتى في العصر الأموي. وفي العصر العباسي رأى علماء العرب انتشار الفساد في اللغة والأدب بسبب اختلاط العجم بالعرب، فاختصت طائفة منهم بعناية شأن اللغة والأدب. اشتهر هؤلاء العلماء بالرواة، منهم حماد الراوية، والخليل بن أحمد، وخلف الأحمر، وأبو عبيدة، وأبو زيد الأنصاري، والأصمعي. وكانوا يذهبون إلى البداية ويدخلون الأعراب طلباً لأخبار العرب وأشعارهم وحكمهم وأمثالهم. ثم أخذ العلماء يدونون تلك الروايات الشعرية والقصصية، وتبعهم في ذلك الجاحظ والمبرد وابن قتيبة وابن عبد ربه وأبو علي القالي وأبو الفرج الأصبهاني والصولي والأمدى وغيرهم. هؤلاء هم رجال الأدب ومراجعهم، وكتبهم هي موارده ومشاربه.

الكامل في الأدب للمبرد

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المعروف بالمبرد ولد سنة ٢١٠هـ في بغداد. وقد أخذ العلوم اللغوية والأدب العربي حتى أصبح من أئمة الأدب واللغة في عصره. وقد توفي سنة ٢٨٥هـ في بغداد. وترك آثاراً ضخماً إلا أن معظمها ضاعت. ومن أهم آثاره "الكامل في الأدب".

أوجز المبرد في مقدمة الكتاب مادته والمنهج الذي سوف يسير عليه، فقال: هذا الكتاب ألفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر ومغظة بالغة واختياراً خطبة شريفة ورسالة بليغة، والنية أن نفسر كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مستغلق، وأن نشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحاً وافياً، حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وعن أن يرجع إلى أحد في تفسيره مستغنياً. وتحدث عبر الكتاب عن الشعراء المولدين واعتنى بهم. يحمل كتاب الكامل طابع العصر الذي ألف فيه. وفيه ميل إلى الاستطراد وينتقل من قضية إلى أخرى لأدنى ملابسة، وتجاوز دوره في النصوص الأدبية الجمع والاختيار إلى الشرح اللغوي، والتصويب النحوي، وتتبع دلالات اللفظ الواحد في وجوهها المختلفة عند جمهرة الأدباء والشعراء. وقد جمع المبرد في هذا الكتاب كثيراً من ضروب الآداب نثراً وشعراً. إلا أن هذا الكتاب خال من الوحدة التأليفية. وذلك إنه حاول في كتابه أن يتوفر ما يدفع السأم عن القارئ. فجاء الموضوع مفككا، ولهذا الكتاب مكانة عظيمة في أوساط الأدب العربي، ولقي الكامل تقديراً كبيراً من العلماء واحتذاء بعضهم في تأليفه، وصادف هذا الكتاب هوى في

نفوس الأندلسيين بخاصة فأقبلوا على درسه وعنوا بشرحه. وقد عدّه ابن خلدون ضمن الأركان الأربعة للأدب العربي.

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني

أبو الفرج علي بن الحسين القرشي ولد بأصبهان وانتقل إلى بغداد وانصرف إلى طلب العلم والثقافة. فأتقن النحو واللغة والفقه والأنساب والسير والحديث. وله إلمام بالطب والنجوم والموسيقى. وتنقل بين بلاطي بغداد وحلب وقواعد بلاد فارس. لقد حظي حظوة كبرى لدى وزير الدولة البويهية إسماعيل بن عباد والمهلي. ومات سنة ٣٥٢ هـ. لأبي الفرج الأصفهاني آثار كبيرة في الأدب والتاريخ. ولم يبلغنا إلا كتاب واحد وهو أهمها هو "الأغاني". ومن كتبه: "القيان"، "الإماء الشواعر" و"دعوة الأطباء" وغيرها. الأغاني: هو كتاب ضخّم جمع فيه الأصفهاني أصوات الغناء الشائعة في عصره. وقد بناه على مائة صوت كان هارون الرشيد أمر إبراهيم الموصلي أن يختارها له وزاد عليها الأصفهاني. فهو يذكر صوتا وتوقيعه ويذكر قائله ويترجم له ويستطرد من ذلك إلى غيره من الشعراء والأدباء والمغنين والمغنيات. متقلبا بين الجد والهزل وآثار وأخبار وسير وأشعار متصلة بتاريخ العرب وملوكهم قال عن كتابه ابن خلدون: "ديوان العرب وجامع أشتات العلوم التي اجتمعت لهم". وقيل إنه جمع هذا الكتاب في خمسين سنة أهداه إلى سيف الدولة صاحب حلب فأعطاه ألف دينار من الذهب.

طبع الأغاني بمصر في عشرين جزء ثم طبع مرارا أكثر من الأجزاء العشرين. وقام الشيخ محمد الخضري بتذهيب الكتاب فجعل الكتاب على القسمين، وفي الأول أخبار الشعراء وشعرهم، وفي الثاني أخبار المغنين وألحانهم. ورتب الشعر على ثلاث طبقات الأولى طبقة الشعراء الجاهليين ثم طبقة الشعراء الإسلاميين وتتلوها طبقة الشعراء المحدثين. وقد أتم الخضري بعض القصائد والأبيات وحذف الفاحش من الكلام.

قيمة الكتاب: لكتاب الأغاني قيمة فنية كبرى، سار فيه أبو الفرج على أسلوب قصصي غاية في الإيجاز البليغ والمتانة ينبض حياة ورشاقة وطبيعية بما فيه من حوار وسرد جمل اعتراضية. ويفيض عدوذة بما فيه من سذاجة فطرية مقترنة بفكاهة موافقة. فأشخاص الكتاب يعمل على مسرح عصره ويتكلم بلغته الخاصة وينطق على حسب هواه. ولهذا الكتاب قيمة تاريخية، فقد وصف فيه الكاتب أيام العرب وأخبارها وأنسابها ووقائعها وطرق معيشتها وسائر أحوالها. وحشد فيها المعلومات الأدبية والجغرافية. فكان كتاب الأغاني أغزر مورد وأوثق مستند لتاريخ الآداب العربية في العصر الجاهلي وفي القرون الثلاثة الأولى للإسلام.

المُفضَّلِيَّاتُ للمفضل الضبي

كتاب للمفضل الضبي، وهو مجموعة شعرية عظيمة، تضم ١٣٠ قصيدة، وهي أقدم مجموعة في اختيار الشعر العربي ظهرت من بعدها كتب أخرى. سبب اختيار المفضل لمجموعته الشعرية أنه عندما

كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي مختلفياً عند المفضل لأنه خرج على الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، كان المفضل يتركه ويخرج وفي إحدى المرات أراد المفضل الخروج من بيته لبضعة أيام فقال الخليفة: إنك عندما تخرج يضيق صدري فأخرج لي شيئاً من كتبك أتفرج به، فأخرج له المفضل كتباً من الشعر والأخبار. فلما عاد المفضل وجده قد علم على سبعين قصيدة اختارها، وكان له ذوق حسن في الشعر، فاستخرج المفضل القصائد السبعين وزاد عليها عشرة فأصبحت ثمانين قصيدة وعندما قبض المنصور على إبراهيم ومعه المفضل، عفا الخليفة عن المفضل وجعله يؤدب ولده وولي عهده المهدي، فقدم المفضل لتلميذه القصائد الثمانين فقرأها عليه، ثم قرأها الأصمعي، فأقرأها وزاد في قصائدها وزاد في بعض القصائد التي وضعها المفضل بعض الأبيات، ثم جاء من بعد الأصمعي وزادوا في بعض القصائد أبياتاً أخرى حتى لم يعد ميسوراً معرفة الأبيات الأصلية أو المزيدة.

يضم الكتاب ١٣٠ قصيدة معظم شعرائها جاهليون وقليل منهم مخضرمين وإسلاميين، يتراوح عدد أبيات القصائد الواردة في الكتاب ما بين عشرة أبيات ومائة وثمانية أبيات لأطول قصيدة، ولم يورد المفضل لكل شاعر أكثر من ٣ قصائد إلا نادراً، وهذا معناه أن المفضل كان يختار أفضل القصائد بغض النظر عن الموضوع.

صدرت الطبعة الأولى من الكتاب عن دار المعارف المصرية عام ١٩٤٢ بتحقيق كل من أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، وأول من قام بشرح المفضليات هو أبو محمد القاسم بن بشار الأنباري، وقد حقق الشرح ونشره المستشرق شارل ليال، وقد أصدرته مطبعة الآباء اليسوعيين في بيروت على نفقة جامعة أكسفورد سنة ١٩٢٠.

يُعتبر "المفضليات" أول كتاب يضم مختارات من الشعر الجاهلي والمخضرم والإسلامي بروايات موثوق بها، كما يضم قصائد كاملة كانت أروع ما في الشعر العربي من قصائد. وقد تمت طباعة ست طبعات من كتاب المفضليات.

قيمة المفضليات: قال شوقي ضيف عن المفضليات: ولو لم يصلنا من الشعر الجاهلي سوى هذه المجموعة الموثوقة لأمكن وصف تقاليده وصفا دقيقاً؛ فقد مثلت جوانب الحياة الجاهلية ودارت مع الأيام والأحداث، وعلاقات القبائل بعضها ببعض وبملوك الحيرة والغساسنة، وانطبع في كثير منها البيئة الجغرافية. وقد جاء فيها كثير من الكلمات المندثرة التي لم ترد في المعاجم اللغوية، على كثرة الألفاظ المهجورة، مما يرفع الثقة بها ويؤكد لها.

الأصمعيات لأبي سعيد الأصمعي

أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ولد سنة ١٢٣هـ في البصرة. أخذ اللغة والحديث والقراءة ونقل عن فصحاء العرب، وأكثر الخروج إلى البادية وكثرت رحلاته حتى اجتمعت له من الأخبار النوادر الغريب. وكان معاصراً لأبي عبيدة ومنافساً له في الرواية. وكان له شدة الحافظة كان يحفظ اثني عشر ألف

أرجوزة. وكان مع اشتهاره بالثقفة والتضلع في اللغة مشهورا بنقد الشعر أيضا. أخذ ذلك عن خلف الأحمر، وله في الشعر والشعراء آراء عالية. أخذ عنه خلف الأحمر. وكان شديد الورع كثير الاحتراز في الحديث والقرآن. رضي من العيش بالكفاف توفي سنة ٢١٦هـ. ومن مؤلفاته : كتاب خلف الإنسان، كتاب الأجناس، كتاب الخيل، كتاب النبات، كتاب النوادر، كتاب معاني الشعر، كتاب الأراجيز. ومصنفاته تنيف على الأربعين أكثرها غير مطبوع.

العقد الفريد لابن عبد ربه

أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ولد في قرطبة، طلب العلم وأكب على الطب والموسيقى، واستطاع أن يحصل منها شيئا، لكنه انصرف إلى الأدب تاريخا وكتابة وشعرا، وقد مدح الخلفاء ونال لديهم حظوة. وفي شيخوخته ندم على لهو شبابه ومال إلى الزهد وراح يعارض ما نظمه من القصائد في الغزل بقصائد في الزهد سماها المحصنات. توفي في سنة ٩٤٠م بسبب الفالج. ولابن عبد ربه آثار في الشعر والنثر، وقد ضاع أكثر شعره. ومن أكثر آثاره النثري كتاب العقد الفريد.

كتاب العقد الفريد هو كتاب أدب جرى فيه صاحبه على أساليب التصنيف في الشرق ولاسيما أسلوب ابن عتيبة في كتابه عيون الاخبار. وهو مجموعة تاريخية أدبية فنية، ضمنه أخبار الملوك والخلفاء وغيرهم، وأخبار العرب وأيامهم وأنسابهم، وحشر فيه جملة من أقوال الخطباء والشعراء والكتاب، وشذرات من أقوال الحكماء والعلماء في موضوع الاجتماع والعروض والألحان وما إلى ذلك. جعله في خمسة وعشرين جزء أطلق على كل جزء منها اسم جوهرة من جواهر العقد. الكتاب شرقي في موضوعه ومادته وأسلوبه، وابن عبد ربه لا يزيد على ما على بضاعته الشرقية إلا بعض أبيات ومقاطع شعرية من نظمها يراها خير ما يقدم من أدب الأندلس.

العقد الفريد مصدرهام من مصادر الأدب العربي وتاريخ العرب. وهو جليل الفائدة الأدبية لما احتواه من آراء نقدية ومن مذاهب فنية لها قيمتها الحققة في عالم التلحين والغناء. ومن الناحية النقدية ساق ابن عبد ربه طائفة من الأقوال في مبادئ الجمال الفني في الأدب، وبعض المقاييس الجمالية. كما ساق أقوالا في الحالات النفسية لقول الشعر. وعرف أيضا كيف ينصف نفسه حكما بين النقاد فيوضح ما يعاب من الشعر وليس بعيب كما يوضح مواطن تقبيح الحسن وتحسين القبيح.

وفي ناحية الأدب وتاريخه فقد استطاع ابن عبد ربه أن يجمع في كتابه طائفة جليلة من الشعر في مختلف أغراضه وموضوعاته وأوزانه وطريقة استخراجها. وقد جمع طائفة من أخبار الشعراء والأدباء إلى جانب الأخبار وأمثال العرب وخطبهم التي تدخل في صلب تاريخ العرب منذ الجاهلية إلى عهده. كل ذلك من غير إغراق في الإسناد ولا تكلف في التعليل والمناقشة، ولا اعتماد للسجع والزخرفة. وهكذا كان أسلوب ابن عبد ربه أسلوب أدب وطبيعية وسلاسة. وكتابه كنز نفيس في المكتبة العربية.

كتاب الفهرست لابن النديم

مؤلف الكتاب: هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق النديم الوراق، كنيته أبو الفرج. صاحب كتاب الفهرست من أقدم كتب التراجم وأفضلها. لم تحدد كتب التاريخ سنة ولادته، ولكنه ذكر في ترجمته للصفوي أنه لقيه سنة ٣٤٦هـ. مما يدل على أنه كان شاباً في ذلك الوقت. ويُعتقد أنه من بغداد يعمل وِزاقاً يبيع الكتب، توفي في بغداد ف سنة ٣٨٠هـ.

الفهرست أو الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنّفوه من الكتب لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم. وهو كتاب يرصد حركة التأليف في العالم الإسلامي على امتداد القرون الأربعة الأولى للإسلام، قدمه ضمن عرض منهجي للتراث العربي في عشر مقالات كل مقالة تشتمل على عدّة فنون، وتنقسم المصادر التي اعتمدها ابن النديم في بناء كتابه إلى مصادر أدبية، ومعلومات استمدتها من خطوط العلماء، وما رآه بنفسه من الكتب والمجلدات وما أخبره به أقرانه ومعاصروه الثقات.

يعتبر كتاب الفهرست لابن النديم من أقدم الكتب التي أرخت أسماء الكتب وأسماء مؤلفيها في مختلف العلوم، وهو كتاب غير مسبوق يرصد حركة التأليف في العالم الإسلامي، على امتداد الأربعة قرون الأولى للإسلام. ولا توجد نسخة تامة في أي مكتبة في العالم وإنما هناك قطع مختلفة منه موزعة بين عدّة مكاتب في العالم. أوضح النديم في مقدمة فهرسه مقصده من التأليف بقوله: هذا فهرست كتب جميع الأمم من العرب والعجم، الموجود منها بلغة العرب وقلمها، في أصناف العلوم وأخبار مصنفيها وطبقات مؤلفيها وأنسائهم، وتاريخ موالدهم ومبلغ أعمارهم وأوقات وفاتهم، وأماكن بلدانهم، ومناقهم ومثاليهم، منذ ابتداء كل علم اخترع. كان للمؤلف أسلوب غريب، قلّ من كتب بطريقته من المؤلفين، وهو أسلوب اقتصادي يكره اللغو والمقدمات والإطالة في أداء المعنى. وقد جعل المؤلف البناء الأساسي للكتاب بذكر قوائم عناوين الكتب التي تنقسم إلى صنفين: قوائم مؤلفات مؤلفين بأعيانهم، وهي التي تهيم على سائر الكتاب. وقوائم مؤلفات متعلقة بموضوع معيّن كما في الفن الثالث من المقالة الأولى الخاص بعلوم القرآن، وكذلك في نهاية الفن الثالث من المقالة الثانية حيث يقدّم قوائم بالكتب المؤلفة في غريب الحديث وفي النوادر. والأصل عنده أن يرتب المؤلفين وقوائم مؤلفاتهم في كلّ فن ترتيباً تاريخياً اعتماداً على تاريخ وفاتهم، رغم وجود فراغات كثيرة في الكتاب تتعلق بتاريخ عدد من المؤلفين الذين ذكرهم ولم يُعرف تاريخ وفاتهم أو لأنهم كانوا معاصرين له وعاشوا فترة بعد تأليف كتابه، أو لم يكن متأكداً من أمرهم. وبالرغم من أنّ الأصل عند ابن النديم هو ذكر أسماء المصنّفين وقوائم مؤلفاتهم، إلا أنه يترجم أحياناً لشخص لا تصنيف له، مثل أحمد بن إبراهيم اللغوي، حيث كان خطأً. وأوضح ابن النديم في الفن الثالث من المقالة الثالثة عن منهجه في الترتيب داخل الفنون بقوله: إذا ذكرت من المصنّفين إنساناً أتبعته بذكر من يقاربه ويشبهه وإن تأخرت مدة عن مدة من أدركه بعهدته وهذا سبيلي في جميع الكتاب.

رتّب ابن النديم كتابه في عشر مقالات، تناول في المقالات الست الأولى موضوعات إسلامية، أما المقالات الأربع الأخيرة فتناول فيها موضوعات غير إسلامية، كالفلسفة وكتب الرياضيات وغيرها: المقالة الأولى تناول فيها وصف لغات الأمم المختلفة وأسماء كتب الشرائع السماوية ثم القرآن الكريم واختلاف المصاحف وأخبار القراء. المقالة الثانية: خصّصها للنحويين واللغويين. المقالة الثالثة: للأخباريين والنسايين وكتب السير. المقالة الرابعة: للشعر والشعراء. المقالة الخامسة: للكلام والمتكلمين. المقالة السادسة: للفقه والفقهاء والمحدثين. المقالة السابعة: للفلسفة والعلوم القديمة. المقالة الثامنة: لكتب الخرافات والمشعبذين والسحرة. المقالة التاسعة: للمذاهب والاعتقادات القديمة والزنادقة ومذهب أهل الهند وأهل الصين. المقالة العاشرة: للكيميائيين والصنّعوين من الفلاسفة.

تأتي أهمية كتاب الفهرست لابن النديم ، من كونه يقدم لنا أوّل رؤية شاملة للثقافة العربية حتى عصر مؤلفه، بحيث إنّ الحضارة العربيّة لم تعرف على الإطلاق كتاباً مماثلاً حتى بداية ظهور الطباعة في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وهو يعدّ أوّل تاريخ للتراث الإسلامي، سيظلّ على الدوام المصدر الرئيس لمعرفة مصادر الفكر والأدب والعلم في القرون الأولى للإسلام. فالمعلومات التي جمعها النديم في كتابه تثير الإعجاب وتجعل منه كتاباً متفرداً في نوعه بالغ القيمة، فهو يقدم في المقالة السابعة، أفضل عرض يوضّح كيفية انتقال الثقافة اليونانية إلى العرب والمسلمين ، والإسهامات المهمة التي أضافها هؤلاء في مجالات العلوم المختلفة .

إنّ المتنبع للكتاب يرى أنّ المؤلف نصّ في مواضع كثيرة على أنّه ألفه سنة ٣٧٧هـ حيث ورد في آخر المقالة الأولى: هذا آخر ما صنّفناه من المقالة الأولى من كتاب الفهرست إلى يوم السبت مستهل شعبان سنة ٣٧٧. فيظهر أنّ المؤلف كتب نسخته سنة ٣٧٧ وان يترك فراغاً يملؤه بما يجده بعد ذلك. وظلّ يعمل في نسخته إلى حين وفاته.

معجم البلدان لياقوت الحموي

كتاب معجم البلدان موسوعة شهيرة للأديب والشاعر الشيخ الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي المشهور بياقوت الحموي. ولقد كتبها بين الأعوام ١٢٢٠ و ١٢٢٤ ميلادية. ويعد معجم البلدان مصدراً تاريخياً هاماً لوصف تلك الحقبة، وتمت طباعته عدة مرات وترجم إلى مختلف اللغات. كما أنّ الكتاب يحتوي على وصف لبلدات ومدن ودول عديدة خلال تلك الفترة بأسلوب عربي بليغ .

ويذكر في كتابه المواضيع التالية: ذكر صورة الأرض وماقاله المتقدمون والمتأخرون من العلماء فيها. أخبار البلدان والتي يختص ذكرها بموضع دون آخر. تعريف لوحدة القياس المتداولة في زمانه كالفرسخ والبريد والكورة والميل. تعريف بمعنى الأقليم وطبيعته. تعريف بالأراضي والأقاليم التي ينتشر

فيها الدين الإسلامي في زمانه. ذكر البوادي والقفار ومنازل العرب اعتمادا على الشعر العربي والنثر المغني والأمثال من هؤلاء العلماء الأصفى وهشام الكلبي وأبو سعيد السيرافي.

هو ياقوت بن عبد الله الحموي الثالث، ولد في بلاد الروم ونشأ بها. وقع أسيرا في بعض الحروب بين المسلمين والروم في أيدي المسلمين، وبهذا الأسر بدأ حياة عظيمة من العلم والأدب والتصنيف. وأصبح مملوكا لرجل بغدادى اسمه عسكر الحموي فأرسله إلى المعلمين. وكان مستهويا بالعلم يقرأ كثيرا، أعتقه الحموي. وبعد وفات السيد انصرف ياقوت إلى معالجة أمور نفسه فتاجر وتنقل في البلاد الإسلامية الواسعة، ولما زحف التتار كان في خوارزم ففر هاربا وترك كل ما يملكه. ولياقوت الحموي ملكة في التأليف وترتيب الكتب أثنى عليها كثير من المؤرخين. ومن مؤلفاته معجم البلدان. ومعجم الشعراء، وأخبار المتنبي، و"عنوان كتاب الأغاني".

معجم الأدباء لياقوت الحموي

وهذا الكتاب يناظر لكتابه معجم البلدان. اسمه الكامل الذي اختاره ياقوت هو "إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب". ويسميه بعض الباحثين "إرشاد الأديب إلى معرفة الأدباء". وهذا الكتاب يعتبر من آثار الترتيب العلمي والأدبي في العصر العباسي الأخير. وقد ألف هذا الكتاب في الربع الأول من القرن السابع بعد نضج الثقافة العربية. ولما كان له كتاب باسم معجم الشعراء استبعد في كتابه "معجم الأدباء" الشعراء الذين لم يشتهروا بغير الشعر كالمتنبي مثلا، فقال في المقدمة: "جمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي من أخبار التحويين واللغويين والقراء المشهورين والإخبارين والمؤرخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة، وأرباب الخطوط المنسوبة، والمغنية. وكل من صنف في الأدب تصنيفا أو جمع فيه تأليفا.

وقد حاول في هذا الكتاب لإثبات الوفيات وتبيين المواليذ والأوقات. كما حاول لذكر تصانيفهم ومستحسن أخبارهم مع ذلك أنه حذف مالا فائدة من الأسانيد "عن فلان عن فلان"، وأنه حدد خطة الكتاب في المقدمة. وتجري الدقة جهد المستطاع في التواريخ. وأنه ذكر المؤلفات وأمثلة شعر الشعراء ونثر الناثر. وأخيرا أثبت المصادر والمراجع ليتمكن القراء للرجوع إلى الأصل.

إن هذا الكتاب موسوعة حافلة لكثير من أعلام الأدب العربي جمع لها المؤلف مادته من دواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الأدب ومن أقوال الرواة ومن تفاريق الكتب وما حصله في أسفاره التي كانت ولا شك عاملا من عوامل اتساع ثقافته وتزايد معارفه ومعلوماته. وإلى أهمية هذا الكتاب يشير اهتمام المستشرقين به. وذلك إنه لقي كثيرا من عناية المستشرقين حتى قام بالطبعتين الأولتين منه المستشرق مرجوليو، ثم تتابعت طبعاته.

الكتاب: لسبويه في النحو والصرف

هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي يكنى أبو بشر، الملقب بسيبويه، إمام النحاة وأول من بسط علم النحو. أخذ النحو والأدب عن الخليل بن أحمج الفراهيدي ويونس بن حبيب وأبي الخطاب الأخفش وعيسى بن عمر. ورد بغداد وناظر بها الكسائي، وتعصبوا عليه وجعلوا للعرب جعلاً حتى وافقوه على خلافه.

الكتاب أحد أهم مؤلفات اللغوي البصري سيبويه ويعتبر أول كتاب مهجي ينسق ويدون قواعد اللغة العربية. وقال عنه الجاحظ أنه لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله. أُلّف الكتاب في القرن الثاني للهجرة الموافق للثامن من الميلاذ. سمي بالكتاب لأن مؤلفه تركه دون عنوان. من المقطوع تاريخياً أن سيبويه لم يسمه باسم معين، على حين كان العلماء في دهره ومن قبل دهره يضعون لكل كتاب اسماً، وقد يكون أعجل عن تسميته بأنه احتضر شاباً، فلم يتمكن من معاودة النظر فيه واستتمامه، وقد سماه الناس قديماً قرآن النحو. قال عنه السيرافي: وكان كتاب سيبويه لشهرته وفضله علماً عند النحويين، فكان يقال بالبصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنه كتاب سيبويه. وقال الجرمي: أنا منذ ثلاثون سنة أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه

مروج الذهب للمسعودي

أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي ولد في بغداد ونشأ مكباً على العلم، وفي العشرين من عمره سافر في البلاد فزار مصر وبلاد فارس حتى استقر في اصطخر، ثماً سافر إلى الهند وسيلان وبلاد الصين واجتاز المحيط الهندي ووصل إلى مدغشقر وعاد إلى عمان. وقام برحلة أخرى إلى ما وراء أذربيجان وجرجان والشام وفلسطين، توفي في سنة ٣٤٦هـ. لقب المسعودي بإمام المؤرخين في العربية، وبهرودوتس العرب. وله آثار كثيرة ضاع قسم كبير منها، ومن ذلك كتابه أخبار الزمان ومن أديابه الحدائق، وكتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، وكتاب الأوسط، وكتاب التنبيه والإشراف، ومن أشهر كتبه مروج الذهب ومعادن الجواهر.

وفي كتاب مروج الذهب ذكر المسعودي أنه ألف كتاباً كبيراً في أخبار الزمان ثم اختصره وسماه الأوسط، ثم أجمل ما بسطه في هذا الكتاب، هذا الكتاب كتاب تاريخ وجغرافية جعله في جزئين يتضمن الأول منهما كلاماً في الأنبياء وفي البحار والبلدان وغرائبها، وفي تاريخ الأمم السالفة في أديانهم وعاداتهم وفي تاريخ العرب حتى مقتل عثمان بن عفان. ويتضمن الجزء الثاني تفصيلاً لتاريخ الإسلام من عهد علي بن أبي طالب إلى خلافة المطيع لله العباسي.

المسعودي في هذا الكتاب رجل يريد التفصيل والتطويل، ولم يضع حداً لكتابته، وقد صاغ التاريخ بأسلوب أدبي كما أراد أن يكون مفكها لقومه، فمزج التاريخ بالخرافات والجغرافية بالأساطير سالكا طريق الاستطرادات القصصية الوصفية، وقد حاول أحياناً التحري والتدقيق والنقد. وحاول في نظرياته الجغرافية أن يسر أغوار الناس ويتفهم طبائعهم وعاداتهم، ويحلل أشكال الكون وما على

الأرض من مظاهرها حسب مقداره في ذلك الزمان الذي قل فيه الوسائل العلمية. ولكتابها قيمة أدبية حقيقية فعبارة شديدة السلاسة، واضحة المعاني وموسومة بسمه الجمال والروعة الفنية. والمسموعدي ينبوع من أغرز ينابيع التاريخ والجغرافية ومرجع من أهم المراجع.

كتاب الحيوان للجاحظ :

يشتمل هذا الكتاب على وصف طبائع الحيوانات، وقد أودعه الجاحظ من الحكمة والأدب والظرف، ودون فيه ما وجدته في كتب العلم والأدب والأشعار والأقوال والأحكام والأسمار عن الحيوانات وعلاقتها بالإنسان. وذكر الجاحظ الباعث على وضع هذا الكتاب أنه بيان ما في الحيوان من الحجج على حكمة الله العجيبة وقدرته الباهرة. وقد طبع هذا الكتاب مرارا في عدة أجزاء. إن لهذا الكتاب مصادر كثيرة. منها عربية وهي آثار أساتذته كالأصمعي وأبي عبيدة وبشر بن المعتمر والنظام، ثم القرآن والحديث وأخبار وأشعار عربية. وأما مصادر الجاحظ الأجنبية فهي كتب أرسطو ومؤلفات أقليمون وجالينوس، وكتب الفرس وأقوال اليهود والنصارى.

مضمون الكتاب : ضمن الجاحظ كتابه معلومات واسعة في الحيوان وغير الحيوان ومزج الجد بالهزل والعلم والأدب والفكاهة بالمجون. ففيه معلومات وافرة أكثر من طبائع الحيوانات. جعل الكتاب سبعة أجزاء. الأول مقدمة فصل فيه فضل الكتاب وقال عن الديك والكلب، وفي الجزء الثاني تنمة على الكلب والثالث على الحمام والذباب والغربان وغيرها. والرابع في الذرة والنمل والقرود والخنزير والحياق والطيوم. والخامس يتضمن قسمين الأول تنمة الكلام على النار وتفسير بعض الآيات والقسم الثاني عن الفأر والجرذان وغيرها. والجزء السادس يتضمن تفسير القصيدة الهيراني في الحيوان. وقصائد أخرى والكلام عن التمساح والهدهد وغيرها من الحيوانات. والجزء السابع برهان إلى هدفه بالكتابة وهو إظهار حكمة الله وقدرته. ومع ذلك لا يخلو من الكلام عن بعض الحيوانات.

قيمة الكتاب : كتاب الحيوان خال من الوحدة التأليفية، فيه تنقل من موضوع إلى آخر، واستطراد، ومزج الجد بالهزل، وجدل ومناظرة. وهو خزانة معلومات كثيرة عن تاريخ العرب وغير العرب. أما من الوجهة العلمية فيظهر فيه الجاحظ عالما يتناول الموضوعات العلمية وتتبع أصول العلم في التحقيق، فيعتمد الحواس والعقل ويجعل الشك سبيلا إلى اليقين. ويضيف إلى الشك النقد العلمي. ولكن علم الجاحظ لا يخلو من ضلال. كما فات الرجل روح الترتيب، وقدرة العالم على التعميم واستنباط القوانين العامة والتمكن من إنشاء المقاييس العلمية.

البخلاء للجاحظ :

هو كتاب طريف جمع فيه الجاحظ أخبار البخلاء والمقتصددين، فصور حالهم المختلفة كما شاهدها أو بلغ خبرها. فترى في هذا الكتاب طرائف مشاهيرهم من العلماء والأدباء، والمناظرات بين الكرم والبخل. وقد صدر هذا الكتاب برسالة سهل بن هارون في البخل. أوضح الجاحظ في مقدمة الكتاب أن ما حملة

على وضعه هو الفائدة التي أداها كتابه الآخر عنوانه " تصنيف حيل لصوص النهار وتفصيل حيل سراق الليل". وقد تأثر به الناس. وطالب منه أحد أصدقائه أن يضع كتابا في أخبار البغلاء مما يجد الناس فيه الهزل والجد. وقد ساعده على توفير مادة الكتاب كثير من الكتب والرسائل والخطب.

مضمون الكتاب : يفتح الجاحظ الكتاب بنظرة عامة على نفسية البغلاء وجعلها مقدمة للموضوع. فزرى أنه كان معجبا ممن قد فطن للبخل وإفراط أشحة فضلا عن تمويه البغلاء. يذكر الجاحظ فطنهم لعبوب غيرهم. وبعد هذه المقدمة يضع الجاحظ رسالة سهل بن هارون في البخل. ثم ينتقل الجاحظ إلى الموضوع فيبدأ بقصة أهل خراسان ومرو. ويصورهم أن البخل من طبعهم ثم يتبع هذه القصة بقصة أهل البصرة من المسجدين وقصص يزيد بن حميد الصبري وليلى الناعطية وأحمد بن خلف وخالد بن يزيد وأبي جعفر والخرامي والحارثي وغيرهم. ثم يثبت الجاحظ رسالتين، إحداهما من أبي العاص إلى الثقفى في ذم البخل والأخرى جواب ابن التوأمة على رسالة الثقفى.

قيمة الكتاب : ولهذا الكتاب قيمتان الأولى دراسة الأخلاق والثانية قيمة تاريخية. ومن ناحية الأولى نلاحظ أنه قصر همه على ناحية واحدة من نواحي الأخلاق. هي البخل ويتخذ في كلامه أسلوب من يقدم في أشخاصه رموزا إلى كل من أحب المال وعلق المادة. ويعرض لنا القصص بلا ترتيب فيكون وحدة تأليفية. وليست غاية الجاحظ في هذا الكتاب الهجاء لمجرد الهجاء. إنما غايته إصلاح تلك الفئة من الناس التي اتخذت البخل مذمبا، مع أنه يفضل الاقتصاد ويذكر أهميتها. وأشخاص الجاحظ أحياء يتحركون وهم أصحاب جدل ومنطق يلجأون إلى البراهين وبغلاء الجاحظ هم من طياب البغلاء، لا تمل قراءة أخبارهم.

ومن الناحية التاريخية يطلعنا هذا الكتاب على ناحية من نواحي المجتمع العباسي، لاسيما البصرة وخراسان. ويفضل طرق عيشهم وأساليب كلامهم وعاداتهم وأمثالهم وأخبارهم إضافة إلى أخبار الروم والفرس وغيرها.

البيان والتبيين للجاحظ :

البيان والتبيين كتاب في الأدب من آخر ما ألفه الجاحظ. يتضمن مختارات من الأدب من أية قرآنية أو حديث أو شعر أو حكمة أو خطبة مزوجة بالآراء في مسائل مختلفة. قدمه الجاحظ إلى القاضي أحمد بن أبي داود. وقد طبع هذا الكتاب في مصر سنة ١٩٢٦ ثم كثرت طبعه. وهي في ثلاثة أجزاء.

أقسامه : تشيع في هذا الكتاب فوضى في التأليف. ولذلك لا نستطيع تمييز أقسامه. فالجاحظ يمزج في هذا الكتاب علوم البلاغة بالأدب والتاريخ وفي هذا الكتاب كلام على ماهية البلاغة والفصاحة وعبوب اللسان كاللحن والفاة وغيرها. ويلحق على ذلك الكلام الخطابة وعبوب الخطيب كما يلحق بالبلاغة ما يرجع إلى موسيقى الكلام من حروف وألفاظ وسجع وما إلى ذلك. أما ما يرجع إلى الأدب فأيراد الكثير

من كلام العرب في العهد الراشدي والأموي والعهد العباسي من شذرات مأثورة منتقاة ومن خطب بليغة. وأما ما يرجع إلى التاريخ فكثير من أخبار الخطباء والعلماء والأمراء والكهانة والنسك وغيرهم.

قيمة الكتاب: إن لهذا الكتاب قيمة تاريخية فتظهر نزعة الجاحظ العربية فهو يرد على الشعبية ويكثر إيراد قدرة العرب على البلاغة. يضيف في كتابه إلى الثقافة العربية الواسعة عناصر مختلفة مما تقدمه الثقافات الأخرى مثل اليونانية والفارسية والهندية وغيرها. فالحقيقة أن كتابه مزيج من الثقافات المختلفة تغلب عليه الثقافة العربية. فهو يعرض في هذا الكتاب أدب العرب والفارس وحكم الهنود ونصائح اليهودية والمسيحية. وهو يتكلم على مذهب التناسخ وينقل أقوالا لداود والمسيح، ويذكر عادة الرهبان. كما يذكر أن للهنود كتباً في الحكم والأسرار، وأن لليونان منطلقاً يعرف به الخطأ من الصواب وغير ذلك من المعلومات الواسعة.

ومما لا شك أن في كل فصل من فصول هذا الكتاب فوضى استطراد. فالجاحظ لا يرعي للوحدة التأليفية نظماً ولا يقيم وزناً. ومع ذلك إن للكتاب قيمة حقيقية جعلت له محلاً خاصاً ما بين أصول فن الأدب وأركانه حتى اعترف به ابن خلدون في مقدمته قائلاً: "سمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين. وهي أدب الكاتب لابن قتيبة، وكتاب الكامل للبرد، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ، وكتاب النوادر لأبي على القالي. وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها.

البديع لابن المعتز

ابن المعتز شاعر وخليفة عباسي، مر الذكر عليه. وله مؤلفات في النقد والبلاغة إلى جانب أعماله الشعرية. ومن أروع كتب ابن المعتز كتاب البديع الذي أحدث أهمية كبرى في تاريخ النقد العربي. وهذه الأهمية ترجع إلى أمرين. (١) تحديد لخصائص مذهب البديع. (٢) تأثيره في النقاد اللاحقين له. إنه وضع بعض المصطلحات للبديع ونقد الفنون. أشار ابن المعتز في كتابه إلى أن البديع كان موجوداً في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث النبوي وأقوال الصحابة والأعراب وغيرهم. إلا أنه جاء بلا قصد به. والمحدثون من بشار وأبي نواس ومسلم بن الوليد ومن اتبعهم أكثروا في شعرهم هذا الفن حتى سمي هذا الفن. بعد مجيء أبي تمام حبيب بن أوس أصبح البديع مقصوداً بنفسه. ومن الواضح أن ابن المعتز بحث في هذا الكتاب عن خصائص مذهب البديع، وحاول إحصائها ووضع مصطلحاتها. فوضع خمسة خصائص أو وسائل. نستطيع أن نلخصها إلى ثلاثة أنواع.

(١) الاستعارة: وهذه عنصر أصيل في الشعروي خيوط نسجه.

(٢) الطباق والجناس ورد الأعجاز: الطباق مجرد مقابلات بين المعاني والجناس إما عبث لفظي أو لعب بالمعاني واستخدام الألفاظ المختلفة في معنى واحد. أما رد الأعجاز هو حيلة لفظية ولباقة في طرق الأداء. وكل هذه محسنات لفظية وضعها البلاغيون فيما بعد في باب البديع.

(٣) المذهب الكلامي هو نوع من الجدل والعقل والقدرة على توليد المعنى والدقة في المفارقات.

خلاصة القول إن ابن المعتز رد هذه الأوجه البديعية إلى الأصول من التراث العربي. وكان لهذا أعظم الأثر في توجيه النقد وجهة تاريخية. وهذا أدى النقاد إلى مسألة السرقات. وله الفضل في تحريك النقد وتوجيهه. ويكفيه أنه بكتابه هذا قد حدد للخصومة بين أرباب القديم وأرباب الحديث أهدافها. إذ وضع خصائص ذلك المذهب الجديد الذي اقتتل حوله أدباء القرن الرابع كلهم.

دلالتل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني

عبد القاهر الجرجاني علم من أعلام اللغة وعلم البلاغة. ولد في جرجان من بلاد فارس، نشأ فقيراً، لم يجد فضيلة من مال تمكنه من أخذ العلم خارج مدينة جرجان، أخذ العلم عن أبي الحسين بن الحسن والقاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني. وتتلذذ على كتب سابقه ومعاصره من النحاة والبلاغيين والنقاد والأدباء والمتكلمين. ومن مؤلفاته كتاب المغني وكتاب الإيضاح كتاب التكملة وكتاب الجمل وغيرها.

كتاب دلالتل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني يتناول معنى البلاغة من خلال طرح نظرية النظم حيث انتقل بالبلاغة من ألفاظ صعبة ومعقدة إلى علم يمكن دراسته وتطوره، اتبع هذا المقال لتتعرف على نبذة عن كتاب دلالتل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني. كتاب دلالتل الإعجاز يضم نظرية الجرجاني في البلاغة، نظرية النظم، ويعد من من أهم كتب إعجاز القرآن الكريم، حيث يبين أهمية النحو والبلاغة. يوضح الجرجاني أن القاعدة الصحيحة للدارس هي معرف مستخلصة من الألفاظ ونحوها، لأنه لا يمكن الوصول إلى فهم اللفاظ وارتباطاتها ببعضها إلا بالنحو. وقال إن الجهل بالنحو ناتج عن كون زمانه قد تغير إلى أسوأ. شرح الكاتب النحو وأهميته من خلال التحدث عن نظرية النظم، فلا يمكن فهم النحو إلا بفهم أصول النحو لمعرفه معنى الكلمة وسياقها في الجملة والغرض منها. يوضح أنه لا يمكن إدراك قيمة اللغة إلا من خلال موقعها النحوي أولاً، ثم من خلال موقعها في سياق الكلام. قيل عن إعجاز القرآن والإعتراف بيه من قبل العرب «وأنهم رأوا أنفسهم فأحسنوا بالعجز أن يأتوا بما يوازيه أو يدانيه أويقع قريباً منه، وكان محالاً أن يدعوا معارضيه وقد تحدوا إليها، استعان الجرجاني بأمثلة من القرآن الكريم على صحة نظرية النظم. قال الجرجاني انه لا فضل لحرف على حرف، أو اسم على اسم، أو كلمة على كلمة، وإن الكلمة المجردة لا تفضل ولا تحسن. تحدث عن حسن التنكير والتعريف في القرآن الكريم واستعانته بقول الله تعالي "ولكم في القصص حياة".

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني

يعد هذا الكتاب واحد من الكنوز الادبية. حيث يُسلط الضوء فيه حول علم البلاغة وأصوله، ويعتبر من أهم ما كتب في علم البلاغة، بل العمدة فيه؛ إذ إن مصنفه الجرجاني كان إمام البلاغة في عصره، وقد تكلم فيه عن الجناس والسجع والاستعارات والتشبيه والمجاز وغير ذلك من فروع علم البيان، وقد أكثر من ذكر الشواهد والأمثلة على ذلك.

جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي

جمهرة أشعار العرب كتاب لأبي زيد القرشي ، وهو مجموعة في اختيار الشعر العربي الجاهلي والمخضرم والإسلامي. قد قسم الكتاب إلى سبعة أقسام وكل قسم سبع قصائد وجعل كل الأقسام متدرجة من العصر الجاهلي حتى العصر الأموي.

افتتح أبو زيد القرشي كتابه بقوله "هذا كتاب جمهرة وقارن المؤلف بين لغة الشعر ولغة القرآن والعمالقة وبعض العرب البائدة مثل قوم عا ود وثمود، هذا جعل مقدمة الكتاب يشوبها الروح الغيبية التي تنسب الشعر إلى قوى خارقة للطبيعة أو إلى أناس من العصور القديمة دون إدراك وإعي لنشأة اللغات وتطورها. أورد القرشي رأي النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الشعر وأنه كان يسمعه ويجيزه ثم ذكر الأسباب في تعيين طبقات فحول الشعراء والمفاضلة بينهم وذكر بعض أخبارهم. وقد قسم هذا الكتاب إلى أقسام بعد أن قام بتقسيم الشعراء إلى طبقات. القسم الأول يختص بالطبقة الأولى والقسم الثاني بالطبقة الثانية وهكذا.

أطلق على كل طبقة اسم خاص على النحو التالي:

الطبقة الأولى : وهم أصحاب المعلقات وقد ذكر معلقات كل من امرئ القيس وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني ولييد بن ربيعة والأعشى وعمرو بن كلثوم وطرفة بن العبد وعنترة بن شداد الطبقة الثانية: أصحاب المجهرات وقد ذكر قصائد كل من عبيد بن الأبرص وعدي بن زيد وبشر بن أبي خازم وأميرة بن أبي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب. الطبقة الثالثة: أصحاب المنتقيات وقد ذكر في قصائد كل من المسيب بن علس والمرقس الأصغر والمهلبل بن ربيعة والمتلمس وعروة بن الورد ودريد بن الصمة والمتنخل الهذلي . الطبقة الرابعة: أصحاب المذهبات وهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ومالك بن عجلان وقيس بن الخطيم وأحيحة بن الحلاج وأبو قيس بن الأسلت وعمرو بن امرئ القيس. الطبقة الخامسة: أصحاب المرثي وقد ذكر منهم أبو ذؤيب الهذلي ومحمد بن كعب الغنوي وأعشى باهلة وعلقمة الحميري وأبو زيد الطائي وتميم بن نويرة ومالك بن الربيع التميمي الطبقة السادسة : أصحاب المشوبات وهم الشعراء المخضرمين وقد ذكر منهم نابغة بن جعدة وكعب بن زهير والقطامي والحطيئة والشماخ بن ضرار وعمرو بن أحمر الباهلي وتميم بن مقبل . الطبقة السابعة: أصحاب الملحمتات وقد ذكر منهم الفرزدق وجربير بن بلال والأخطل وعبيد الراعي وذو الرمة والكميت والطرماح بن حكيم الطائي. . .

عيوب جمهرة أشعار العرب :لم يذكر القرشي سبب تقدم كل طبقة على غيرها من الطبقات ولم يذكر سبب ابتدائه بالمعلقات . جعل المرثي مجموعة قائمة بذاتها لأن الطبقات الأخرى بحسب المستوى الفني وهذه الطبقة الوحيدة التي وضعت بحسب الموضوع. لم يذكر القرشي الفروق الفنية الموجودة في الطبقات السبع ولم يذكر أي تعليق يبين سبب تفضيل قصيدة على أخرى ولم يوازن بين القصائد.

طبع كتاب جمهرة أشعار العرب لأول مرة في مطبعة بولاق بمصر عام ١٣١١ هجري ثم طبعها دار صادر ودار بيروت سنة ١٩٦٧ ثم طبعة بتحقيق علي محمد البجاوي سنة ١٩٦٧ م.

مجمع الأمثال للميداني

أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الميداني أبو الفضل النيسابوري أديب فاضل عالم نحوي لغوي . مات ٥١٨ هـ ودفن بمقبرة الميدان . قرأ على أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي وعلى يعقوب بن أحمد النيسابوري . وله من التصانيف : كتاب جامع الأمثال جيد نافع، كتاب السامي في الأسامي، كتاب الأنموذج في النحو، كتاب الهادي للشادي، كتاب النحو الميداني، كتاب نزهة الطرف في علم الصرف، كتاب شرح المفضليات، كتاب منية الراضي في رسائل القاضي.

مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ هو كتاب من تأليف الميداني ، ويعتبر هذا الكتاب مرجع في الأمثال العربية القديمة، لا تقل صفحاته من ألفى صفحة مقسمة على ثلاثين بابا، حافلة بروايات وأشعار وأمثال العرب في الجاهلية وفي الإسلام، يحكى أن الزمخشري بعدما ألف المستقصى في أمثال العرب وقع له هذا الكتاب فأطال نظره فيه وأعجبه جدا ويقال إنه ندم على تأليفه المستقصى لكونه دون مجمع الأمثال في حسن التأليف والوضوح وبسط العبارة وكثرة الفوائد. وقد اختصر " مجمع الأمثال " شهاب الدين محمد القضاعي الخوي من تلاميذ الميداني.

الشعر والشعراء لابن قتيبة

أبومحمد بن عبد الله بن قتيبة ولد ببغداد سنة ٢١٣ هـ ثم سكن الكوفة وتولى قضاء الدينور، وإلها نسب فاشتهر بالدينوري. وكان من أكابر أئمة الأدب والنحو واللغة والنقد. وله كثير من التصانيف. تنقل بين الكوفة والبصرة وبغداد ودينور. إنه مال إلى علم الكلام ثم إلى صف رجال الحديث. وهو يعتبر من أساتذة مدرسة بغداد النحوية التي خلطت بين مذهبي البصرة والكوفة، وقد عاش مدة النضج العلمي في بغداد يدرس طلابه اللغة والدين والأدب. وكان ماهرا في اللغة الفارسية أيضا. توفي سنة ٢٧٦ هـ ببغداد.

ومن مؤلفاته: كتاب تأويل مختلف الحديث، وأدب الكاتب، والمعارف، والمعاني، وعيون الأخبار، والشعر والشعراء. وكان أسلوبه أسلوب المعلمين لا يتعبد للسجع، بل ينطق حسب مقتضى جريا على ما يلائم فهم السامعين. ولعله استفاد من أسلوب الجاحظ وابن المقفع.

يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء "أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في شعرهم وقياباتهم وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يختار الشعر عليها ويستحسن لها". هذا القول يشير إلى أنه يتناول التاريخ والنقد. والصحيح أنه لم يتناولها بنقد فني تطبيقي، بل اكتفى بعرض لبعض المسائل العامة مع مبادئ لها، وحاول يسير الشعراء بلا ترتيب ولا وضوح.

ومع ذلك لهذا الكتاب ميزتان كبيرتان هما : دعوته إلى عدم التفريق بين قديم ومحدث. فالجودة والرداءة تقع في كليهما. وفي رأيه كل قديم كان جديدا في عصره. هذا رأي صادق. ولكن هو نفسه يقول في بعض الأماكن في نفس الكتاب. ليس لمتأخري الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين. وهذه نظرة تناقض نظرتة السابقة. والميزة الثانية : أنه فرق بين الروح العلمية والذوق الأدبي. فاشتغال الأديب في مصطلحات الفلسفة لا يفيد في الأدب، بل يضعف ذوقه. والتربية على ذوق الأدب حفظ النماذج الأدبية وتقليدها. وسار على مذهب الذي يقول : "إن اللفظ في خدمة المعنى. لأن المعنى الواحد يمكن أن يعبر عنه بألفاظ مختلفة". وفي الحقيقة أن ابن قتيبة يختلف عن ابن سلام الجمعي اختلافا تاما، إلا أنه ألف كتابا عن الشعراء. هذا الاتجاه التقريبي لابن قتيبة واضح في تقسيمه للشعر حيث يقول: "تدرت الشعر فوجدته أربعة أضرب (١) ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه. (٢) ضرب منه حسن لفظ وحلا. ليس له معنى (٣) ضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه (٤) ضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه.

ومن حكمه هذا نفهم أن أحكامه قيمة ذوقية فيها حكمان (١) إن اللفظ في خدمة المعنى (٢) لا بد لكل بيت من الشعر من معنى. وقد قسم الشعراء إلى قسمين أيضا: الشاعر المتكلف، والشاعر المطبوع. المتكلف : هو الذي قوّم شعره ونقحه وهذبه وأعاد النظر فيه. والمطبوع : هو الذي يتدفق الشعر من طبيعته. وحاول في أماكن كثيرة لتقسيم الشعراء، يقول : منهم من يسهل على المديح ويعسر على الهجاء، ومنهم من تيسر له المرثي ويتعذر عليه الغزل.

أسباب اختيار الشعر عنده كثيرة : منها جودة اللفظ والمعنى، الإصابة في التشبيه وخفة الروي، غرابة معناه، نبيل القائل وغيرها. فكتاب "الشعر والشعراء" قصص ونوادير وأخبار وحكايات، ليس فيها دراسة المذاهب الفنية أو دراسة فنون الأدب أو التيارات المختلفة. يقول محمد مندور : "وابن قتيبة بعد كل هذا ليس ناقدا. وإنما الناقد هو الرجل الذي يتناول النصوص بدرسها ويميز بين أساليهما كما فعل الأمدى".

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمعي :

محمد بن سلام الجمعي ولد سنة ١٥٠ هـ نشأ بالبصرة وأخذ اللغة عن الخليل. كانت له معرفة واسعة عميقة في مجال الأدب واللغة والنقد والنحو والأخبار، وكتب كثيرا. ومن أشهر كتابه "طبقات الشعراء" لعل هذا الكتاب أقدم ما وصل إلينا من كتب النقد في الأدب العربي. فقد درس ابن سلام الأدب وبحث المسائل الأدبية، وهذا الكتاب يتضمن فكرتين. الكلام في الشعر الموضوع. والكلام في الشعراء وجعلهم طبقات.

لقد تعرض ابن سلام في هذا الكتاب لنقد المتن. وقال بأن الشعر الذي يروي لنا عن الجاهليين والإسلاميين ليس كله صحيحا، بل فيه موضوع كثير، نراه ينقد كثيرا من الشعر ويقيم البراهين على فساده ويبين سبب فساده. والأحوال التي حملت الرواة على الوضع ونسبه إلى غير صاحبه. وفي هذا

الكتاب أنه يذكر الشعراء المشهورين ويبين حقوقهم في مجال الشعر ومكانتهم. ويقسم الشعراء إلى طبقات مختلفة. ثم يقيم الموازنة بينهم ويجعلهم طبقات حسب تفوقهم ويعلل أفعالهم. فينقل آراء القدماء في شعر الشعراء ثم يضيف إليها آراءه الشخصية فيما نظرات صائبة واتجاهات دقيقة تدل على صدق النظر. يقول الجمعي: "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات، منها ما يتقنه اليد، ومنها ما يتقنه اللسان، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرفان بصفة أو وزن دون المعاينة ممن يبصره". يقول في موازنة الشعراء "كان لكثير عزة في التشبيب نصيب وافر وجميل بثينة مقدم عليه في النسب".

واستطاع الجمعي بدقة شعوره ورقة ذوقه وطول دربته أن يميز بين صحيح الشعر ومنحوله، وما كان من القبيلة وغيرها، ولكنه كان يسير على طريقة أحكام الخيرة بالشعر فيردون الأحكام بالجيد والردئ نظرا إلى الكلمات في بعض الأحيان. ومن مميزاته محاولة ترتيب الشعر وجعلهم طبقات. إنه فطن إلى تحقيق صحة النصوص وصحة نسبتها التي تعد من أولى أسس النقد. وجعل الزمان والمكان أساسين مهمين لمحاولته وضع تاريخ للشعر العربي. وقام بتقسيم الشعراء في هذين الإطارين كأساس للنقد. ومن عيوب هذا الكتاب ليس له ترتيب محكم ونظام دقيق: يقول حنا فاخوري إن الجمعي لم يتقدم بالنقد الفن إلى الأمام تقدما كبيرا. وإن صدر في تحقيقه للأثار عن مذهب صحيح. وحاول أن يدخل في تاريخ الأدب العربي اتجاها نحو التفسير ومحاولة للتبويب تقوم على أحكام فنية.

مقدمة ابن خلدون

عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي مؤرخ عربي أندلسي الأصل وعاش في أقطار شمال أفريقيا، رحل إلى بسكرة وفاس وغرناطة وبجاية وتلمسان والأندلس، كما توجه إلى مصر حيث أكرمه سلطانها الظاهر بقوق، وولي فيها قضاء المالكية، وظلَّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ)، حيث تُوفِّيَ عام ١٤٠٦ م. عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركا تراثا ما زال تأثيره ممتدا حتى اليوم.

المقدمة هو كتاب ألفه ابن خلدون سنة ١٣٧٧ م. كمقدمة لمؤلفه الضخم الموسوم كتاب العبر (الاسم الكامل للكتاب هو كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر). وقد اعتبرت المقدمة لاحقا مؤلفاً منفصلاً ذا طابع موسوعي إذ يتناول فيه جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والعمران والاجتماع والسياسة والطب. وقد تناول فيه أحوال البشر واختلافات طبائعهم والبيئة وأثرها في الإنسان. كما تناول بالدراسة تطور الأمم والشعوب ونشوء الدولة وأسباب انهيارها مركزاً في تفسير ذلك على مفهوم العصبية. بهذا الكتاب سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى الآراء والأفكار حتى اعتبر مؤسساً لعلم الاجتماع، سابقاً بذلك الفيلسوف الفرنسي أوغست كونت.

ويمكن تلخيص المقدمة في مجموعة نظريات وأسس وضعها ابن خلدون لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع على عكس ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس الحقيقي هو الفرنسي أوغست كونت. ومن خلال قراءة المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم أساسية تؤكد ذلك وهي أن ابن خلدون في مقدمته يبيّن أن المجتمعات البشرية تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما درست وفُهمت جيداً، وأن هذا العلم (علم العمران كما أسماه) لا يتأثر بالحوادث الفردية وإنما يتأثر بالمجتمعات ككل، وأخيراً أكّد ابن خلدون أن هذه القوانين يمكن تطبيقها على مجتمعات تعيش في أزمنة مختلفة بشرط أن تكون البُنى واحدة في جميعها، فمثلاً المجتمع الزراعي هو نفس المجتمع الزراعي بعد ١٠٠ سنة أو في العصر نفسه. وبهذا يكون ابن خلدون هو من وضع الأسس الحقيقية لعلم الاجتماع. وقد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران، وبناء الدولة وأطوار عمارها وسقوطها. وقد سبقت أراؤه ونظرياته ما توصل إليه لاحقاً بعدة قرون عدد من مشاهير العلماء.

يتكون كتاب العبر من سبعة أجزاء والجزء الثامن للفهارس، وهو عبارة عن محاولة إسلامية لفهم التاريخ العالمي ويعتبر من أوائل الكتب التي تهتم بعلم المجتمع. وقد ترجم إلى العديد من اللغات الحية. وعليه ترتكز مكانة ابن خلدون وشهرته. ولئن كان مسمى ابن خلدون من المقدمة، وهي الجزء الأول من "كتاب العبر"، هو أن يضع نفسه في فئة المؤرخين، إلا أنه يصعب على المراجع أن يصنّفه ضمن المؤرخين، كونه أخذ في مقدمته من كلّ علم بطرف، فتحدّث عن كلّ ما يخصّ الإنسان من معنويات وماديات، داعماً ما ذهب إليه من آراء بشواهد من القرآن الكريم وديوان العرب الشعري. ونظراً لمكانتها العلمية، فقد حظيت المقدمة منذ أن وقعت عليها الأنظار بعناية المفكرين والمؤرخين وعلماء الاجتماع والفلاسفة واللغويين عرباً ومستشرقين، كما طبعت عدّة مرّات بتحقيقات مختلفة.

أبواب المقدمة: عالجت مقدمة ابن خلدون موضوعات متنوعة ضمن ستة أبواب، حيث طال البابان الثالث والسادس عن غيرهما، فكان أن جاء: الباب الأول: في العمران البشري على الجملة وأصنافه وقسطه من الأرض. الباب الثاني: في العمران البدوي وذكر القبائل والأمم الوحشية. الباب الثالث: في الدول والخلافة والملك وذكر المراتب السلطانية. الباب الرابع: في العمران الحضري والبلدان والأمصار. الباب الخامس: في الصناعات والمعاش والكسب ووجوهه. الباب السادس: في العلوم واكتسابها وتعلّمها.

العلوم في العصر العباسي

علم النحو

وفي بداية هذا العصر كان النحويون يدرسون في المساجد ويدون في الكتب وأحكمت روابطه وحققت ضوابطه. كان هناك مذهبان في النحو، هما مذهب البصريين ومذهب الكوفيين. وإلى البصريين يرجع الفضل في تكوين هذا العلم وتدوينه. ومنهم أبو أسود الدؤلي واضع هذا العلم، وابن إسحاق الحضرمي،

وهارون بن موسى، وعيسى بن عمر، وسيبويه. وكان سيبويه إمام البصريين في النحو، ومن مؤلفاته "الكتاب"، وقد أخذ الكوفيون في أول الأمر عن البصريين، ثم نافسهم في تحصيله وتفصيله. ومنشأ الخلاف بينهما أن البصريين يقدمون السماع، فلا يأخذون إلا عن الفصحاء الخالص من صميم العرب لكثرة هؤلاء بالبصرة، أما الكوفيون فيعتمدون في أكثر المسائل على القياس، ولا يرون أية مشكلة في الأخذ عن الأعراب الذين لا يأمن البصريون فصاحة لغتهم. ومن الكوفيين الكسائي والفرائي وغيرهم، وكان أهل البصرة أكثر رواية ودراية، ولكن العباسيون أثروا الكوفيين عليهم لأسباب سياسية، فانتشر مذهبهم في مركز الخلافة. ثم دار الجدل بين الفريقين حتى تخرب المصران، فجلا علماؤهم إلى بغداد، ونشأ مذهب البغداديين خليطا من المذهبين.

ثم طال الكلام في هذا العلم فتباعدت حدوده وتشتعت أطرافه، فجاء المتأخرون وقصروا الطول واقتصروا على المبادئ، وقد اشتهر من المتأخرين ابن مالك والزمخشري.

علم اللغة

فسد استعمال اللغة في المجتمع العباسي إثرانفتاح العرب على الثقافات الأجنبية، وتطرق ذلك الفساد إلى مدلولات الألفاظ واستعمالها. ففرغ علماء العربية في حفظ اللغة، وبدأوا الكتابة والتدوين في اللغة. فأملوا كتباً صغيرة في الألفاظ الخاصة بخلق الإنسان أو الجمل أو الخيل أو النبات، ثم جاء الخليل بن أحمد ومهد الطريق إلى ضبط اللغة وتدوينها بتأليف كتابه "العين". فإنه أحصى ما يتركب من حروف المعجم من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، ورتبه على مخارج الحروف من الحلق فاللسان فالأسنان فالشفقتين، وبعده قام أبو بكر الزبيدي باختصار ذلك الكتاب. وبعد قرن من عصر الخليل جاء أبو بكر بن دريد ووضع كتابه "الجمهرة" ورتبه على حروف المعجم. ومن العلماء الذين كتبوا في علم اللغة الأزهرى صاحب كتاب التهذيب، والجوهري صاحب كتاب الصحاح، وابن سيده صاحب كتاب المحكم، وابن فارس صاحب كتاب المعجم، ثم وضعت كتب كثيرة في هذا الموضوع مثل العباب، والتكملة، والهاية، ولسان العرب وغيرها. وفي كتاب فقه اللغة للنثالي وكتاب أساس البلاغة للزمخشري البحث عن خصائص اللغة وأسرار العربية.

علم البلاغة

وكان أول من تكلم في علم البيان أبو عبيدة في كتابه "مجاز القرآن". ولم يدون كتاب في علم المعاني في العصر العباسي الأول. ثم جاء الجاحظ ببعض أغراض البلاغة في كتابه "البيان والتبيين"، وحذا حذوه في ذلك قدامة بن جعفر، وأبو بكر بن دريد، وأبو هلال العسكري. ولم يكن هؤلاء الكتاب والمؤلفون أيضا من المختصين في علم البلاغة. وإنما يرجع الفضل في وضع هذا العلم إلى الإمام عبد القاهر الجرجاني، وإلى الإمام أبي يعقوب السكاكي. وقد وضع الجرجاني أساس هذا العلم في كتابيه "المجاز القرآني"

"أسرار البلاغة"، ووسعها السكاكي. وأما علم البديع فأول من ألف فيه هو عبد الله بن المعتز في كتابه "علم البديع"، ووسع هذا العلم معاصره قدامة بن جعفر وابن حجة الحموي فيما بعد.

النقد في العهد العباسي :

كان العهد العباسي عهد العلم والدراسات العلمية. والمناظرات الفلسفية والدينية والمناقشات الأدبية والزجاج بين أرباب القديم والحديث، ففي هذا البيئة الصالحة خطا النقد الأدبي خطوة واسعة. وحاول التجرد من تأثير العصبية والهواء والثورة العاطفية. واعتمد على الشعور الهادئ والتحليل والبرهان. وتعليل الظواهر الأدبية وإرجاع كل شيء إلى أصل وسبب وقد وضعت للنقد قواعد دقيقة وقوانين منتظمة.

وقد أثرت الحياة الجديدة في ظواهر النقد وجوهره تأثيرا بعيدا. وامتد هذا التأثير إلى الأمزجة والثقافة. والنقد في هذا العهد يقوم على تراث العصور السابقة من أحكام ونظريات. ويقوم على ثروة الحركة الجديدة في البلاغة والمنطق والفلسفة والجدل. وكان هناك ثلاث نزعات : نزعة اللغويين : هم أنصار القديم الذين يعنون بتركيب اللغة والبحث في بنية الألفاظ وتحديد مدلولاتها، ورواية الشعر وشرح معانيه. وقد يتدخلون في بحوث أدبية كالفازلة بين الشعراء بلا تحليل عناصر شعر المحدثين. ثم نزعة الأدباء: منهم القاضي الجرجاني، كان هؤلاء يدرسون الأدب القديم ويوجهون عناية خاصة إلى الأدب الحديث. فينتقدون عناصره ويقارنونه بالقديم بغير تشعب في البحث وإقامة للحجج وتقديم يقوم على ذوق الناقد. ونزعة العلماء المتأثرين بالمعارف الأجنبية: منهم ابن قدامة. وهم يعتمدون في تقديمهم على علم البلاغة وعلم المنطق فيقيسون بأصولها الآثار الأدبية. ويصدرون في تقديمهم عن المبادئ العامة لا عن الأدب الموضوع. هذه نظرة خاطفة على النقد عند العرب إلى أواخر العهد العباسي، وسندرس أعمال بعضهم فيما يلي.

التاريخ في العصر العباسي

بدأ تدوين التاريخ عند العرب في مستهل هذا العصر. وكان مقصورا على بعض فروع كالغزالي والفتوح والطبقات والأنساب وأيام العرب وغيرها. ومن أشهر من كتب في هذه الأغراض ابن اسحق. والواقدي. وابن سعد، والكلبي، والأصمعي.

وبعد أن ترجم العرب من تاريخ الأمم خطوا في التاريخ خطوة واسعة، فكتب محمد بن جرير الطبري تاريخه مرتبا حوادثه على السنين، فنهج المؤرخون طريقه في التصنيف، ثم أدخلوا في كتبهم التاريخية من المباحث العلمية والأدبية، ومنهم أبو زيد البلخي صاحب كتاب البدا والتاريخ، والمسعودي صاحب مروج الذهب، وابن النديم صاحب الفهرست، وابن مسكويه صاحب تجارب الأمم، ثم عني المؤرخون بتبديل كتب التاريخ المدونة بدلا من التأليف فيه.

علم الفقه:

أما علم الفقه فكانت نشأته في صدر الإسلام، وفي العصر العباسي كان تحريره وتدوينه ونضجه، وكانت المدينة مركز الفقهاء والمحدثين. ثم توسع الفقه في العراق بعد استقرار الملك في أيدي العباسيين. وكان هناك سبيلان في الفقه، سبيل الحجازيين الذين يوسعون في الحديث ولا يرجعون إلى القياس، وسبيل الفقهاء العراقيين الذين يتشددون في الرواة ويعتمدون على القياس في استنباط الفقه. وكان زعيم فقهاء العراق أبو حنيفة النعمان، وزعيم فقهاء الحجاز الإمام مالك بن أنس. ثم جاء محمد بن إدريس الشافعي، وهو أحد أتباع مالك، ورحل إلى العراق وأخذ عن أصحاب أبي حنيفة مسائل القياس، وانفرد بمذهب بين المذهبيين. وبعد ذهابه إلى مصر قام بتنقيح مذهبه ووضعه وضعا جديدا. وبعده نبيغ أحمد بن حنبل اختص بمذهب آخر. وهذه هي المذاهب الأربعة التي قامت على عماد الكتاب والسنة الصحيحة، ووقف عندها الاجتهاد وانتهى إليها التقليد في سائر الأمصار.

UNIT -III

Medieval Prose

القسم الأول من مقدمة ابن خلدون

في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع^١ لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها

إعلم أن فن التاريخ فنّ عزيز المذهب جُمّ الفوائد شريفُ الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم. والأنبياء في سيرهم. والملوك في دولهم وسياساتهم. حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مأخذ متعدّدة ومعارف متنوّعة و حُسن نظر وتنبّت يُفضيان بصاحبهما إلى الحقّ وينكبّان به عن المزلّات والمغالط، لأنّ الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرّد النقل ولم تحكّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيس الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق. وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسّرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النقل غنّاً أو سميّنا ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشبابها ولا سرّوها^٢ بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحقّ وتأهّوا^٣ في ببداء الوهم والغلط، ولا سيّما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومطيّة الهذر^٤، ولا بد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد.

وهذا كما نقل المسعودي وكثير من المؤرخين في جيوش بني إسرائيل بأن موسى عليه السلام أحصاهم في التيه^٥ بعد أن أجاز من يطبق حمل السلاح خاصّة من ابن عشرين فما فوقها فكانوا ستمائة ألف أو يزيدون .

(١) يكثر ابن خلدون من استخدام كلمة الإلماع بمعنى الإشارة والتنويه.

(٢) سترَ قُدْرته: إختره، جرّته

(٣) مشي بغير هدف

(٤) خلط وتكلم بما لا ينبغي.

(٥) يطلق التيه على المدة التي قضاها بنو إسرائيل ضارين في صحراء سيناء والمناطق المتاخمة لها، متنقلين في أرجائها، تاهين حسب تعبير القرآن الكريم، في دروبها فيافيها. وتبلغ هذه المدة حسب نص القرآن الكريم، أربعين سنة، تبدأ بخروج بني إسرائيل من مصر، وتنتهي باستيلائهم على بلاد كنعان.

ويذهل^١ في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصّة من الحامية تنسج لها وتقوم بوظائفها وتضيق عمّا فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة.

ثم إن مثل هذه الجيوش البالغة إلى مثل هذا العدد يبعد أن يقع بينها زحف أو قتال لضيق مساحة الأرض عنها ويُعدها إذا اصطفت عن مدى البصر مرتين أو ثلاثاً أو أزيد، فكيف يقتتل هذان الفريقان أو تكون غلبة أحد الصفيين وشيء من جوانبه لا يشعر بالجانب الآخر، والحاضر يشهد لذلك فالماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء.

ولقد كان ملكُ الفرس ودولتهم أعظم من ملك بني إسرائيل بكثير، يشهد لذلك ما كان من غلب يُختصر لهم والتهامة بلادهم واستيلائه على أمرهم وتخريب بيت المقدس قاعدة ملتهم وسلطانهم وهو من بعض عمال مملكة فارس. يقال إنه كان مرزبان المغرب من تخومها، وكانت ممالكهم بالعراقين وخراسان وما وراء النهر والأبواب^٢ أوسع من ممالك بني إسرائيل بكثير، ومع ذلك لم تبلغ جيوش الفرس قطّ مثل هذا العدد ولا قرباً منه وأعظم ما كانت جموعهم بالقادسية مائة وعشرين ألفاً كلهم متبوع على ما نقله سيف^٣ قال: وكانوا في أتباعهم أكثر من مائتي ألف. وعن عائشة والزهري: فإن جموع رستم الذين زحف بهم سعد بالقادسية إنما كانوا ستين ألفاً كلهم متبوع.

وأيضاً فلو بلغ بنو إسرائيل مثل هذا العدد لانتسج نطاق ملكهم وانفسح مدى دولتهم، فإن العملات والممالك في الدول على نسبة الحامية والقبيل القائمين بها في قتلها وكثرتها حسبما نبين في فضل الممالك من الكتاب الأول، والقوم لم تنسج ممالكهم إلى غير الأردن وفلسطين من الشام وبلاد يثرب وخيبر من الحجاز على ما هو المعروف.

وأيضاً فالذي بين موسى وإسرائيل إنما في أربعة آباء على ما ذكره المحققون فإنه موسى بن عمران بن يصر بن قاهت بفتح الهاء وكسرهما ابن لاري بكسر الواو وفتحها ابن يعقوب وهو إسرائيل الله هكذا نسبه في التوراة والمدّة بينهما على ما نقله المسعودي قال دخل إسرائيل مصر مع ولده الأسباط وأولادهم حين أتوا إلى يوسف سبعين نفساً وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى عليه السلام إلى التيه مائتين وعشرين سنة تتداولهم ملوك القبط من الفراعنة ويبعد أن يتشعب النسل في أربعة أجيال إلى مثل هذا العدد، وإن زعموا أن عدد تلك الجيوش إنما كان في زمن سليمان ومن بعده فبيعيد أيضاً: إذ ليس بين سليمان وإسرائيل إلا أحد عشر أباً فإنه سليمان بن داود بن يشا بن عوفينذ (ويقال ابن عوفذ) ابن باعز (ويقال بوعز) بن سلمون بن نحشون بن عمينوذ (ويقال حميناذاب) بن رم بن حصرون و يقال حصرون بن بارس (ويقال بارس) بن يهوذا بن يعقوب، ولا يتشعب النسل في أحد عشر من الولد

(١) يذهل: يغفل أو ينسى.

(٢) بلاد الأبواب: واقعة على بحر الغزر ومن أشهر مدنها "باب الأبواب" وهو نجر بالبحر.

(٣) هو سيف بن عمر الأسدي، من جامعي تواريخ الأمم والدول.

إلى مثل هذا العدد الذي زعموه، اللهم إلى المئين والالاف فرما يكون؛ وأما أن يتجاوز إلى ما بعدهما من عقود الأعداد فيعيد، واعتبر ذلك في الحاضر المشاهد والقريب المعروف، تجد زعمهم باطلاً ونقلهم كاذبا.

والذي ثبت في الاسرائيليات أن جنود سليمان كانت اثني عشر ألفا خاصة وأن مقرباته كانت ألفاً وأربعمئة فرس مرتبطة على أبوابه هذا هو الصحيح من أخبارهم ولا يلتفت إلى خرافات العامة منهم وفي أيام سليمان عليه السلام وملكه كان عنفوان دولتهم وأتساع ملكهم.

هذا، وقد نجد الكافة من أهل العصر إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريباً منه، وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصرارى، أو أخذوا في إحصاء أموال الجبايات وخراج السلطان و نفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين توغلو في العدد وتجاوزوا حدود العوائد، وطواعوا وسواس الأعراب فإذا استكشف أصحاب الدواوين عن عساكرهم، واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وقواندهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم، لم تجد معشار ما يعدونه، وما ذلك إلا لؤلؤ النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقب والمتنقد، حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبه في الخبر بتوسط ولا عدالة، ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه، ويتخذ آيات الله هُزواً ويشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله، وحسبك بها صفة خاسرة.

ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة في أخبار التبايعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى أفريقية والبربر من بلاد المغرب، وأن أفريقش بن قيس بن صفي من أعظم ملوكهم الأول، وكان لعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل، غزا أفريقية وأثنخ^١ في البربر. وأنه الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم وقال ما هذه البريرة، فأخذ هذا الاسم عنه ودعوا به من حينئذ، وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير فأقاموا بها واختلطوا بأهلها، ومنهم صنهاجة و كُتامة^٢، ومن هذا ذهب الطبري والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والبيهي إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسبة البربر وهو الصحيح، وذكر المسعودي أيضاً أن ذا الأذعار من ملوكهم قبل أفريقش وكان على عهد سليمان عليه السلام غزا المغرب ودوخه؛ وكذلك ذكر مثله عن ياسر ابنه من بعده وإنه بلغ وادي الرمل في بلاد المغرب ولم يجد فيه مسلماً لكثرة الرمل، فرجع وكذلك يقولون في تبع الآخر وهو أسعد أبوكرب وكان على عهد يستأسف من ملوك الفرس الكيانية، إنه ملك الموصل وأذربيجان ولقي الترك فهزمهم و أثنخ ثم غزاهم ثانية وثالثة كذلك وأنه بعد ذلك أغزى ثلاثة من بنيه بلاد فارس وإلى بلاد الصغد من بلاد أمم الترك وراء النهر، وإلى بلاد الروم، فملك الأول البلاد إلى سمرقند وقطع المفازة

(١) المقربات، جمع مقربة؛ وهي من الخيل التي يقرب معلقها ومربطها لكرامتها.

(٢) أثنخ في الأرض إنخاناً؛ سار إلى العدو وأوسعهم قتلاً.

(٣) وهي من قبائل البربر المشهورة في المغرب.

إلى الصين فوجد أخاه الثاني الذي غزا إلى سمرقند قد سبقه إليها ثم فأنخنا في بلاد الصين ورجعا جميعاً بالغنائم وتركوا ببلاد الصين قبائل من حمير فهم بها إلى هذا العهد وبلغ الثالث إلى قسطنطينية فدرسها^١ ودوخ بلاد الروم ورجع.

وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعية. وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب وقرارهم وكرسيم بصنعاء اليمن. وجزيرة العرب يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها فبحر الهند من الجنوب؛ وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق و بحر السويس الهابط منه إلى السويس من أعمال مصر من جهة المغرب كما تراه في مصور الجغرافيا فلا يجد السالكون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس والمسلك هناك ما بين بحر السويس والبحر الشامي قدر مرحلتين فما دونهما ويبعد أن يمر بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن يصير من أعماله هذه ممتنع في العادة. وقد كان بتلك الأعمال العمالقة وكنعان بالشام والقيط بمصر ثم ملك العمالقة مصر وملك بنو إسرائيل الشام ولم ينقل قط أن التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم. ولا ملكوا شيئاً من تلك الأعمال.

وأيضاً فالشُّقة^٢ من البحر إلى المغرب بعيدة والأزودة^٣ والعلوفة^٤ للعساكر كثيرة؛ فإذا ساروا في غير أعمالهم احتاجوا إلى انتهاب الزرع والنعم وانتهاب البلاد فيما يمرون عليه ولا يكفي ذلك للأزودة وللعلوفة عادة وإن نقلوا كفايتهم من ذلك من أعمالهم فلا تضي لهم الرواحل بنقله فلا بد وأن يمروا في طريقهم كلها بأعمال قد ملكوها ودوخوها لتكون الميرة منها وإن قلنا أن تلك العساكر تمر بهؤلاء الأمم من غير أن تهيجهم فتحصل لهم الميرة بالمسألة فذلك أبعد وأشد امتناعاً فدل على أن هذه الأخبار واهية أو موضوعة.

وأما وادي الرمل الذي يُعجز السالك فلم يسمع قط في ذكره في المغرب على كثرة سالكه ومن يقص طريقه من الركاب والقرى في كل عصر وكل جهة وهو على ما ذكره من الغرابة تتوفر الدواعي على نقله.

وأما غزوهم بلاد الشرق وأرض الترك وإن كان طريقه أوسع من مسالك السويس إلا أن الشُّقة هنا أبعد وأعم فارس والروم معترضون فيها دون الترك^٥ ولم نقل قط أن التبابعة ملكوا بلاد فارس ولا بلاد الروم وإنما كانوا يحاربون أهل فارس على حدود بلاد العراق وما بين البحرين والحيرة والجزيرة بين دجلة والفرات وما بينهما في الأعمال وقد وقع ذلك بين ذي الإذعار منهم وكيكأوس من ملوك الكيانية وبين تبع الأصغر أبي كرب ويستأسف معهم أيضاً ومع ملوك الطوائف بعد الكيانية والساسانية في من بعدهم بمجاورة أرض فارس بالغزو إلى بلاد الترك والتبت وهو ممتنع عادة من بعدهم أجل الأمم المعترضة

(١) من درس الحنطة. داسها وأخرج منها حبا من غلاف سنابلها

(٢) البعد والسفر البعيد والناحية يقصدها المسافر.

(٣) زاد المسافر طعامه المتخذ لسفره، والجمع أزودة. والعلف محركة ما تلعف به الدابة وجمعه علوفة.

(٤) أي يعترضون الغزاة من التبابعة في طريقهم إلى بلاد الترك. ويقفون حائلاً دونهم. فلا يصلون إليهم إلا إذا امتلكوا ما يعترضهم في الطريق من بلاد فارس والروم.

منهم والحاجة إلى الأزودة والعلوفات مع بعد الشقة كما مر فالأخبار بذلك واهية مدخولة وهي لو كانت صحيحة النقل لكان ذلك قادحاً فيها فكيف وهي لم تنقل من وجه صحيح وقول ابن إسحاق في خبر يثرب والأوس والخزرج أن تبعاً الأخرسار إلى المشرق محمولاً على العراق وبلاد فارس وأما بلاد الترك والتبت فلا يصح غزوهم إليها بوجه لما تقرر فلا تثق بما يلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار وأعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادي إلى الصواب.

المقامة الحلوانية

أبو القاسم الحريري

حكى الحارث بن همام قال: كلفتُ مُدْ مِيطَتاً^١ عني التَّمائمُ^٢. ونيطتُ بي العمايمُ. بأنْ أغشى مَعانِ الأدبِ^٣. وأنصني إليه رِكابٌ^٤ الطَّلَبِ. لأعَلِّقُ منه بما يكونُ لي زينةً بينَ الأنامِ. ومُرْتَةً عندَ الأوامِ. وكُنْتُ لفرطِ اللَهجِ باقتباسِه^٥. والطَّمَعِ في تَقَمِّصِ لباسِه^٦. أباحثُ كلَّ مَنْ جَلَّ وَقَلَّ. وأسْتَسْقِي الوَيْلَ والظِّلَّ^٧. وأتعلَّلُ بعسى ولعل. فلَمَّا حَلَلْتُ حُلُوَانًا^٨. وقد بَلَّوْتُ الإخْوَانَ. وَسَبَّرْتُ الأوزَانَ^٩. وخَبَّرْتُ ما شانَ وَزَانَ^{١٠}. أَلْفَيْتُ بها أبا زَيْدِ السَّرُوحيِّ يَتَقَلَّبُ في قِوالبِ الانتِسابِ. ويخْبِطُ^{١١} في أساليبِ الاكْتِسابِ. فيدعي تارةً أَنَّهُ من آلِ ساسانَ^{١٢}. ويعتَزي^{١٣} مرَّةً الى أَقبالِ غسانَ^{١٤}. ويهزُّ طُوراً في شِعارِ الشِّعراءِ. ويَلْبَسُ حيناً كِبَرَ الكُبراءِ. يَبْدُ أَنَّهُ مَعَ تلوْنِ حالِه. وتَبَيَّنَ مُحالِه^{١٥}. يتحلَّى بَرِواءِ وروايةِ. ومُدراةِ وِدرايةِ^{١٦}. وِبلاغَةِ رائِعةِ. وِبديهَةِ مُطاوعِ. وأدابِ بارِعةِ. وقَدِمَ لأعلامِ العُلومِ فارِعةِ^{١٧}. فكانَ لمحاسِنِ الآتيه. يَلْبَسُ على عِلاتِه. وِلِسَعَةِ روايتِه. يُصْبِي^{١٨} الى رُؤيتِه. ولِخِلايةِ عارِضتِه^{١٩}. يُرْعَبُ عَن مُعارِضتِه. ولِعُدُوْبَةِ اِيرادِه^{٢٠}. سَعَفُ بِمُرادِه. فتعلَّقْتُ بِأهدايِه^{٢١}. لِخِصائِصِ آدابِه. وناقَستُ في مُصافاتِه^{٢٢}. لِنِفايِصِ صِفاتِه.

فَكُنْتُ بِهِ أَجْلُوهُ مُمومِي وَأَجْتَلِي زَمَانِي طَلَّقَ الوَجْهَ مُلْتَمِعَ الضِّيَا^{٢٣}

(١) أزيلت ورفعتم.

(٢) التمام، جمع تميمة؛ وهي العوذة تعلق على الصبي.

(٣) معان الأدب: موضعه أنشاء؛ إذا جهده في السير فصار نضواً أي نحيفاً.

(٤) الرِكاب: الإبل

(٥) المزنة: السخابة البيضاء، الأوام: شدة الحر والعطش. لفرط الهمج؛ لغاية اللوع.

(٦) أطمع أن أتلبس بالأدب.

(٧) الويل: المطر الشديد. الظل: المطر الخفيف.

(٨) حلوان: هي بلدة بين بغداد وهمدان.

(٩) بلوت الإخوان: جريتهم. سيرت الأوزان: امتحنت الأشعار.

(١٠) جربت ما قبح وما حل.

(١١) يخبط: يسير على غير هدى.

(١٢) آل ساسان: هم الأكاصرة وساسان أبوهم.

(١٣) يعتزي: ينتسب

(١٤) أقبال غسان: ملوم الشام.

(١٥) تبين محاله: ظهور مكروه وكذبه.

(١٦) الرواء: حسن المنظر والهيئة. رواية: حكاية عن الغير. مداراة: مدافعة وحسن سياسة في صحبته. دراية: علم.

(١٧) أعلام: جبال واحدها علم. فارعة: صاعدة.

(١٨) يلبس: يصاحب ويخالط. يصبي: يشناق.

(١٩) الخلاية: الخديعة. عارضته: ما يعرض من قوله.

(٢٠) إيراد: ما يورده من الكلام.

(٢١) بأهدابه: بأطراف ثيابه.

(٢٢) مصافاتِه: إخلاص وده في مصاحبي له

(٢٣) الضيا: الضوء والنور.

أَرَى قُرْبَهُ قُرْبِي وَمَغْنَاهُ غُنْيَةً وَرُؤْيَتَهُ رَأْيًا وَمَحْيَاهُ لِي حَيَا^١

ولبئنا على ذلك برهة. يُنشئ لي كل يوم نزهة^٢. ويدبراً عن قلبي شهية^٣. الى أن جدحت^٤ له يد الإلماقي. كأس الفراق. وأغراه عدم العراق بتطبيق العراق^٥. ولقطنته معاويز الإفراق. الى معاويز الأفاق^٥. ونظمه في سلك الرفاقي. حُفوق راية الإخفاقي^٦. فشخذ للرحلة غرار عزمته. وظعن يقتاد القلب بأزمته^٧.

فما راقي من لاقني بعد بُعديهِ
ولا لاق لي مد ندى لفضليهِ
ولا شاقني من ساقني لوصاليهِ
ولا ذو جلال حاز مثل جلالهِ^٨

واستسر عني حيناً. لا أعرف له عربياً. ولا أجد عنه مبيناً. فلما أُنبت من غربتي. الى منبت شعبي. حضرت داركُنْها^٩ التي هي مُنتدى المتأدين. ومُلْتقى القاطنين منهم والمتغربين. فدخل ذولحية كثة^{١٠}. وهينة رثة. فسلم على الجلّاسي. وجلس في أحرّيات الناس. ثم أخذ يُبدي ما في وطابه^{١١}. ويُعجب الحاضرين بفصل خطابه^{١٢}. فقال لمن يليه: ما الكتاب الذي تنظر فيه؟ فقال: ديوان أبي عبادة^{١٣}. المشهود له بالإجادة. فقال: هل عثرت له فيما لمحتّه. على بديع استملحتّه؟ قال: نعم قوله:

كأنما تبسم عن لؤلؤٍ منضّبٍ أوبردٍ أو أقاخ^{١٤}

فإنه أبداع^{١٥} في التسيبه. المودع فيه. فقال له: يا للعجب. ولضبيعة الأدب! لقد استسمنت يا هذا ذا ورم. ونفخت في غيرِرم^{١٦}! أين أنت من البيت التدر^{١٧}. الجامع مشبهات التغر؟ وأشد:

نفسى الفداء لتغراق ميسمه وزانه شنب ناهيك من شنب^{١٨}
يفتر عن لؤلؤرطبٍ وعن برِدٍ وعن أقاخٍ وعن طلُعٍ وعن حببٍ^{١٩}

(١) قربي: من قرب النسب. مغناه: منزله. الغنية: الالكثفاء بالشيء. محياه: حياته. الحيا: المطر.

(٢) كناية عما يستفيد من علمه.

(٣) جدحت: خلطت ومزجت.

(٤) أغراه: أولعه. العراق: جمع عرق وهو العظم الذي يؤخذ عنه اللحم. العراق: شاطئ البحر يوه سخي العراق عراقا.

(٥) أعوزه الدهر: إذا أفرقه. الإرفاق: النفع والإعانة.

(٦) حُفوق: خفقان. الإخفاقي:

(٧) الغرار: حدّ السيف. القلب: أي قلب الحارث بن همام

(٨) راقي: أعجبي. لاقني: علق بي ولزمني. ساقني: حثني.

(٩) ندى: نفر. الخلال: جمع خلة: المودة.

(١٠) الضمير في كتبها لمنبت الشعبية لأنه في معنى البلدة.

(١١) لحية كثة: كثيرة الشعر.

(١٢) الوطاب: سقاء لين

(١٣) بفصل خطابه: بإظهار فصاحته.

(١٤) أبو عبادة: هو الوليد بن عبيد البحتري

(١٥) منضّب: منظوم بعضه على بعض. أقاخ: جمع أقحوان زهرة بيضاء، يشبه به الثغر.

(١٦) أبداع: جاء بالبديع.

(١٧) استسمنت ذا ورم: أي رأيت صاحب الورم سمينا. نفخت في غيرِرم: مثل يضرب لمن يضع الشيء في غير موضعه.

(١٨) التدر: النادر الغربي.

(١٩) الشنب: هورقة الأسنان أوبرد ريقها.

(٢٠) الطلع: طلع النخل وهو أبيض. الحبيب: ما يظهر كالحب فوق الكأس عند امتلائها.

فاستجاذه من حضر واستجلاه. واستعاده منه واستملاه. وسئل: لمن هذا البيت. وهل حي قائله أو ميت؟ فقال: أيم الله للحق أحق أن يتبع. وللصدق حقيق بأن يستمع! إنه يا قوم. لنجيتكم مذ اليوم. قال: فكان الجماعة ارتابت بعزوته^١. وأبت تصديق دعوته. فتوجس ما هجس^٢ في أفكارهم. وطفن لما بطن من استنكارهم. وحاذرأن يفرط^٣ إليه ذم. أو يلحقه وصم. فقرأ: إن بعض الظن إثم. ثم قال: يا زواة القريض. وأساة القول المريض^٤. إن خلاصة الجوهر تظهر بالسبك. ويد الحق تصدع رداء الشك. وقد قيل فيما غبر من الزمان: عند الامتحان. يكرم الرجل أويهان. وها أنا قد عرضت خبيتي للاختبار. وعرضت حقيبي على الاعتبار. فابتدر. أحد من حضر. وقال: أعرف بيتاً لم يندسج على منواله. ولا سمحت قريبة بمثاله. فإن أثرت اختلاب القلوب^٥. فانظم على هذا الأسلوب. وأنشد:

فأمطرت لؤلؤاً من نرجسي وسقت وُرداً وعصت على العناب بالبرد^٦

فلم يكن إلا كلمج البصر أو هو أقرب. حتى أنشد فأغرب^٧:

سألته حين زارت نضو برقعها ال قاني وأيداع سمعي أطيب الخبر^٨
فرحزحت شفقاً غشى سنا قمري وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطر^٩

فحاز الحاضرون لبداهته. واعترفوا بزاهته^{١٠}. فلما أنس استناسهم بكلامه. وانصباهم إلى شعبي إكرامه^{١١}. أطرق كطرفه العين. ثم قال: ودونكم بيتين آخرين. وأنشد:

وأقبلت يوم جد البين في حلي سود تعض بنان الناديم الحصر^{١٢}

فلاح ليل على صبح أقلهما غصن وضرسيت البلور بالدر^{١٣}

(١) بعزوته: بنسبته البيت إليه.

(٢) توجس: علم بالدليل والتفريس. هجس خطر.

(٣) يفرط: يسبق

(٤) القريض: الشعر والمدح. أساة: جمع أس وهو الطبيب.

(٥) أن الحق يكشف عن الشك وينزل لبسه.

(٦) اختلاب القلوب: إمالتها.

(٧) شبه الدمع باللؤلؤ والعين بالترجس والوجنات بالورد والأنامل المخضوبة بالعناب والثنايا بالبرد.

(٨) أغرب: أتى بالغريب.

(٩) زارت نضو برقعها: أي كشفه وزالته وهو ما ترسله المرأة على وجهها. القاني: الشديد الحمرة.

(١٠) شفقاً: أي برقعاً شبيهاً بالشفق، وهو الحمرة بعد الغروب إلى أول وقت العشاء. سنا قمر: النور. وكى بالقمر عن وجهها باللؤلؤ

(١١) المتساقط من كلامها وبالخاتم العطر عن فمها.

(١٢) بزاهته: براءته من الريبة.

(١٣) أنس: علم. انصباهم: ميلهم وإسراعهم

(١٤) البين: الفراق. الحصر: الذي لا يمكنه التكلم من البكاء والغيبض.

(١٥) أراد الليل الشعر. وبالصبح الوجه. أقلهما: رقعهما وحملهما. وأراد بالغصن القد. وبالبلور البنان أو ظهر الكف. وبالدر الثنايا.

فحينئذٍ استسنى القوم قيمته. واستغزروا ديمته^١. وأجملوا عشرته. وجملوا قشرته. أقال المخير مهذه الحكاية: فلما رأيت تلهب جذوته. وتألّق جلوته^٢. أمعنّت النظر في توسميه. وسرحتُ الطرفَ في ميسميه^٣. فإذا هو شيخنا السروحي. وقد أقمر ليله الدجوجي^٤. فهنأت نفسي بمورده. وابتدزنتُ استلام يده. أو قلتُ له: ما الذي أحالَ صفتك^٥. حتى جهلتُ معرفتك؟ وأي شيء شيبَ لحيتك. حتى أنكزتُ جليتك؟ فأنشأ يقول:

وَفَعَّ الشَّوَابِ شَيْبَ	وَالدَّهْرِ بالنَّاسِ قَلْبَ
إِنْ دَانَ يَوْمًا لِشَخْصٍ	فَفِي غَايٍ يَتَغَلَّبُ
فَلَا تَثِقُ بِوَمِيضٍ	مَنْ بَرَقَ فِيهِ هُوَ خُلْبُ
وَاصْبِرْ إِذَا هُوَ اضْرَى	بِكَ الخُطوبَ وَأَلْبُ
فَمَا عَلَى التَّيْبَرِ عَارُ	فِي النَّارِ حِينَ يُقْلَبُ

ثم نهض مفارقًا موضعه. ومُستصحبًا القلوب معه.

(١) استسنى: من السناء العلو والرفعة. استغزروا ديمته: استكثروا فضله.

(٢) زينوا لباسه.

(٣) الجذوة: جمرة نار غير ملتهبة. التألق: الإضاءة واللمعان. الجلوة: اسم من جلوت العروس إذا زينتها. يريد لمعان وجهه.

(٤) الميسم: أثر الحسن من الوسامة.

(٥) عبارة عن الشيب.

(٦) ابتدرت الاستلام يده: أسرعت إلى مصاحفته.

(٧) أحال صفتك: غيرها من الشيب إلى الشيب.

المقامة البغدادية بديع الزمان الهمداني

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: إِسْتَهَيْتُ الْأَزَادَ^(١)، وَأَنَا بِبَغْدَادَ، وَلَيْسَ مَعِيَ عَقْدٌ، عَلَى نَقْدٍ^(٢)، فَخَرَجْتُ أَنْتَهْرُ مَحَالَهُ حَتَّى أَهَلِّي الْكَرْخَ^(٣)، فَإِذَا أَنَا بِسَوَادِي يَسُوقُ بِالْجَهْدِ جِمَارَهُ^(٤)، وَيُطْرَفُ بِالْعَقْدِ إِرَارَهُ، فَقُلْتُ: طَفَرْنَا وَاللَّهِ بِصَيْدٍ، وَحِيَاكَ اللَّهُ أَبَا زَيْدٍ، مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ؟ وَأَيْنَ نَزَلْتُ؟ وَمَتَى وَاقْبِتْ؟ وَهَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ^(٥)، فَقَالَ السَّوَادِيُّ: لَسْتُ بِأَبِي زَيْدٍ، وَلَكِنِّي أَبُو عَيْبِيدٍ، فَقُلْتُ: نَعَمْ، لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ، أَنْسَانِيكَ طَوْلَ الْعَهْدِ، وَإِتِّصَالَ الْبُعْدِ، فَكَيْفَ حَالَ أَبِيكَ؟ أَشَابَ كَعَهْدِي، أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ: لَقَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دِمْنَتِهِ^(٦)، وَأَرْجُو أَنْ يُصَيِّرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ إِلَى الصِّدَارِ، أُرِيدُ تَمْرِيقَهُ^(٧)، فَقَبَضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجُمُعِهِ^(٨)، وَقَالَ: نَسَدْتُكَ اللَّهُ لَا مَرْفَعَهُ، فَقُلْتُ: هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً، أَوْ إِلَى السُّوقِ تَشْتَرِ شِوَاءً، وَالسُّوقُ أَقْرَبُ، وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ، فَاسْتَفْرَزْتَهُ حُمَةَ الْقَرَمِ، وَعَطَفْتُهُ عَاطِفَةَ اللَّقْمِ^(٩)، وَطَمَعُ، وَلَمْ يَعْلم أَنَّهُ وَقَعَ، ثُمَّ أَتَيْنَا شِوَاءً يَتَقَاطَرُ شِوَاؤُهُ عَرَقًا، وَتَنَسَايَلُ جُودَابَاتُهُ مَرَقًا^(١٠)، فَقُلْتُ: أَفِرْزُ لِأَبِي زَيْدٍ مِنْ هَذَا الشِّوَاءِ، ثُمَّ زِنَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الْخَلْوَاءِ، وَاخْتَزَلَهُ مِنْ تِلْكَ الْأَطْبَاقِ، وَانْضَدَّ عَلَيْهَا أَوْرَاقُ الرَّقَاقِ، وَرُشَّ عَلَيْهِ شَيْبًا مِنْ مَاءِ السَّمَاقِ^(١١)، لِيبَاكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا، فَأَنْخَى الشِّوَاءَ بِسَاطُورِهِ^(١٢)، عَلَى زَيْدَةَ تَنْوَرِهِ، فَجَعَلَهَا كَالْخَلْجِ سَخَقًا وَكَالطَّيْحِ دَقًّا، ثُمَّ جَلَسَ وَجَلَسْتُ، وَلَا يَبْسُ وَلَا يَبْسُتُ، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَا، وَقُلْتُ لِصَاحِبِ الْخَلْوَى، زِنَ لِأَبِي زَيْدٍ مِنَ اللَّوْزِ بِنِجِ رِطْلَيْنِ فَمَهْوَأَجْرِي فِي الْحَلْوَى، وَأَمْصِي فِي الْعُرُوقِ، وَلْيَكُنْ لِيَلِي الْعُمُرِ، يَوْمِي النَّشْرِ، رَقِيقَ الْقِشْرِ، كَثِيفَ الْحَشْوِ، لَوْلُؤِي الدُّهْنِ، كَوَكْبِي اللَّوْنِ، يَنْدُوبُ كَالصَّمْغِ، قَبْلَ الْمَضْغِ،

(١) الأزاد: نوع من التمر الجيد.

(٢) أي والحال أنني معدم لا مال عندي.

(٣) المحال: جمع محلة والمراد بها الأماكن التي يوجد بها الأزاد، وأنتهز المراد منه أتملمس وأقصد ولكنه جعلها كالغنيمة التي يسارع لانتهازها اللبيق، والكرخ: محل ببغداد، والضمير في أحلني راجع إلى الأزاد، من إسناد الفعل للسبب.

(٤) السواد: ريف العراق وقراه، والنسبة إليه سوادِي والمراد رجل من أهله.

(٥) أراد بالصيد ذلك الرجل ثم أقبل عليه بحدائه وبكلمه ويتدخل معه لينال منه ما أراد.

(٦) أخذ يدخل بحيلته في روع السوادي أنه اليف قديم وصاحب من عبيدعبد، فلما أخطأ تكنيته وخشي ألا تجوز حيلته عمد إلى انتحال المعاذير بطول أمد الفراق وبعد عهد التلاق.

(٧) المراد بالدمنة القبروكي بذلك عن موته.

(٨) البدار المبادرة والمسارة، والصدار ثوب يلبس مما يلي الجسد، والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر إلى ثوبه ليمزقه إظهاراً للجزع وتأكيداً للحيلة بأنه صديق أبيه.

(٩) جمع اليد بالضم قبضتها، والمعنى أنه قبض بكل يده عليه ليمنعه من تمزيق صدره.

(١٠) استفزته: استهوته وحركته بشدة، والحمة في الأصل إبرة العنقرب التي تلسع بها ثم حملت على الشدة مطلقاً، والقرم: الشهوة البالغة لاكل اللحم، واللقم: السرعة في الأكل، والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه إليه أسرعها به إلى موافقتي.

(١١) الجودابة: رغيف يخبز فوقه طائر أو قطعة لحم.

(١٢) السماق: بذور شجرة تسعمل حبوبها تابلاً.

(١٣) الساطور: سكين عظيمة وبهذا الإسم تعرف عند العامة من أهل مصر.

لِيَأْكُلَهُ أَبُو زَيْدٍ هَنِيئًا، قَالَ : فَوَزَنَهُ ثُمَّ قَعَدَ وَقَعَدْتُ، وَجَرَدَ وَجَرَدْتُ^١، حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهُ، ثُمَّ قُلْتُ : يَا أَبَا زَيْدٍ مَا أَحْوَجُنَا إِلَى مَاءٍ يُشْعِشِعُ بِاللَّثَجِ، لِيَقْمَعَ هَذِهِ الصَّارَةَ، وَيُقْتَأَ هَذِهِ اللَّقْمَ الْحَارَةَ^٢، إِنْ جَلِسَ يَا أَبَا زَيْدٍ حَتَّى نَأْتِيكَ بِسِقَاءٍ، يَأْتِيكَ بِشُرْبَةِ مَاءٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ وَجَلَسْتُ بِحَيْثُ أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي أَنْظُرُ مَا يَصْنَعُ، فَلَمَّا أَبْطَأْتُ عَلَيْهِ قَامَ السَّوَادِيُّ إِلَى حِمَارِهِ، فَاعْتَلَقَ الشَّوَاءَ بِأَزَارِهِ^٣، وَقَالَ: أَيْنَ تَمُنُّ مَا أَكَلْتُ؟ فَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَكَلْتُهُ ضَيْفًا، فَلَكَمَهُ^٤ لَكَمَةً، وَتَنَّى عَلَيْهِ بِلَطْمَةٍ^٥، ثُمَّ قَالَ الشَّوَاءُ : هَاكَ، وَمَتَى دَعَوْنَاكَ؟ زَنْ يَا أَخَا الْقَحَّةِ عَشْرِينَ^٦، فَجَعَلَ السَّوَادِيُّ يَبْكِي وَيَحُلُّ عَقْدَهُ بِأَسْنَانِهِ وَيَقُولُ : كَمْ قُلْتُ لِنَاكَ الشَّرِيدَ، أَنَا أَبُو عَبِيدٍ، وَهُوَ يَقُولُ: أَنْتَ أَبُو زَيْدٍ، فَأَنْشَدْتُ:

أَعْمِلْ لِرِزْقِكَ كُلَّ آلِهَ لَا تَتَّعِدَنَّ بِكُلِّ حَالِهِ^٧
وَأَهْضُ بِكُلِّ عَظِيمَةٍ فَاإِزْءُ يُعْجِزُ لَا مَحَالَةَ^٨

(١) اللوزينج: نوع من الحلوى يتخذ من الحنظل ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالنقل وكونه ليلي العمر أي مما صنع ليلا، نهاري النشوي وظهر نهارا ليكون قد شرب دهنه وعسله.

(٢) أي شمر عن ساعده ليسرع في الأكل. يشعشع : يخلط ومن ثم قيل للخمر مشعشعة لأنها تشرب مخلوطة بالماء كثيرا. يقمع: يقهر. والصاراة: شدة الحر. وفتئا: يكسر ويخفف. والمعنى أنا في حاجة إلى الماء المخلوط بالثلج ليرد عنا سطوات الحر ويخفف من حدة هذا الأكل في أجوافنا.

(٣) اعتلق: تعلق ومسك أي أن الشواء لم يتركه يخرج بل أمسك به ليستوفي حقه منه.

(٤) لكمه: لكم الشواء السوادى أي ضربه بجمع قبضة اليد أو دفعه. لطمه: الضرب على الخد بباطن الكف

(٥) أكلمه ضيفا: أي كنت مدعوا لتناول هذا الطعام فلا يحل لك أن تطالني بئمنه لأن الضيف لا يدفع ثمن ما يأكل.

(٦) هاك: اسم فعل بمعنى خذ. والمعنى. تناول من الضرب واللکم ما أنت به حليق. القحاة: الوقاحة وسوء الأدب. ومعنى زن عشرين: أعط وزن عشرين درهما.

(٧) المعنى: لا تكن خائرا القوى فتقع عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك حتى تعمل له ولا يُقبل عليك حتى تسير إليه بل اجهد نفسك. واداب في السعي إليه، ولا تدخر وسعا في تحصيله.

(٨) أي أنه لا بد أن يأتي على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته فانتهز فرصة شبابك وقوتك. واغتنم من فتوتك وحدائة سنك ما يساعدك على القيام بعظائم الأمور وجلالها.

فصل في أجناس توقيعات^١ الوزراء والسادة الكبراء من كتاب خاص الخاص لأبي منصور الثعالبي^٢

أبو عبد الله: الكَاتِبُ المُهْدِي: كتب إِلَيْهِ رجل يَعْتَدِرُ وَلَا يحسن، فَوَقَّعَ فِي كِتَابِهِ: مَا رَأَيْتُ عذار أشبهه باستئناف ذَنْبٍ من هَذَا.

جَعْفَرُ بن يحيى: من توقيعاته: الخراج عَمُود المُلْك، وَمَا اسْتَعْزِرَ بِمَثَلِ العُدْلِ وَمَا اسْتَنْزَرَ بِمَثَلِ الجور. وَوَقَّعَ فِي رِقْعَةٍ معترِذٍ من ذَنْبٍ: قد تقدّمت طَاعَتِكَ وسبقت نصيحتك، فَإِنِ بَدَرْتُ مِنْكَ هَفْوَةٌ فَلَنْ تغلب سَيِّئَةَ حَسَنَتَيْنِ.

يحيى بن خَالِدٍ: وقع في أمر رجل اسْتَحَقَّ القَتْلَ: "ولكم في القصاص حياة" (البقرة: 179) وفي قِصَّةٍ من التمسس الإطلاق وهو مَحْبُوسٌ: "لكل أجل كتاب" (الرعد: 38) وفي جَوَابِ رِقْعَةٍ لِابْنِهِ الفُضْل: مَا أَهْوَنَ التَّنْذِيرِ بِالْوَصْفِ. وفي رِقْعَةٍ متظلم ليعرض التوقيع على من شكاه: أنصف من وليت أمره وإلا أنصفه من يلي أمرك. إلى رجل استبطاه واستزاره: اجنح إِلَيْكَ بغالب الفضل وأعتذر إِلَيْكَ بصادق النية. وإلى رجل عاوده لالتماس الصلّة بعد أن أخذها مرة: دع الضرع يدر لغيرك كما درلك.

ورفع إِلَيْهِ قوم من حشمه يستريدونه في أرزاقهم، فأمر أنس ابن أبي شيخ بالتوقيع في قصتهم فوقع بين يديه: قليل دائم خير من كثير مُنْقَطِعٍ فاعجب به يحيى، فقال: قد فاحت منك رائحة الوزارة.

الفَيْضُ بن أبي صالح^٣: وقع في رِقْعَةٍ معترِذٍ نائب: التَّوْبَةُ للذنب كالدواء للمريض، فَإِنِ نصحْتَ تَوْبَتَهُ أتمَّ اللهُ شفاءه، وَإِنِ تَكُنِ الأُخْرَى أدام اللهُ داءه.

^(١) تعد التوقيعات فنا أدبيا من فنون النثر العربي، ارتبطت نشأتها وازدهارها بتطور الكتابة، التوقيع عبارة بليغة موجزة مقنعة، يكتبها الخليفة أو الوزير على ما يرد إليه من رسائل تتضمن قضية أو مسألة أو شكوى أو طلب. والتوقيع قد يكون آية قرآنية، أو حديثا نبويا، أو بيت شعر، أو حكمة، أو مثلا، أو قولاً سائرا، ويشترط أن يكون ملائما للحالة أو القضية التي وقع فيها، فهو مرتبط بغير توجيه المعاملات الرسمية في الإدارة الحديثة.

^(٢) عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، أديب ولغوي وناقد وصاحب الكتاب الشهير بتيمة الدهر. وُلِدَ في نيسابور. وهو غير الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن. كان فَرَاءً يخط جلود الثعالب فنُسبَ إلى صناعته، ثم انتقل من حياكة الفراء إلى دراسة اللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر. قال البخارزي عنه: هو جاحظ نيسابور. وأجمع من ترجموا له على أنه كان نابغة عصره في الأدب نظماً ونثراً، وكان قبيلة أنظار المؤلفين بعده، فاحتدى حذوه وسار على نهجه جماعة في شرق العالم الإسلامي وغيره.

وهو من الذين أسهموا في ازدهار نهضة القرن الرابع الهجري أدبياً، حيث قدم للعربية عدداً كبيراً من المؤلفات والمصنفات التي تنوعت لتشمل أغراضاً مختلفة في الآداب، واللغة والفكر. وقد خُتِى الثعالبي من أن يكون للشعراء السابقين على عصره فضل في الأدب والشعر وفنونه ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك، فندب نفسه لهذا، وظهرت براعته في كتابه بتيمة الدهر، وغايته من هذا الكتاب خدمة اللغة العربية عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً. ولم يقتصر الثعالبي فيه على ترجمة خالصة للشعراء والاستشهاد بالصوص الشعرية، بل نراه يورد آراء نقدية قيمة وتعليقات أدبية متمعة تنم عن ذوق أدبي رفيع، كما يعتمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره من الشعراء في الفن الشعري، ويكشف براعة عن مدى تأثير الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين. ومن أهم الآثار التي خلفها الثعالبي: بتيمة الدهر، العقد النفيس في نزهة الجليس، فقه اللغة وسر العربية، كتاب خاص الخاص في الأدب واللغة وغيرها.

^(٣) هو الفيض بن أبي صالح كان وزيراً للمهدي.

الفضل بن سهل: من أحسن توقيعاته: الأُمور بِتَمَامِهَا، والأعمال بِخَوَاتِمِهَا، والصناعات بِاسْتِدَامَتِهَا.
الحسن بن سهل: من أحسن توقيعاته كتب إِلَيْهِ رجل يتوسَّل بِسالف إِحْسَانِهِ، فَوَقَعَ: مَرْحَبًا بِمَنْ
توسَّل إِلَيْنَا بِنَا، وأمرُهُ بِصَلَّة.

مُحَمَّد بن يَزَاد: من توقيعاته البارعة: أَبْوَاب المُلُوك معادن الحَاجَات ومواطن الطلِبات وَلَيْسَ
لِاسْتِنجَاحِهَا واستِنجَازِهَا كالصبر والملازمة، والمغادرة والمراوحة. وَمِنْهَا "مَا استَحَالَتْ لي فيكَ نِيَّةٌ، وَلَا
تَغَيَّرَتْ عَقِيدَةٌ، فَكَيْفَ أخْلَف وَعَدَكَ، وأَحْلَل عَقْدَكَ، وَأَنْقَضَ عَهْدَكَ، وَأَنْسَى رَفْدَكَ".

عبد الله بن مُحَمَّد بن يَزَاد: وَقَعَ إِلَى بعض أَصْحَابِهِ: يَا أَبَا العَبَّاسِ، لَيْسَ عَلَيكَ بَأْسٌ مَا لم يكن مِنْكَ
بَأْسٌ. وَوَقَعَ إِلَى عَامِلٍ اعْتَدَرَ بِكفَايَتِهِ وَزَاد: "يَا هَذَا، أَسْرَفْتَ وَمَا أَنْصَفْتَ، وَأَوْجَفْتَ حَتَّى أَعْجَفْتَ،
وَأَذَلَّتْ حَتَّى أَمَلَّتْ، فَاسْتَصْغَرْ مَا فَعَلْتَ تَبْلُغَ مَا أَمَلْتَ".

عبيد الله بن سُلَيْمَانَ بن وهب: رَفَعَ إِلَيْهِ عَامِلٌ مِنْ عَمَالِهِ أَنْ فِي بَيْتِ النَّارِ كَانُونًا مِنْ أَثَارِ الأَكَاسِرَةِ وَفِيهَا
أَكْثَرُ مِنَ الأُفَى رَطْلٌ فَضَّةٌ وَفِي فَضَّتِهِ تَوْفِيرٌ لِبَيْتِ المَالِ، فَوَقَعَ: حَرَصَكَ عَلَى تَقْفِيَةِ أَثَارِ الأَوَائِلِ يَدَلُّ عَلَى
لُومِ أَصْلِكَ، فَبَعْدًا وَسُخْطًا لَكَ. وَوَقَعَ فِي كِتَابِ مَتَنَجِزِ إِيَّاهُ وَعَدَا: "السَّرْطُ أَمْلَكَ وَالوَعْدُ كَأَخَذِ بِالأَيْدِ،
وَالوَفَاءُ مِنْ سَجَايَا الكِرَامِ". وَفِي كِتَابِ مِثْلِهِ "لَيْسَ كُلُّ مَنْ أَنْسَيْنَاهُ أَهْمَلْنَاهُ وَلَا مَا أَخْرَجْنَاهُ تَرْكُنَاهُ، مَعَ
اِقْتِطَاعِ الشَّغْلِ إِيَّانَا وَانْتِسَامِهِ زَمَانَنَا". وَوَقَعَ فِي شَأْنِ عَامِلٍ: "أَنَا قَادِرٌ عَلَى إِخْرَاجِ النِّغْرَةِ مِنْ رَأْسِهِ،
وَالوِغْرَةِ مِنْ صَدْرِهِ، وَالنَّخْوَةَ مِنْ نَفْسِهِ". وَوَقَعَ إِلَى ابْنِ طَوْلُونَ "إِنِّقَ اللهُ فِي الإِرْصَادِ فَإِنَّ اللهُ بِالْمَرْصَادِ.

عَلِيٌّ بنِ عَيْسَى: كَتَبَ إِلَيْهِ بعضُ العَمَالِ فِي ذِكْرِ أَمْوَالٍ مَتَخِرَّةٍ وَتَفَاصِحٍ فِي كِتَابِهِ "ذَعْنِي مِنْ تَشْدِيقِكَ
وَتَقْعِيرِكَ وَتَفَاصِحِ عَلَى نَظِيرِكَ، فَخَيْرُ الكَلَامِ مَا قَلَّ وَدَلَّ وَلَمْ يَمَلْ". وَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الأَفْرَاتِ يَسْتَشْهِدُهُ عَلَى
زُورٍ، فَوَقَعَ فِي رَفْعَتِهِ: لَا تَلْمِني عَلَى نَكْوِصِي عَنِ الشَّهَادَةِ لَكَ بِالزُّورِ، فَإِنَّ لَاقِيَّ لَاتِفَاقٍ عَلَى نِفَاقٍ، وَلَا
وَفَاءَ لِذِي مِينٍ وَاخْتِلاقٍ، وَأُخْرَى بِمَنْ تَعْدَى الحَقَّ فِي موافقتك إِذَا رَضِيَ أَنْ يَتَخَطَّى إِلَى البَاطِلِ فِي
مخالفتك إِذَا سَخَطَ، وَبِمَنْ كَذَبَ لَكَ أَنْ يَكْذِبَ عَلَيَّكَ.

ابن العميد: استنشد ابنه أبا الفتح وهو في الكتاب قصائد، فلم يشتغل بها فعتب عليه وطرده من بين
يديه، فبعد أيام كتب إلى أبيه يستعته ويتمثل:

فحى متى روح الرضى لا ينالني وحتى متى أيام سخطك لا تمضي

فوقع تحت هذا البيت: إلى أن تنشد فلا تخطيء وتلشيء فلا تبطيء.

الصاحب بن عباد: كتب إليه بعض خطاب الأعمال رقعة وفيها: "إن رأى سيدنا أن يأمر بإشغالي ببغض
أشغاله". فوقع "من كتب إشغالي لا يصلح لأشغالي". ورفع إليه الضرابون في دار الضرب قصة مترجمة

(^١) هو الفضل بن سهل السرخسي وزير المأمون وصاحب تديره. كان مجوسيا ثم أسلم علي يده، وصاحبه قيل أن يلي الخلافة، فكان
يلقب بذئ الراسيتين: الحرب والسياسة.

بالضرايين، فَوَقَعَ تَحْتَهَا: " فِي حَدِيدِ بَارِدٍ . " وَرَفَعَ إِلَيْهِ أَنْ رَجُلًا غَرِيبَ الْوَجْهِ يَدْخُلُ دَارَهُ وَيَسْتَرْقُ السَّمْعَ، فَوَقَعَ: دَارِنَا حَانَ وَيَدْخُلُهَا مِنْ وَفَى وَمَنْ حَانَ. وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَيْهِ رَقْعَةً فِيهَا: إِنْ رَأَى سَيِّدَنَا أَنْ يَنْعَمَ بِمَا سَأَلْتَهُ إِيَّاهُ فَعَلْ. فَزَادَ فِيهِ أَلْفَا وَرَدَ الرَّقْعَةَ إِلَى صَاحِبِهَا وَبَشَّرَ بِالتَّوْقِيعِ، فَلَمْ يَرَهُ، وَعَرَضَهَا عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ الضَّبِّيِّ، فَأَرَاهُ الْأَلْفَ الَّتِي كَتَبَهَا فُدَّامَ " فَعَلَّ " أَيْ " أَفْعَلَّ . "

وَرَفَعَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مَجْرِمٌ يَسْأَلُهُ الْإِنْصَافَ، فَوَقَعَ: مِثْلَكَ مَنصِفٌ وَلَا يَنْصِفُ. وَرَفَعَ إِلَيْهِ فِي رَجُلٍ عَصَى لَهُ أَمْرًا فَوَقَعَ: الْعَصَا لِمَنْ عَصَى. وَرَفَعَ إِلَيْهِ عَلَوِي قِصَّةً بَعْدَ قِصَصِ أِبْرَمَ فِيهَا، فَوَقَعَ: " لَا تَحُوجِنِي إِلَى أَنْ أَقُولَ " يَا نُوحَ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَمْلِكَ " (هُود: ٤٦) " وَالسَّلَامَ . "

وَوَقَعَ فِي قِصَّةِ سَاعٍ: جَمَعْتَ قِصَّتَكَ شَكَايَةً وَسَعَايَةً، أَمَا الشُّكَايَةُ فَأَنْتَ مَحْمُولٌ فِيهَا عَلَى الْحُكْمِ الْبِيحْتِ، وَأَمَا السَّعَايَةُ فَمَرْدُودَةٌ عَلَى إِدْرَاجِ الْمَقْتِ. وَفِي قِصَّةِ مَتَنَصِلٍ مِنْ ذَنْبٍ: مِنْ ثَقُلَتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ خَفَ وَزَنَهُ، وَمَنْ اسْتَمَرَّتْ بِهِ الْغَرَّةُ طَالَ حِرْزُهُ. وَفِي رَقْعَةٍ وَكَيْلٍ عَزَلَهُ: عَزَلَكَ أَحْسَنَ حَالِيكَ وَحَبِسَكَ أَوْطَأَ رَحِيلِكَ. وَفِي رَقْعَةٍ قَائِدِ بَازَاءِ حَرْبٍ: ازْحَفْ فَإِنَّ أَجْلَكَ لَا يَسْبِقُكَ وَرِزْقَكَ لَا يَتَأَخَّرُ عَنْكَ. وَفِي رَقْعَةٍ مِنْ أَنْكَرِ عَلَيْهِ يَأْسًا وَطَعْمًا: إِنْ قَنَعْتَ مِنَ الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ، وَإِلَّا جَعَلْتَ عَيْبَةَ لِلنَّاسِ. وَإِلَى عَامِلٍ: عَزَلَكَ أَحْسَنَ حَالِيكَ وَنَفِيكَ أَبْلَغَ وَنَاقِيكَ، وَوَقَعَ فِي شَأْنِ مَجْرِمٍ: اخْلُقْ نَبَاتَ خَدِيدِهِ وَانْقَشْ بِالسَّمْطِ حَدِي لِيَعْبَرَ النَّاطِرُ إِلَيْهِ. وَوَقَعَ فِي شَأْنِ عَامِلٍ خَوَارٍ: عَجَلْ لَهُ خَوَارٍ. وَفِي قِصَّةِ مَتَزَلِّمٍ: إِنْ كَبِحْتَ عَنَانَكَ عَنِ الْحَيْفِ، وَإِلَّا سَلَلْنَا عَلَيْكَ السَّيْفَ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ شَاعِرٌ رَقْعَةً فِيهَا مَدِيحَةٌ رَدِيَّةٌ. فَوَقَعَ لَهُ فِيهَا بِمِائَةِ رِزْمٍ فَعَادَ يَلْحَفُ، فَوَقَعَ: تَلَّكَ الْمَدِيحَةَ تَكْفِيمًا مِائَةً مَنِيحَةً. وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفُضَّلَاءِ يَعْتَذِرُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي خِدْمَتِهِ لَخَوْفِ التَّنْقِيلِ، فَوَقَعَ: مَتَى يَثْقُلَ الْجَفْنَ عَلَى الْعَيْنِ، وَوَقَعَ فِي رَقْعَةٍ فِي مَلْتَمَسِ جَوَازٍ: يَبْدُلُ لَهُ جَوَازَ فَإِنَّهُ عَلَا أَوْ فَازَ. وَرَفَعَ إِلَيْهِ طَرِيفَ الْجُرْجَانِيِّ الْمُتَكَلِّمِ يَتَزَلِّمُ مِنْ دِيْلِيِّ كَأَنَّ يَنْزِلُ فِي دَارِهِ، فَوَقَعَ فِي رَقْعَتِهِ: دَارَكَ تَصَانَ عَنِ النَّوْازِلِ، فَكَيْفَ عَنِ النَّازِلِ، فَلِيَزْعَجْ عَنْهَا مَا كَانَ وَكَائِنًا مَا كَانَ. وَوَقَعَ فِي رَقْعَةٍ لَشَقِيقِ الْبُلْجِيِّ الْمَذْكَرِ: مِنْ نَظَرِ لَدِينِهِ نَظَرْنَا لَدِينَاهُ، فَإِنْ قَلْتَ بِالْعَدْلِ وَالتَّوْحِيدِ مَهْدِنَا لَكَ التَّمْهِيدِ، وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى الْجَبْرِ فَمَا لَكَسْرِكَ مِنْ جَبْرٍ.

وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو حَفْصُ الْوَرَّاقِ: لَوْلَا أَنْ " الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ " (الذَّارِيَاتُ: ٥٥) وَهَذَا السَّيْفُ يَعْثِي الْمَلْتَمَسَ لَمَّا ذَكَرْتَ ذَاكَرًا وَلَا مَزَزْتَ مَاضِيًا، وَلَكِنْ ذَا الْحَاجَةِ لَضُرُورَتِهِ يَسْتَعِجِلُ النَّجْحَ، وَيَكْدُ الْجُودَ السَّمْحَ، وَحَالَ عَبْدٍ مَوْلَانَا فِي الْجِنِّطَةِ مُخْتَلَفَةً، وَجَرْدَانَ دَارَهُ عَنْهَا مَنصَرَفَةً، فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا أَنْ يَخْلَطَ عَيْدَهُ بِمَنْ أَحْصَبَ رَحْلَهُ عِنْدَهُ فَعَلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى: فَوَقَعَ فِي ظَهْرِ رَقْعَتِهِ: أَحْسَنْتَ يَا أَبَا حَفْصَ قَوْلًا، وَسَتَحْسِنُ فَعْلًا، فَبَشِّرْ جَرْدَانَ دَارَكَ بِالْخُصْبِ، وَأَمْنَهَا مِنَ الْجَدْبِ، وَالْجِنِّطَةَ تَأْتِيكَ فِي الْأُسْبُوعِ، وَلَسْتَ عَنْ غَيْرِهَا مِنَ النَّفَقَةِ بِمَمْنُوعٍ.

قصة أهل البصرة من المسجدين من كتاب البخلاء للجاحظ

التعريف بصاحب النص :

ولد الجاحظ في مدينة البصرة في عهد خلافة المهدي ثالث الخلفاء العباسيين. نشأ فقيراً قبيحاً و جاحظ العينين ، طلب العلم في سن مبكر فقرأ القرآن ومبادئ اللغة على شيوخ بلده لكن اليتيم والفقر حال بينه وبين تفرغه لطلب العلم فصار يبيع السمك والخبز في النهار ويكثري دكاكين الوراقين في الليل فكان يقرأ من الكتب ما يستطيع قراءته، عاش في القرن الذي كانت فيه الثقافة العربية في ذروة ازدهارها ، أخذ علوم اللغة العربية وأدائها على يد نخبة من العلماء أمثال الأصمعي وأبي عبيدة التميمي، كما اهتم بالثقافات اليونانية والهندية والفارسية ثم توجه إلى بغداد من هنا تميز وبرز فيها، وتولى ديوان الرسائل للخليفة المأمون ، توفي سنة ٢٢٥ هـ (٨٦٨ م). عن عمر يقارب ٩٠ عاماً، مات إثر وقوع صف من الكتب عليه بينما كان يطالع بعض الكتب المحببة إليه في مكتبته فمات مدفوناً بالكتب مغلفاً كتباً ومقالات مازالت تخلده ، أهم مؤلفاته كتاب البخلاء.

كتاب البخلاء: هو كتاب أدب وعلم وفكاهة وصف فيه الجاحظ الحياة الاجتماعية في العصر العباسي فكشف عن حديث القوم في شؤونهم الخاصة والعامة وعن الكثير من الصفات والعادات والتقاليد فقد صور الجاحظ البخلاء تصويراً واقعياً حسياً فكاهياً في مواقف هزلية تربوية قصيرة، فكتاب البخلاء موسوعة علمية أدبي.

النص:

قال أصحابنا من المسجدين^١: اجتمع ناس في المسجد ممن ينتحل الاقتصاد في النفقة، والتنمية للمال، من أصحاب الجمع والمنع^٢. وقد كان هذا المذهب صار عندهم كالنسب الذي يجمع على التحاب، وكان الذي يجمع على التناصر. وكانوا إذا التقوا في حلقتهم تذكروا هذا الباب، وتطارحوه وتدارسوه، التماساً للفائدة واستمتاعاً بذكره.

الجمار والماء الأجاج:

فقال شيخ منهن: ماء بئرا - كما قد علمتم - ملح أجاج^٣ لا يقربه الجمار، ولا تسيغه الإبل^٤، وتموت عليه

(١) المسجدين : جماعة من البخلاء كانوا يجتمعون في المسجد ليتدارسوا شؤون الاقتصاد وسبل تقليل النفقة وتمير المال.

(٢) اصحاب الجمع والمنع: اصحاب البخل الذين يجمعون الدرهم من غير أن يطلقوا سراحه في الغد.

(٣) أجاج: مز.

(٤) تسيغه الإبل: تجده سائفاً أي سهلاً مدخله

النخل. والنهر منا بعيد. وفي تكلف العذب علينا مؤنة^١. فكنا نمزج منه للحمار، فاعتلّ منه، وانتفض علينا من أجله. فصرنا بعد ذلك نسقيه العذب صرفاً. وكنت أنا والنعجة^٢.

كثيراً ما نغتسل بالعذب، مخافة أن يعترني جلودنا منه مثل ما اعترى جوف الحمار. فكان ذلك الماء العذب الصافي يذهب باطلاً. ثم انفتح لي فيه باب من الإصلاح. فعمدت الى ذلك المتوضأ، فجعلت في ناحية منه حفرة، وصهرجتها^٣، وملّستها، حتى صارت كأنها صخرة منقورة، وصوّبت لها المسيل، فنحن الآن إذا اغتسلنا صار الماء إليها صافياً، لم يخالطه شيء. ولولا التعبد لكان جلد المتغوّط^٤ أحقّ بالثّين، من جلد الجنب^٥، فمقادير طيب الجلود واحدة، والماء على حاله. والحمار أيضاً لا تقزّز^٦ له من ماء الجنابة، وليس علينا حرج في سقيه منه. وما علينا أن كتابا حرّمه، ولا سنّة نهت عنه، فربحنا هذه منذ أيام. وأسقطنا مئونة عن النفس والمال.

قال القوم: هذا بتوفيق الله، ومثّه.

مريم الصنّاع:

فأقبل عليهم شيخ فقال: «وهل شعرت بموت مريم الصنّاع؟ فإنها كانت من ذوات الاقتصاد، وصاحبة إصلاح. قالوا: فحدثنا عنها.

قال: نوادرها كثيرة وحديثها طويل، ولكني أخبركم عن واحدة، فيها كفاية. قالوا: وما هي؟ قال: زوجت ابنتها، وهي بنت اثنتي عشرة سنة، فحلّتها الذهب والفضة، وكسّتها المروي والوشى والقز والخز^٧، وعلّقت المعصفر^٨ ودقّت الطيب، وعظّمت أمرها في عين الختن^٩، ورفعّت من قدرها عند الأحماء^{١٠}. فقال لها زوجها: أتى لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله. قال: دعي عنك، وهاتي التفسير، والله ما كنت ذات مال قديماً، ولا ورثته حديثاً، وما أنت بخائنة في نفسك، ولا في مال بعلك^{١١}، إلا أن تكوني قد وقعت على كثر. وكيف دار الأمر، فقد أسقطت عني مئونة^{١٢}، وكفيتني هذه النائبة^{١٣}. قالت: اعلم

(١) مئونة: مشقة، عذاب.

(٢) النعجة: «كنت أنا والنعجة» دلالة واضحة على روح الدعابة عند الجاحظ. وهو يرمي من خلال ذلك إلى تحقير صاحب ماء البئر الأجاج والنيل منه، وجعله بمنزلة الحيوان.

(٣) صهرجتها: طليتها بالصاروج؛ أي بالكلس. المتوضأ: الميضة وخزان الماء.

(٤) المتغوّط: القاضي حاجته.

(٥) الجنب: الذي أصابته الجنابة؛ أي النجاسة.

(٦) تقزّز: تجنّبه وابتعد عنه.

(٧) المروي: ثياب منسوبة إلى بلد العراق على شط الفرات. الوشى: الثياب المزركشة المنقوشة. القز: الثياب الحريرية، والقز هو الحرير. الخز: الحرير أيضاً.

(٨) المعصفر: أي ما صبغ بالعصفر من الثياب. والعصفر صبغ اصفر اللون.

(٩) الختن: زوج الابنة ومن كان من قبله مثل الأب والأخ.

(١٠) الأحماء: المفرد حمو؛ وهو أبوزوج المرأة، وأبوامراة الرجل.

(١١) بعلك: زوجك.

(١٢) مئونة: كلفة ومشقة.

(١٣) النائبة: المصيبة.

أني منذ يوم ولدتها، إلى أن زوجتها، كنتُ أرفع من دقيق كلِّ عجينة حفنة؛ وكنا، كما قد علمت، نخبز في كلِّ يوم مرة. فإذا اجتمع من ذلك مكوك^١ بعثته. فقال لها زوجها: ثبتت الله رأيك وأرشدك، وفقد أسعد الله من كنت له سكتنا^٢، وبارك لمن جعلت له إلفاء. ولهذا، وشبهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من الذود^٣ إلى الذود إبل»، وإني لأرجو أن يخرج ولدك على عرقك الصالح، وسلى مذهبك المحمود. وما فرحي بهذا منك بأشدَّ من فرحي بما ثبتت الله بك في عقي^٤ من هذه الطريقة المرضية. فنهض القوم بأجمعهم إلى جنازتها، وصلوا عليها. ثم رجعوا إلى زوجها فعزَّوه على مصيبتة؛ وشاركوه في حزنه.

درهم على درهم:

ثم اندفع شيخ منهم فقال: «يا قوم لا تحقروا صغار الأمور، فإن أول كل كبير صغير، ومتى شاء الله أن يعظم صغيرا عظمه، وأن يكثر قليلا كثره. وهل بيوت الأموال الا درهم على درهم؟ وهل الدرهم إلا قيراط إلى جنب قيراط؟ أ وليس كذلك رمل عالج^٥ وماء البحر؟ وهل اجتمعت أموال بيوت الأموال إلا بدرهم من هاهنا، ودرهم من هاهنا؟ قد رأيت صاحب سقط قد اعتقد مائة جريب^٦ في أرض العرب؛ ولربما رأيته يبيع الفلفل بقيراط، والحمص بقيراط فأعلم أنه لم يربح في ذلك الفلفل إلا الحبة والحبتين، من خشب الفلفل، فلم يزل يجمع من الصغار الكبار، حتى اجتمع ما اشترى به مائة جريب.

ماء النخالة:

ثم قال: «اشتكت أيا ما صدري، من سعال كان أصابي. فأمرني قوم بالفانيد^٧ السكري، وأشار علي آخرون بالخزيرة تتخذ من النشاستج^٨ والسكر، ودهن اللوز، وأشياء ذلك. فاستثقلت المثونة، وكرهت الكلفة، ورجوت العافية. فبينما أنا أدافع الأيام، إذ قال لي بعض الموفقين: «عليك بماء النخالة، فأحسه^٩ حارا». فحسوت فإذا هو طيب جدا، وإذا هو يعصم^{١٠} جدا فما جعت ولا اشتبهت الغداة في ذلك اليوم إلى الظهر. ثم ما فرغت من غدائي وغسل يدي حتى قاربت العصر. فلما قرب وقت غدائي من وقت عشائي، طويت العشاء وعرفت قصدي.

فقلت للعجوز: «لم لا تطبخين لعبالنا في كل غداة نخالة؟ فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة، ثم تجففين بعد، النخالة، فتعود كما كانت، فتبعيه إذا اجتمع بمثل الثمن الأول، ونكون قد ربحتنا

(١) مكوك: مكيال يسع ضعف رطل إلى ثمانى أواق.

(٢) سكتنا: أي كنت له عشيرا يستأنس بك.

(٣) الذود: ما بين الاثنين والتسع، أو ما بين الثلاث والعشر من الإبل. وقوله في المثل: من الذود إلى الذود إبل، يريد به القليل من الإبل: أي إذا أضيف القليل إلى القليل يصير المجموع كثيرا.

(٤) عقي: من سوف يعقبني: أي الولد وولد الولد.

(٥) رمل عالج: جبال عالية تتصل بالصحرَاء وتتسع اتساعا كثيرا حتى قيل: رمل عالج يحيط باكثر أرض العرب.

(٦) سقط: الشيء الخسيس. اعتقد: جمع. جريب: مكيال، ومقدار معلوم من الأرض.

(٧) الفانيد: نوع من الحلواء (فارسي معرب)

(٨) الخزيرة: ضرب من الحلواء. النشاستج: النشاء. (فارسي معرب).

(٩) أحسسه: اشربه.

(١٠) يعصم: يمنع من الجوع.

فضل ما بين الحالين». فقالت: «أرجو أن يكون الله قد جمع لك هذا السعال مصالِح كثيرة، لما فتح الله لك هذه النخالة التي فيها صلاح بدتك، وصلاح معاشك».

وما أشك أن تلك المشورة كانت من التوفيق.

قال القوم: «صدقت. مثل هذا يكتسب بالرأي، ولا يكون إلا سماويا.

الحرقاق والقداحة والعرجون:

ثم أقبل عليهم شيخ آخر فقال: «كنا نلقي من الحرقاق^١ والقداحة^٢ جهدا؛ لأن الحجارة كانت، إذا انكسرت حروفها واستدارت، كَلَّتْ، ولم تقدح قدح خير، وأصلدت فلم تور^٣. وربما أعجلنا المطر والوكف^٤. وقد كان الحجر أيضا يأخذ من حروف القداحة، حتى يدعها كالقوس، فكنت أشتري المرقشينا^٥ بالغلاء والقداحة الغليظة بالثمن الموضع. وكان علينا أيضا في صنعة الحرقاق، وفي معالجة العطبة^٦ منونة، وله ربح كريهة. والحرقاق لا يجيء من الخرق المصبوغة، ولا من الخرق الوسخة، ولا من الكتان، ولا من الخلقان^٧. فكنا نشتره بأعلى الثمن. فتذاكرنا منذ أيام أهل البido والأعراب، وقدحهم النار بالمرخ^٨ والعفارة^٩. فزعم لنا صديقنا الثوري^{١٠}، وهو، ما علمت، أحد المرشدين: أن عراجين الأعذاق^{١١} تنوب عن ذلك أجمع، وعلمني كيف تعالج. ونحن نؤتي بها من أرضنا بلا كلفة. فالخادم اليوم، لا تقدح ولا توري إلا بالعرجون.

قال القوم: «قد مرت بنا اليوم فوائد كثيرة، ولهذا ما قال الأول:» مذاكرة الرجال تلقح الألباب».

معاذة العنبرية:

ثم اندفع شيخ منهم فقال: «لم أرفي وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعاذة العنبرية». قالوا: «وما شأن معاذة هذه؟ قال: أهدى إليها العام ابن عم لها أضحية^{١٠}. فرأيتها كنيبة حزينة مفكرة مطرقة، فقلت لها: مالك يا معاذة؟ قالت أنا امرأة أرملة وليس لي قيم^{١١}، ولا عهد لي بتديير لحم الأضاحي. وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه. وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، و

(١) الحرقاق: ما تقع فيه النار.

(٢) القداحة: الحجر الذي يستعمل لقدح النار.

(٣) أي لم يخرج ناره.

(٤) الوكف: سال قليلا، والوكف أيضا هو سقف البيت.

(٥) المرقشينا: ما يشبه الحجر الذي يقدح عليه النار.

(٦) العطبة: قطعة من القطن.

(٧) الخلقان: من الثياب الممزقة خرقا.

(٨) المرخ: نوع من الشجر سريع الاشتغال. العفارة: شجر يتخذ منه الزند، أي ما تقدح به النار.

(٩) عراجين الأعذاق: عنا قيد شجر النخل.

(١٠) أضحية: ما يذبح في عيد الاضحى من الشياه.

(١١) قيم: مسئول مدبر.

لست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها. وقد علمت أن الله لم يخلق فيها، ولا في غيرها شيئا لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجز تضييع الكثير.

أما القرن فالوجه فيه معروف، وهو أن يجعل منه كالخطاف، ويسمّر في جذع من أجداع السقف، فيعلق عليه الزّبل والكيران^١، وكل ما خيف عليه من الفأر، والنمل والسنائير، وبنات وردان^٢، و الحيات، وغير ذلك. وأما المصران فإنه لأوتار المندفة، وبنا الى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف الرأس، واللحيان، وسائر العظام، فسبيله أن يكسر بعد أن يعرق، ثم يطبخ، فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة^٣، ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم ير الناس وقودا قط أصفى و لا أحسن لها منه، و إذا كانت كذلك فهي أسرع في القدر، لقلّة ما يخالطها من الدخان. وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب^٤، وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث^٥ والبعر، فحطب إذا جفّ عجيب.

ثم قالت: «بقي الآن علينا الانتفاع بالدم. وقد علمت أن الله عزّ وجلّ، لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه، وأن له مواضع يجوز فيها، ولا يمنع منها؛ وإن أنا لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع الانتفاع به، وصار كية في قلبي، وقذى في عيني^٦، وهما لا يزال يعودني.

قال: «فلم ألبث أن رأيتهما قط طلّقت وتبسّمت. فقلت: «ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم» . قالت: «أجل ذكرت أن عندي قدورا^٧ شامية جددا. وقد زعموا أنه ليس شيء أديغ^٨، ولا أزيد في قوتها من التلطّيح بالدم الحار الدسم، وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء موقعه. قال: «ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديداً تلك الشاة»؟ قالت: «بأي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد. لنا في الشحم والألية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش. ولكل شيء إبان^٩.

فقبض صاحب الحمام والماء العذب قبضة من حصى، ثم ضرب بها الأرض، ثم قال: «لا تعلم أنك من المسرفين، حتى تسمع بأخبار الصالحين».

(١) الخطاف: حديدة ملوبة. جذع: ساق النخلة والشجرة، وعلى الأجداع يبني سقف البيت. الزبل: ج زبل، وهو القفة. الكيران: ج كير، وهو الرق.

(٢) بنات وردان: الصراصير.

(٣) الإدام: ما يجعل مع الخبز فيطبخه. العصيدة: دقيق يمزج بالسمن ويطبخ.

(٤) الإهاب: الجلد. جراب: قفة تكون عادة من الجلد.

(٥) الفرث: الزبل ما زال في الكرش.

(٦) كية: حرقة ولوعة. قذى: وسخ يجري في دمع العين.

(٧) قدورا: أوعية.

(٨) أديغ: اشد صبغا.

(٩) قديد: اللحم المقطع والمجفف.

(١٠) الجنوب: جمع جنب، اي جنب الشاة. إبان: موعده ووقت.

UNIT –IV Medieval Poetry

الأبي سبيل المجد أبو العلاء المعري

أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المولود في المعرة عام ٩٧٣م ويرجع نسبه إلى قحطان. مرض في طفولته بداء الجدري فعميت عيناه. لزم العزلة في بيته يؤلف الكتب ويزوره أرباب الأدب حتى قضى نحبه عام ١٠٥٨م ولم يكن شاعرا فحسب بل عالما وفيلسوبا ترك أثرا أدبيا قيما.

عُرف أبو العلاء المعري بشدة ذكائه، وموهبته الفريدة في الحفظ والفهم: فكان يحفظ كل ما يسمعه دون أن ينسى شيئا. وقد ساهم هذا النبوغ في غزارة علمه؛ وطلوعه في الأدب واللغة والنحو والصرف؛ إلى الحد الذي اعتبر أعجوبة زمانه في اللغة وفي حفظ شواهدهما، وقيل عنه أيضاً إنه اللغوي الوحيد بالمشرق في ذلك الوقت.

فكانت ثقافته واسعة وشاملة لجميع سنن اللغة والغريب منها، وقد برزت هذه الثقافة اللغوية بصورة واضحة في شعره: فقد كان المعري مهتماً بالغا باللغة، وبارعا في التعامل مع مفرداتها، ومنقبا عن معانيها وأسرارها، كما أدرك المعري أيضا الأساليب البلاغية وخفاياها، وقد ظهر هذا الاهتمام جليا في ديوانه (سقط الزند) الذي تميز بجزالة المعاني وفخامة المفردات ومتانة التراكيب والبراعة في النظم وحسن انتقاء الألفاظ والمعاني.

النص:

- ١ أَلَا قِسي سَبِيلِ المَجْدِ ما أَنَا فاعِل
 - ٢ أَعْندي وَقَدْ مارَسْتُ كُلَّ حَفِيَّةِ
 - ٣ أَقُلُّ صُدودي أَنمي لَكَ مُبَغِضُ
 - ٤ إِذا هَبَّتِ النُّجُباُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمُ
 - ٥ تُعَدُّ ذُنُوبي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرَةً
 - ٦ كَأَنِّي إِذا طَلَبْتُ الزَّمانَ وَأَهْلَهُ
 - ٧ وَقَدْ سارَ ذُكُري في البِلادِ فَمَن لَهِمُ
 - ٨ يَهَمُّ اللَّيالي بَعْضُ ما أَنَا مَضْمَر
- عَقافٌ وإُقْدامٌ وَخَرُومٌ وَنائِل
يُصَدِّقُ واشٍ أَوْ يُخَيِّبُ سائِل؟
وَأيسَرُ هَجْرِي أَنمي عَنكَ راحِل
فأَهُونُ شَيْءٍ ما تَقُولُ العَواذِل
ولادَ ذُنُوبِ لي إِلا العُلَى والفَواضِل
رَجَعْتُ وَعِندي لِلانْعامِ طَوانِل
بِإخْفاءِ شَمسي ضَبُؤُها مُتْكامِل
وَيُنْقَلِ رضوى دون ما أَنا حامِل

لأت بما لم تستطعه الأوانيل	٩	وإنني وإن كنتُ الأخير زمانه
وأسري ولو أن الظلام جفافل	١٠	وأغدو ولو أن الصباح صوارم
ونضو يمانٍ أغلثته الصياقل	١١	وإني جواد لم يحلّ لجامه
فما السيف الأغمده والجمائل	١٢	وإن كان في لبس الفتى شرف له
على أنني بين السماكين نازل	١٣	ولي منطلق لم يرض لي كنهه منزلي
ويقصر على إدراكه المتناول	١٤	لدى موطن يشتاقة كل سيد
تجاهلت حتى قيل أني جاهل	١٥	ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً
ووأسفا! كم يظهر النقص فاضل	١٦	فواعجباً! كم يدعي الفضل ناقص
وقد نصبت للفرقيدين الجبانل؟	١٧	وكيف تنام الطير في وكناتها
وتحسد أسحاري على الأصائل	١٨	ينافس يومي في أمسي تشرفاً
وتحسد أسحاري على الأصائل	١٩	وطال إعترافي بالزمان وصرفيه
ولومات زندي ما بكته الأنامل	٢٠	فلوبان عضدي ما تأسف منكبي
وعيرقُساً بالفهاهة باقل	٢١	إذا وصف الطائي بالبخل مادر
وقال الدحي يا صبيح لونك حائل	٢٢	وقال السهي للشمس: أنت خفية
وفاخرت الشهب الخصى والجنادل	٢٣	وطاولت الأرض السماء سفاهة
ويانفسُ جدي! إن دهرك هازل	٢٤	فياموتُ زراً! إن الحياة ذميمة
فعند التناهي يقصر المتناول	٢٥	فإن كنت تبغي العز، فابغ توسطاً
ويُدركها النقصان وهي كوامل	٢٦	توقى البدور النقص وهي أهلة

شرح المفردات والمعاني:

- (١) يتفاخر الشاعر أنه ليس ممن يعمل طلباً للمجد ومكانة عند الناس، بل إن أفعاله كلها واقعة في سبيل المجد، ثم فصل الشاعر أفعاله وعدّها من العفة والشجاعة والحزم والكرم والجود، ويدعي أن هذه الخصال كلها من خصال المجد والشرف.
- (٢) وأنا رجل عظيم مارست في الحياة جميع العقبات وأعرف خفايا الناس ونواياهم الخبيثة، فكيف أصدق النعام الذي يسعى خفية لعكر جوّ المحبة والوداد بين الناس. أو كيف أردّ سائلاً أتى إليّ يطلب الجود والرحمة.
- (٣) الصدود، الإعراض.

إذا غضبتُ أحداً فإني أصرف عنه ولا أقوم باحتقاره ومعاتبته، وإذا هجرت أحداً فإني راحل عنه ومفارق له، فلا أقوم بإيدائه سراً أو علانية، يعني إنه يترفع عن الصفات المذمومة ويحفظ عزّته وشرف نفسه في جميع الأحيان.

(٤) النكباء : المصيبة.عاذلة جمعه عواذل: لائمة.

إذا نزلت أية مصيبة تصيب بيننا فلست بمبال بما يقول الوشاة والعدّال. يعني إنه القوي فلا تنال منه تقلبات الدهر وصروفه رغم أنف الوشاة والحاسدين.

(٥) يظن من لا يعرفني أنّي أرتكب أخطاء كثيرة ، وهم في الحقيقة من لا يقدرّون معرفة حالي وشرفي لقصورهم ونقصهم عن إدراك الحق. وفي الحقيقة ليس لي ذنب إلا فضائلي وعلوّ شأنّي . وهذا فخر في أسلوب يومه الدم.

(٦) طلّت الزمان وأهله: أي تفاخرتهم بفضائلي. الطوائل: جمع طائلة، يقال بَيَّهْمُ طَائِلَةٌ أي عَدَاوَةٌ وَتَأْرٌ. يريد أن الناس إذا رأوا تفوّقي عليهم أبغضوني وحاربوني كأن لهم عندي تأراً يطالبونني به.

(٧) يجهد حسادي في ستر حالي وإخفاء أمري وكيف يمكنهم ذلك، وقد سار صبيتي في البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوءها وشعاعها ، أي لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن، فكذلك إخفاء ذكري غير ممكن.

(٨) الليالي في موضع نصب لأنه مفعول به. الرضوى: اسم جبل .

يوقع الليالي في الهم بعض ما أخفي في صدري من الأمور الكبار، يعني أستطيع أن أتحمّل الأعباء الثقيلة والمشاق الكبيرة على حين تعجز عنها الليالي - التي هي مضرب المثل- في تحمّل الهموم والأحزان التي أضمرها في صدري. كما أن الجبال - التي هي أيضاً مضرب المثل في الحزم والهمة- تعجز وتعدّ ثقيلة لحمل ما أحمل من الأعباء.

(٩) يدعي المعري أنه وإن كان من المتأخرين زماناً، فإنه أقدر من المتقدمين بالذكاء والإنتاج ويأتي بما لم يستطعه الأقدمون.

(١٠) صوارم: جمع صارمة هي القاطعة، جحافل: جمع جحفل وهو الجيش العظيم.

لا يصرفني عن همّي أمر من الأمور بل أغدو أول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفا تقطع عن قصدي، والصبح يشبهه بالسيف لبياضه وهينته، كما أنّي أُسري في الليل المظلم لحاجاتي المهمة ولا يمني عن ظلمة الليل عن همّي ولو كان الظلام جيشاً عظيماً. والظلام يشبّه بالجيش وبالعكس.

(١١) لم يُحَلَّ لِجَاهُهُ: لم يزرّكش لجامه بالذهب والفضة. نضويمان: السيف المصنوع في اليمن، واليمانيّ من السيوف العالية الجودة. الصياقل: جمع صَيَّقَلْ صُنَاعَ السيوف.

يدّعي أنه فارس شجاع مقدام ولكنه غير معروف لدى الناس وهذا يعني أن لجامه لم يزرّكش بالذهب والفضة. وإنه مثل حديدة السيف اليماني القاطعة ولكن أهملها صنّاع السيوف.

١٢) ليس الشرف في لبس الرجل الملابس الفاخرة أي ليس بالأمور الظاهرة ، وإن كان الأمر كذلك لكان شرف السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله. والأمر ليس كذلك بل شرفه في جودته. وكذلك شرف الفتى بالتجلي بأوصاف الشرف ومعالي المجد.

١٣) السماكين : نجمان في غاية العلو.

منطقي وكلامي لا يرضى بغاية منزلتي التي كنت عليها الآن مع ارتفاعها وعلوها فإنها قد بلغت السماكين بل قوة كلامي يقتضي أعلى وأشرف منزلة منها. يعنى أن منطلقه أرفع منزلة من منزلته الشخصية.

١٤) منزلي عند محلّ يتمنى كلّ سيّد أن يبلغه ويرقى إلى حدّه. ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول إليه.

١٥) لما كثّر الجبل في الناس وعزّ العلم والفضل وجهل قدرها، تكلفتّ الجبل وتظاهرت به وسترت فضلي تشبها بالجاهلين في زمانه. حتي يقال أي أيضا من الجاهلين لأجد به تسلية لنفسي.

١٦) إنه يتعجب عن ادعاء الجاهل العلم والفضل ويتأسف عن حالة العالم والفاضل ينحط إلى تظاهر الجبل والنقص.

١٧) الوكنات : جمع وكنة وهي عش الطائر. الفرقدين: هما نجمان قريبان من القطب. والحيائل جمع حباله وهي المصيدة.

يعني لا يتأتى للطير أن تطمئن في أعشاشها مع أن المصايد أعدت لصيد النجوم التي لا تنال، فكيف يهدأ قلب الرجل إذا حاط به الأعداء للمكيدة.

١٨) ينافس : يفاخر.

يحسد وقته الماضي للوقت الذي كان فيه ، فصار أمسه الماضي يحسد ليومه الحاضر لشرفه وكونه فيه، وكذلك تحسد الأصائل الأسحاز التي كان فيها. يعني أن الأوقات والأيام أيضا في تحاسد وتباغض دائمين طلبا لحضوره ونيل شرفه بوجوده.

١٩) صروف الدهر: نوابه، أبالي: أكثرث، وغاله: أهلكه. العوائل: الدواهي والمصائب العظيمة.

طال اختباري لحوادث الزمان وأحواله، وتمرتت نفسي على نوابه الدهر ومصائبه، فصرت لا أجزع على المصائب ولا أبالي بمن تنزل نوازل الدهر. يعني لا أكثرث لمن تهلكه الدواهي لكثرة ما ورد من ذلك علي.

٢٠) العضد: ما بين المرفق إلى الكتف. المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد. بان: انفصل. الزند: موصل طرف الذراع في الكف. الأنامل: أطراف الأصابع.

يدعي أنه في غاية الحزم والهمة ولا يبالي بصروف الدهر ونوابه، حتى أن كفه انفصل عن منكبه فلا يحزن عليه المنكب لضياعه، كما أن أنامله الصحيحة لا تحزن على موت زنده الذي عليه قوامها.

٢١) الطائي هو حاتم المشهور بالكرم، ومادر لقب رجل من بني هلال يسمى مخارق مشهور بالبخل واللؤم. عيّر. عيّب. قسّ هو قس بن ساعدة الأيادي المشهور بالخطابة والحكمة والبلاغة، الفهاة: العي: اللكنة وعدم القدرة على تفهيم ما في الضمير. باقل: رجل اشتهر بالعي واللكنة. يقال إنه اشترى غزالاً بأحد عشر درهماً فسنل عن ثمنه فمدّ كفيه يريد عشرة وأخرجه لسانه ليكملها أحد عشر ففرّ منه الظبي ونجا فضرب به المثل في العي.

٢٢) السها: كوكب خفي. الدجى: الليلة المظلمة. حائل: فاتر متغير.

٢٣) طاول: فاخر. السفه: الجهل. الشهب: الشَّهْبُ: الجَيْلُ علاءُ التَّلَجِّ. الحصى: صغار الحجارة والجنادل: كبارها.

٢٤) وهذا السطر هو جواب للأبيات الثلاث قبله. يقول إذا تقلبت الأحوال والأوضاع وصارت الأمور معكوسة فلا تبقى لرجل سديد رغبة للعيش على وجه الأرض وتكون الحياة ذميمة فالأحسن له أن يموت ويغيب عن هذه الدنيا التي صارت ميدانا للهزل والسخرية فيصير بطن الأرض خير من ظهرها. ودلّ الشاعر على تقلب الأمور رأساً على عقب بستة أمثلة واضحة من التاريخ ومن الظواهر الكونية، وهي وصف مادر البخيل الحاتم الطائيّ بالشحّ والبخل، وتغيب باقل الأخرس قسّاً الخطيب البليغ بالعي، وتحقير النجم الخفيّ الشمس المضيئة بأنها خفية، وقول الظلام للصبح بأن لونه فاتر، وتفخر الأرض السافلة للسماوات العليا جهلاً وعدواناً في شأن الرفعة والمنزلة، وتفخر الحصى الصغيرة للصخور الكبيرة للجبال العالية في الرفعة والعلو.

٢٥) يدخل المعري أخيراً إلى فلسفته قائلاً فإن التوسط والإعتدال في الأمور هو خير وأبقى وهو السبيل إلى العز والرفعة وإذا ذهب واحد إلى التطرف والتشدّد فيكون مآله الخيبة والخسران.

٢٦) ويردّ الشاعر عليه دليلاً من الظواهر الكونية حيث يقول: إن القمر يتقي على نفسه النقص والقصور بل يعرج إلى التمام عندما يكون أهلة، ويصيبه النقصان شيئاً فشيئاً عندما يصير بدراً كاملاً.

أضحى التنائي

ابن زيدون

هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي ، المعروف بابن زيدون شاعر أندلسي، برع في الشعر كما برع في فنون النثر، حتى صار من أبرز شعراء الأندلس المبدعين وأجملهم شعراً وأدقهم وصفاً وأصفاهم خيالاً، كما تميزت كتاباته النثرية بالجودة والبلاغة، وتعد قصيدته «أضحى التنائي» التي وجهها إلى ولادة بنت المستكفي من أرق شعر الغزل ودرجت على لسان المغنين حتى يومنا الحاضر.

النص:

- ١ أَضْحَى التَّنَائِي بَدِيلاً مِنْ تَدَانِينَا
- ٢ إِنَّ الزَّمَانَ الَّذِي مَا زَالَ يُضْحِكُنَا
- ٣ غِيظَ الْعِدَى مِنْ نَسَاقِينَا الْهَوَى فَدَعُوا
- ٤ فَانحَلَّ مَا كَانَ مَعْقُودًا بَأَنْفُسِنَا
- ٥ بِنْتُمْ وَبِنَا فَمَا ابْتَلَتْ جَوَانِحُنَا
- ٦ نَكَادُ جِينِ تُنَاجِيكُمْ ضَمَانِرْنَا
- ٧ حَالَتْ لِفَقْدِكُمْ أَيَامُنَا فَعَدَّتْ
- ٨ إِذْ جَانِبَ الْعَيْشِ طَلَّقَ مِنْ تَأَلُّفِنَا
- ٩ لِيَسْقَ عَهْدَكُمْ عَهْدَ السَّرُورِ فَمَا
- ١٠ لَا تَحَسَّبُوا نَأْيَكُمْ عَنَّا يُغَيِّرُنَا
- ١١ وَاللَّهِ مَا طَلِبْتُ أَهْوَاؤُنَا بَدَلًا
- ١٢ يَا سَارِيَّ الْبَرْقِ غَادِ الْقَصْرِ فَاسْقِ بِهِ
- ١٣ وَيَا نَسِيمَ الصَّبَا بَلِّغْ تَحِيَّتِنَا
- ١٤ رَبِيبُ مَلِكٍ كَانَ اللَّهُ أَنشَأَهُ مَسْكَ
- ١٥ أَوْ صَاغَهُ وَرَقًا مَحْضًا وَتَوَجَّهْ
- ١٦ إِذَا تَأَوَّدَ آدَتَهُ رِفَاهِيَّةً
- ١٧ كَانَتْ لَهُ الشَّمْسُ ظَنْرًا فِي أَكْلَيْتِهِ
- ١٨ كَانَمَا أُثْبِتَتْ فِي صَحْنٍ وَجُنْبَتِهِ
- ١٩ مَا ضَرَّ أَنْ لَمْ تَكُنْ أَكْفَاهَهُ شَرْفًا
- ٢٠ يَا رَوْضَةً طَالَمَا أَجْنَتْ لَوَاحِظُنَا

٢١	ويا حياةً تَمَلِّينَا بزهرتها	مُنَى ضُرُوبًا وَلَدَاتِ أَقَابِينَا
٢٢	ويا نعيمًا خَطَرْنَا من غَضَارَتِه	في وَشِي نُعْمَى سَحَبْنَا ذَيْلَه جِينَا
٢٣	لَسْنَا نُسَمِّيكِ إِجْلَالًا وَتَكْرِمَةً	وقدْرِكِ المَعْتَلَى عن ذَاك يُغْنِينَا
٢٤	دُومِي على العبد، ما دُمْنَا، مُحَافِظَةً	فَالْحُرُّ مَنْ دَانَ إِنْصَافًا كَمَا دِينَا
٢٥	عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامٌ اللهُ مَا بَقِيَتْ	صَبَابَةٌ مِنْكِ نُخْفِيهَا فَتُخْفِينَا

شرح المفردات والمعاني:

الفكرة العامة في هذه القصيدة هي وفاء الشاعر في حبه لولادة.

أولاً: وصف للحاضر الأليم، وتألم على الماضي الجميل، ويعبر عن كل ذلك من خلال أبيات تقطر وفاء وحباً وتجلداً. يكاد الشاعر في هذه الأبيات يذوب أسى وألماً على فراق ولادة بنت المستكفي حبيبته وعشيقته. ويحترق شوقاً إليها وإلى الأوقات الصافية الماتعة التي أتاحت له معها. وفي ظلال هذه العاطفة المتأججة الملتبته، أنشأ هذه القصيدة النابضة بالحياة المترجمة عما في صدره من مكنون الحب والوفاء العجيبين. فيها وصف للحاضر الأليم، وتألم على الماضي الجميل، ويعبر عن كل ذلك من خلال أبيات تقطر وفاء وحباً وتجلداً.

(١) أضحى: أصبح. التثاني: البعد. بدبلا: عوضاً. تدانينا: قربنا. ناب: حل. لقيانا: لقائنا. تجافينا: إعراضنا.

يستهل الشاعر قصيدته بالتوجع والتحسر على ما صارت إليه حاله، فقد تغيرت من قرب بينه وبين محبوبته إلى بعد ونأي يتزايد مع الأيام. لقد تحوّل القرب بُعداً وصار اللقاء جفاء وهو أمر يشقيه ويعذبه. نجد الشاعر أنه استخدم ألفاظاً جزلة في التعبير عن مدى وطول البعد وقوة الشوق حيث استخدم ألفاظاً ذات حروف ممدودة يمتد فيها النفس ليعبر عن ألمه ونجد ذلك في جميع ألفاظ البيت الأول، حيث يقول: إن التباعد المؤلم بينه وبين محبوبته أضحى مكان القرب، وحلّ الجفاء والهجر مكان اللقاء والوصل.

(٢) الزمان الذي كان يقيم بيننا المودة والمحبة وأدام بيننا الوصال واللقاء والإيناس أبدلنا الشقاوة والفراق بسبب الحساد والنمامين.

(٣) غيظ: حُمل على الغضب أي الغيظ. تساقينا الهوى: تبادلنا الحب. نغصن: نضيق.

يقول: بأن عذاله قد حنقوا عليه وعلى محبوبته لما بينهما من صفاء وود ومحبة، وأن الدهر قد استجاب لدعائهم وحقّق لهم ما أرادوا من وقية بينهما فأصابهما الحزن والألم.

(٤) انحل: نزل. معقودا بأنفسنا: مربوطا وموصولاً بها. انبتت: انقطع.

فكان نتيجة ذلك كَلِّه أن تفرّقنا، وتباعدا، وانفرد عقد محبتنا، وما كان بيننا من وئام، واتفاق، حيث لم يكن يخطر ببال أحد منا أن يأتي هذا اليوم الحزين، الذي نفترق فيه فراقاً لا يرجى من ورائه لقاء، أو وصال.

(٥) بان: ابتعد وافترق. مآقينا: جمع مؤق وهو مجرى العين من الدمع.

يتحدث الشاعر عما يكتنه من وفاء لولادة ويبثها ألامه ولوعته فيقول: ابتعدتم عنّا وابتعدنا عنكم ونتيجة هذا البعد فقد جفّت ضلوعنا وما تحوى من قلب وغيره، واحترق قلوبنا بنار البعد في الوقت الذي ظلت فيه عيوننا مبتلة بالدمع من تواصل البكاء .

(٦) ويستمر الشاعر في وصف الصورة الحزينة القائمة فيقول: يكاد الشوق إليكم يودي بحياتنا لولا التصبر والأمل والتسلي في اللقاء. أي حينما تعود به الذكرى على الأيام الخوالي فيتصور الشاعر الجمال والفتنة والحب والبهجة والأمل والسعادة ويهتف ضميره باسمها ويناوجها ويوازن بين ما كان عليه وما صار إليه، تقرب روحه أن تفارق جسده بسبب الحزن المفرط الذي يملأ جوانحه لولا أنه يمّي نفسه بالأمل ويعزي روحه بالصبر.

(٧) لقد تبدلت الحياة وتحوّلت الأحوال بعد فراقها وصارت الأيام المشرقة الباسمة المضيئة سودا مظلمة بعد أن كانت الأيام حتى الليالي مضيئة مشرقة بوصولها.

(٨) طلق: مشرق. المربع: الموضوع يقام فيه زمن الربيع، والمراد مكان اللهب. التألف: الألفة والترابط.

يصف الشاعر ويتذكر أيامه مع محبوبته حيث كانت الحياة صافية متفتحة وحيث كانا يجنيان ثمار الحب ما يشاءان ومتى يشاءان. فهو يقول أن عيشنا الماضي كان طلقاً من شدة الألفة بيننا وقوة الترابط حيث اللهب والسمر والتخلي فيما بينهم وبين أنفسهم، لا يعكره حزن ولا هم ولا شقاق ولا خلاف ولهذا فهو صاف مثل المورد العذب الجميل من شدة الصفاء وخلو المودة.

(٩) ويطوف بالشاعر طائف الذكرى الحلوة فيدعو لعودة عهد الوفاء والسرور والرفاهية بينهما، حيث عاشا في روح وراحة وفي جو يعطر أرواحهما بالنسيم العليل. وهذا دعاء يكشف عن الحنين إلى العهد الماضي وجمال الذكرى .

(١٠) نأي: الفراق. طالما: كثيراً ما.

لا يظنّ أحد أننا كباقي المحبين يغيّرهم البعد والفراق، فهو مازال محافظاً على حبال الوصل والودّ رغم تباعد الأبدان.

(١١) يقسم بالله بأن قلبه لن يتعلق بغيرها ولم تتحول أمانيه عن حبا.

١٢) ساري البرق: المطر. غاد: إذهب مبكرا. أمر من غادى يغادي. القصر: يعني مسكن المحبوبة. صرف الهوى: الحب الخالص.

ينادي الشاعر المطر ويطلب منه أن يبكر في إرواء قصر محبوبته بماء المطر العذب الصافي، لأنها كانت كثيرا ما تسقيه حبا خالصا نقيًا من الخداع والزيغ. يريد الشاعر أن يُشرك عناصر الطبيعة في الوساطة بينه وبين ولادة من جهة، ومن جهة أخرى حيث راح يستعين بها للتحمل معه ثقيل أعبائه، فلعلها تقف بجانبه، وتخفف عنه من آلامه في وحدته، وغربته التي يعاني منها.

١٣) ولا يكتفي الشاعر بالمطر، بل راح يقصد نسيم الصبا لينقل تحياتَه إلى محبوبته التي لوردت عليه التحية فإنها ستمنحه الحياة، وتبعث فيه الأمل.

ثانيا: الغزل بالمحبة ووصفها بأدع التصاوير المستوحاة من الطبيعة.

١٤) ربيب: ذات رفاهية وعيش رغد. إنشاء الوري: خلق الناس.

يتغزل بحبيبه (حبيبة) قائلا: كانت في رفاهية وفي رغد من العيش كأن الله خلقها من المسك والعنبر حيث لم تكن كباقي البشر خلقهم الله من الطين وقدّر الله لهم ضيق العيش وخشونة في الطبيعة.

١٥) صاغ: سبك. ورق: فضة. توج: ألبس التاج. ناصع: الخالص.

أو كأنها فضة خالصة متوجة من الذهب الخالص وأحسنها في الخلق والخلق.

١٦) تأود: ثقل عليه وشقّ. نوم: جمع تومة وهي القرط فيه حبة كبيرة. أد: مضارعه يؤود كأب يؤوب أثقل وأعجز أو قوي واشتدّ. أدمى: أسال الدم. البرى: يعني الخلاخل.

وهي تمايل وتنثني لثقل حبات اللؤلؤ في أذنها، وتدمي رجلها الخلاخل لشدة ليونتها.

١٧) ظئر: المرضة. أكلة: جمع إكليل وهو التاج. تجلى: ظهر وبدى.

الشمس كانت كالمريضة لحبيبتها المكلفة بالتاج تمنحها الجمال والإشراق، بينما كانت لا ترى الشمس إلا أحيانا قليلة.

١٨) كأن الكواكب المنيرة أثبتت في وجه محبوبته فمنحتها الجمال والإشراق كما دفعت عنها الشر والأذى.

١٩) ولا يضيرنا أننا لسنا مكافئين لها في النسب والحسب شرفا ومكرمة بل يكفي لنا أن نكون مكافئين في المودة والألفة والعاطفة النفسية.

٢٠) ينادي الشاعر حبيبته عشقا حيث شهبها بروضة مليئة بالأشجار الجميلة قطفت عيون الشاعر منها أجمل أزهار ورد النسرين والرياحين. ويقصد بورد النسرين والرياحين محبوبته ولأده.

٢١) ينادى الشاعر محبوبته للتحبب ويصفها بأنها جعلت هذه الحياة منعمة جميلة. تمتع الشاعر وتنعم بجمال الزهر ولذاتها.

٢٢) غضارة: طيب العيش. وشي: يعنى زينة.

ينادي الشاعر محبوبته أيضا متذكرا تلك الحياة الناعمة والعيش الرغد التي أنفق معها في رفاهية. ويظهر التحسر والندامة عن فقدانها.

٢٣) يؤكد الشاعر في هذا البيت احترامه لمحبوبته فهو لا يذكر اسمها تكريما لها وتشريفا لقدرها العالي.

٢٤) يدعوها في استعطاف لوفاء عهدا معه كما وفي بعده بها وحافظ عليه لأن من شيمة الأحرار الوفاء بالعهد وهي منهم حتى لا يكون لأحد عليه فضل. الغرض من فعل الأمر دومي هو الاستعطاف والرجاء.

٢٥) عليك منا سلام الله ما بقيت صبا بة منك نُخفِها فَتُخَفِينَا

ولا يملك الشاعر المشتاق أخيرا إلا أن يدعو لها بسلام دائم من الله، دوام هذا الشوق الذي يحاول ستره وإخفائه، فيُنجله ويُضعفه حتى يكاد لا يُرى، لشده هزاله.

٢٦) كما لا يملك الشاعر - بعد أن عز اللقاء في الدنيا - إلا أن يأمل اللقاء في الآخرة في موقف الحشر. ويقنع بذلك. هذا أقصى غاية الإخلاص والوداد بالحبيب وليس بعده كلام لتوديع حبيبته من الدنيا. وهذا هو مضمون الرسالة التي أراد الشاعر الولهان أن يرسلها إلى ولادة بنت المستكفي بالله.

الرأي قبل شجاعة أبو الطيب المتنبي

المتنبي:

أبو الطيب أحمد بن الحسين الكندي (٣٠٣- ٣٥٤ هـ) هو شاعرٌ وحكيمٌ عربيٌّ شهيرٌ، عُرف بشخصيته المميزة وما كان يكتنفها من غموض، وقد ترك المتنبي وراءه عدداً كبيراً من القصائد المتنوعة. وتعتبر هذه القصائد سجلاً تاريخياً لأحداث عصره في القرن الرابع الهجري، كما وتعتبر بمثابة سيرة ذاتية للشاعر، حيث يستطيع القارئ من خلالها معرفة كيف جرت الحكمة على لسانه وكيف تطورت، لا سيّما في قصائده الأخيرة قبل موته.

اتّصف أبو الطيب المتنبي بكبريائه، وشجاعته، وطموحه، هذا فضلاً عن اعتزازه بعروبته في أبياته الشعرية، والافتخار بنفسه، وتُعتبر أفضل أشعاره تلك التي تحدّثت عن الحكمة، وفلسفة الحياة، ووصف المعارك، إذ تميّزت بالصياغة القوية، ويجدر بالذكر أنّ المتنبي مفخرة للأدب العربي؛ فهو شاعر غزير الإنتاج الشعري، وصاحب الأمثال السائرة، والحكم البليغة، والمعاني المبتكرة، ولقد ساعده التنقل بين الأمراء والملوك على تطوير موهبته الشعرية، حيث مدحهم في معظم أشعاره. عاش أفضل أيام حياته وأكثرها عطاءً في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب.

لم يحظَ شاعرٌ من شعراء العربية بمثل ما حظي به أبو الطيب المتنبي من مكانةٍ عالية، فقد كان أعجوبةً أعجزت الشعراء من بعده؛ حيث بقي شعره إلى الآن يُقرأ كمصدر وحي للكثير من الأدباء والشُعراء، كما تُرى فيه مظاهر القوة والشاعرية القائمتين على التجربة الصادقة والحس، وقد أبدع المتنبي في صياغة أبياته صياغةً تأسر الألباب وتشغل القلوب، فقد كان شاعراً ينتهي لشعراء المعاني؛ حيث كان موقفاً بين الشعر والحكمة، وقد أخرج الشعر عن قيوده وحدوده وابتكر الطريقة الإبداعية فيه. يُمثل شعر المتنبي صورةً حقيقيةً وصادقةً عن حياته وأحداثها من اضطرابات وثوراتٍ، كما عرض ما كان في عصره من آراء ومذاهب، بالإضافة إلى تمثيل شعره لحياته المضطربة؛ ففيه عِبْر عن عقله وشجاعته، وطموحه وعلمه، ورضاه وسخطه، وتمثّلت القوة في شعره بقوة ألفاظه وعباراته ومعانيه. وكان مكرماً عند سيف الدولة ابن حمدان وأكثر المدح فيه.

سيف الدولة ابن حمدان:

هو سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي (٣٠٣ - ٣٥٦هـ ٩١٥م - ٩٦٧م). صاحب الدولة الحمدانية. ولد في ميفارقين بديار بكر. ونشأ شجاعاً عالي الهمة، وسط صراعات بين الروم والمسلمين، وعرف مايربه الروم. وملك واسط بالعراق وما جاورها وأمتلك دمشق وحلب سنة ٣٣٣هـ، ٩٤٤م.

وأصبحت قاعدته. ويروى أنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع بباب سيف الدولة من شيوخ العلم والأدباء والشعراء. وقصده الشاعر أبو الطيب المتنبي وخذل ذكره وذكر وقائعه الكثيرة مع الروم. وله أخبار كثيرة مع الشعراء أمثال أبي فراس الحمداني والسري الرفاء والنامي والبيغاء والوأواء. وكانت أشهر وقائعه مع الروم. وكانت الحرب بينهما سجلاً. استشهد فيها معظم أبناء البيت الحمداني. ولم تنتفَس دولة حلب الصعداء إلا بموت الدمستق ملك الروم الذي تمكّن من دخول حلب. توفي سيف الدولة بحلب ودفن في ميفارقين. والنص في مدح سيف الدولة ابن حمدان.

النص:

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | الرأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجَعَانِ | هُوَ أَوْلُكُ وَهِيَ المَحَلُّ الثَّانِي |
| ٢ | فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسِ مِرَّةٍ | بَلَغَتْ مِنَ العَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ |
| ٣ | وَلَرَبِّمَا طَعَنَ الفَتَى أَقْرَانَهُ | بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الأَقْرَانِ |
| ٤ | لَوْلَا العُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضَيْعِمٍ | أَدْنَى إِلَى شَرْفٍ مِنَ الإِنْسَانِ |
| ٥ | وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَذَتَّرَتْ | أَيْدِي الكُفَاةِ عَوَالِي المُرَانِ |
| ٦ | لَوْلَا سَيْبِي سُبُوفِهِ وَمَضَاؤُهُ | لَمَّا سُلِّلْنَ لَكُنَّ كَالأَجْفَانِ |
| ٧ | خَاضَ الجَمَامَ بِيَهْنٍ حَقَّى مَا دُرَى | أَمِنَ إِحْتِقَارِ ذَاكَ أَمْ نِسْيَانِ |
| ٨ | وَسَعَى فَقَصَّرَ عَن مَدَاهُ فِي العُلَى | أَهْلُ الزَّمَانِ وَأَهْلُ كُلِّ زَمَانٍ |
| ٩ | تَجَدَّوْا المَجَالِسَ فِي البُيُوتِ وَعِنْدَهُ | أَنَّ السُّرُوحَ مَجَالِسَ الفِتْيَانِ |
| ١٠ | وَتَوَهَّمُوا اللَّعِبَ الوَعْيَ وَالتَّطَعُنُ فِي الـ | هَيْجَاءِ غَيْرِ الطَّعَنِ فِي المِيْدَانِ |
| ١١ | قَادَ الجِيَادَ إِلَى الطَّعَانِ وَلَمْ يَتُدَّ | إِلَّا إِلَى العَادَاتِ وَالأَوْطَانِ |
| ١٢ | إِن خَلِيَّتْ رُبِطَتْ بِأَدَابِ الوَعْيِ | فَدَعَاؤُهَا يُغْيِي عَنِ الأَرْسَانِ |
| ١٣ | فِي جَحْفَلٍ سَتَرَ العُيُونَ غُبَارُهُ | فَكَانَتْما يُبْصِرْنَ بِالأَذَانِ |
| ١٤ | خَصَّ الجَمَاجِمَ وَالوُجُوهَ كَانَتْما | جَاءَتْ إِلَيْكَ جُسُومُهُمْ بِأَمَانِ |
| ١٥ | فَرَمَوْا بِمَا يَرْمُونَ عَنْهُ وَأَدْبَرُوا | يَطُورُونَ كُلَّ حَنِيئَةٍ مِرْنَانِ |
| ١٦ | يَغْشَاهُمْ مَطَرُ السَّحَابِ مُفْصَلًا | بِمُنْتَقِفٍ وَمُهَنْدٍ وَسِنَانِ |
| ١٧ | حُرْمُوا الَّذِي أَمَلُوا وَأَدْرَكَ مِنْهُمْ | أَمَالُهُ مَن عَادَ بِالجِرْمَانِ |
| ١٨ | هَمَّاتٍ عَاقَ عَنِ العِوَادِ قَوَاضِبُ | كُتْرُ القَتِيلِ بِهَا وَقَلَّ العَانِي |
| ١٩ | وَمُهَدَّبٍ أَمَرَ المَنَايَا فَمِمْ | فَأَطَعَنَهُ فِي طَاعَةِ الرَّحِمَنِ |
| ٢٠ | قَد سَوَّدَتْ شَجَرَ الجِبَالِ شَعُورُهُمْ | فَكَانَ فِيهِ مُسْفَةً الغِرْبَانِ |
| ٢١ | وَجَرَى عَلَى الوَرَقِ النَّجِيعِ القَانِي | فَكَانَتْهُ النَّارِزِجُ فِي الأَغْصَانِ |

كُفِّلُوهُمْ إِذَا لَتَقَى الْجَمْعَانِ	٢٢ إِنَّ السُّيُوفَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ
مِثْلَ الْجَبَانِ يَكْفَى كُلَّ جَبَانٍ	٢٣ تَلْقَى الضُّمَامَ عَلَى جِرَاءَةِ حَدِّهِ
قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِدَ النَّيْرَانِ	٢٤ رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ وَصَبَّرَتْ
أَنْسَابُ أَصْلَابِهِمْ إِلَى عَدْنَانِ	٢٥ أَنْسَابُ فَخْرِهِمْ إِلَيْكَ وَإِنَّمَا
أَصْبَحَتْ مِنْ قَتْلِكَ بِالْإِحْسَانِ	٢٦ يَا مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَرَادَ بِسَيْفِهِ
وَإِذَا مَدَحْتُكَ حَارَ فَيْكَ لِسَانِي	٢٧ فَإِذَا رَأَيْتُكَ حَارَ دُونَكَ نَاطِرِي

شرح المفردات والمعاني:

- (١) إن الرأي والعقل أفضل من الشجاعة ومقدم عليهما، فإن الشجاعة إذا لم تصدر عن عقل أنت على صاحبها فأهلكته. لأن الشجعان يحتاجون أولاً إلى الرأي ثم إلى الشجاعة.
- (٢) مرة: أي أبنية - بطل مرة أي ذوقه وشدة - إذا اجتمع الرأي والشجاعة لنفس واحدة كريمة قوية، بلغت كل مكان من المعالي.
- (٣) جمع قرن- بكسر القاف- وهو الكفاء في الحرب. يؤكد تفضيل العقل، يقول: قد يطعن الفتي أقرانه بالملكيدة ولطف التدبير ودقة الرأي قبل أن يصرح لهم بالقتال.
- (٤) الضبيغ: الأسد، والمراد بأدنى ضبيغ: أحسنه. وأدنى إلى شرف: أي أقرب إلى الشرف. يقول: لولا العقول لكانت الهائم أقرب إلى الشرف من الإنسان. وإنما صار الإنسان شريفاً وكريماً بعقله وتمييزه.
- (٥) ودبرت: أي ولما دبرت يعني تصرف. والكمأة: جمع كمي، وهو البطل المشتمل بالسلاح. العوالي: مقبض الرماح وصدورها. المران: الرماح اللينة.
- يقول: لولا العقول لما كان لبعض الناس فضل على البعض، وما كانت الأيدي تصرف الرماح، بل تكون الرماح هي المدبرة للأيدي: لأن لها المضاء ما ليس للأيدي. فبالعقل صار الإنسان مدبراً لها. وهذا أيضاً جواب لولا في البيت قبله، لولا العقول لما كان للإنسان شرف من الحيوان، ولما كان لبعض الناس فضل على بعض، ولما يدبر الإنسان الرماح الحادة في أيديهم.
- (٦) سبي سيفوفه: يعني سيف الدولة. والأجفان: جمع جفن، وهو غمد السيف.
- لولا سيف الدولة ومضاؤه، لم يكن للسيف مضاء حين تسل من أغمادها، بل كانت غير مفيدة كالأجفان (أغماد السيف). لأن السيف إنما يعمل بالضارب وبعقله وتدبيره.
- (٧) خاض: دخل. الحمام: الموت يعني الحرب. مهن: أي السيفوف. ما دري: أي لا يعرف.

يقول: خاض سيف الدولة الموت (الحرب) بسيفه ، ولا يُعرف هل ذلك الغوض باحتقار منه للموت، أم ينسيان منه أنه في الحرب؟!.

٨) وسعى: اجتهد. المدى: الغاية.

وسعى أهلُ زمانه و أهلُ كل زمان قبله وبعده لبلوغ غايته في العلى والشأو ولكن عجزوا عن ذلك وتقصرت همتهم عنه.

٩) اتخذوا: اتخذوا. السروج: جمع سرج رحل الدابة.

يقول: إنما قصروا عن بلوغ مداه: لأنهم اتخذوا بيوتهم مجالسهم، وسيف الدولة يجعل مجالسه سروج الخيل.

يقول: إنما قصر أهل زمانهم عن بلوغ مداه لأنهم جعلوا مجالسهم في البيوت، أما هو فإنه يرى أن الفتى لا يليق به أن يتخذ البيوت مجالس، وإنما يقضي أيامه على سروج الخيل في الغارة على أعدائه.

١٠) الوغى والهيحاء: من أسماء الحرب.

يقول: وظنوا أن الحربَ لعب: أي إذا لعبوا في الميدان فتطاعنوا بالرماح ظنوا أن ذلك هو الحرب، والطعن في اللعب غير الطعن في الحرب، لأن طعن اللعب طعن مع إبقاء ولا إبقاء في الحرب. يريد أن أهل زمانه لاهون، أما هو فلا يعرف غير الجد وطلب العلى.

ثم يدخل المتنبي إلى وصف خيول سيف الدولة:

١١) قاد سيف الدولة الخيل إلى المطاعنة، ولم يكن سَوْفُهُ لها أول مرة. بل قد سبق له أمثالها، وتعودت خيله التردد إلى الروم، ومعارك الحرب، فكانه يقودها إلى أوطانها التي تعودت الإقامة بها.

١٢) الأرسان: جمع رسن، ما يكون في رأس الدابة تمنع به من التصرف.

يعني إن خيله مؤدبة بأداب الحرب . فإذا أرسلت لم تشرذ وتظلل في مكانها فكانها مربوطة، وإذا دعوتها أتت، فلا تحتاج إلى جذبها بالرسن فيغني دعائها عن أرسان تقاد بها.

يخوض المتنبي في وصف قتال سيف الدولة الشديد مع الروم:

١٣) الجحفل: الجيش العظيم.

يقول: قاد خيله في جيش عظيم فد تكاثف غباره حتى ستر العيون: فلا تبصر فيه الخيل مع صدق حاسة نظرها: ولكنها إذا أحست شيئاً نصبت أذانها، فكانها تبصر بأذانها، وهذا من بديع التخييل.

١٤) والجماجم: جمع جمعة، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ.

خصَّ السيفُ بضربِ رؤوسهم ووجوههم فقط دون أجسامهم، حتى كأنك أعطيت أجسامهم أماناً بالأتمسها بضرب، ومن ثم لا تتعرض لها. (يعني السيوف تقطع أعناق الأعداء مباشرة دون قطع الأجساد)

١٥) الحنيّة: القوس . والمرنان: التي تصوّت عند الرمي.

يقول وهو يريد الروم: فرموا بالقسبي التي كانوا يرمون عنها، وولوا هارين، وأديروا منهزمين، ينبدون كل ما كانوا يستعملونه من سلاحهم ويتركونها تحت أقدامهم.

١٦) مفصلاً: من تفصيل الفلادة، وهو أن يجعل بين كل لؤلؤتين خرزة. والمثقف: المقوم، يعني الرمح. والمهند: السيف الهندي. والسنان: الزج الذي في أسفل الرمح.

يعني أن وقع السلاح بهم كوقع المطر يأتي دفعة دفعة، وأراد بالسحاب الجيش، وبالمطر الوقعات التي تقع بهم من هذه الأسلحة التي ذكرها. وهي تقع بهم مفصلة لأنهم يطعنون تارة بالرمح وتارة يضربون بالسيوف.

١٧) حرموا ما أملوا من الظفر. ومن عاد إلى بيته بحرمان الغنيمة فقد أدرك أمله لأنه نجا برأسه.

١٨) هيات: بعد. العواد: المعاودة، مصدر عاود، بمعنى عاد. والقواضب: السيوف؛ والعاني: الأسير. أي بعد ما أملوا من العود إلى القتال، فقد عاقبهم عن ذلك سيوف كثرت بها القتلى منهم وقل الأسير أي أنهم لم يؤسروا بل قُتلوا جميعاً.

١٩) يعني بالمهذب سيف الدولة ومهذب: عطف على "قواضب":

يقول: يعوقهم عن العودة مهذب- يعني سيف الدولة- أطاعته المنايا في إهلاكهم- أي الروم- وهذه الطاعة: أي طاعة المنايا له هي طاعة لله سبحانه، لأنه جهاد في سبيل الله.

٢٠) المسفة: من قولهم أسف الطائر: إذا دنا من الأرض في طيرانه، والمسفة الدانية. والضمير في قوله "فيه" للشجر.

يقول: كثرت قتلاهم حتى أطارت الريح شعورهم على أشجار الجبال فاسودت بها أغصانها فكان الغربان وقعت عليها. شبه سواد شعورهم على الأشجار بالغبان السود.

٢١) النجيع: الدم. والقاني: الشديدة الحمرة، والنانج: ثمر معروف أحمر.

يقول: وكذلك لما جرت دماؤهم على أوراق الشجر احمرت، فصارت لحمرتها كأن في أغصانها ثمر النانج.

٢٢) السيوف تعمل عملها إذا كانت في أيدي الشجعان يعني إذا كانت قلوب المقاتلين كقلوب السيوف صارمة وقاطعة.

٢٣) الحسام: السيف القاطع، والجرأة: النفاذ والإقدام والمضاء.

يقول مؤكدا لما تقدم: ترى السيوف الصوارم على مضائها ونفاذها وحدتها كالجبان الخائف عندما تصير في أيدي الجبناء. يعنى لا تقطع ولا تمضي. وإذا كان السيف في يد الشجاع جلّ قدره. وبان فضله، ونفذ فيما يستعمل فيه.

٢٤) العماد: الأبنية الرفيعة. يقال فلان رفيع العماد إذا كان شريفاً. القمم: جمع قمة وهي أعلا الرأس؛ والمواقد: جمع موقد، الأثافي.

يقول مخاطبا الحسام: ارتفع بكّ العرب، وقاتلوا الملوك الكبار فأوقدوا على رؤوسهم نار الحرب. يعنى بفضل السيف قاتلوا الملوك فقطّعوا رؤوسهم وجعلوا جماجمهم أثافي. احتقاراً لهم.

٢٥) عدنان: أبو العرب كلها.

يقول: العرب ينتسبون من جهة آبائهم إلى عدنان، ولكمهم في الفخر والشرف ينتسبون إليك. فكما أن عدنان أصل نسبها، فأنت أصل فخرها وشرقها.

يقدم المتنبّي أخيراً كعادته غرضه بالتمدح والثناء وهو طلب الجود والإحسان:

٢٦) يقول: يا سيف الدولة أنت تقتل جميع أعدائك بسيفك وأقربائك وأعوانك بإحسانك. من حيث الاستعباد، وأنا من جملة قتلى إحسانك. يعنى أنت الذي صبّ عليّ إحسانك حتى كنت مقتول القلب ومستعبدا بمنتك.

٢٧) يقول: إذا نظرتُ إليك، ورأيتُ جمالك تحيّر ناظري دونك، فلا يمكنني أن أنظر إليك ملء عيني، لهيبتك وكثرة مآثرك، وإذا أردتُ مدحك حارفي وصفك لساني، وعجز عن استيفاء مدحك عبارتي وبياني.

دع اللوم ابن الرومي

هو أبو الحسن عليّ ابن العباس بن جريج الرومي، شاعر كبير، من طبقة بشار والمنتبي. رومي الأصل. كان جدّه من موالي بني العباس. ولد ونشأ ببغداد، ومات فيها مسموماً، قيل: دسّ له السمّ القاسم بن عبيد الله (وزير المعتضد) وكان ابن الرومي قد هجاه. قال المرزباني: لا أعلم أنه مدح أحداً من رئيس أو مرؤوس، إلا وعاد إليه فهجاه، ولذلك قلّت فاندته من قول الشعر وتحاماه الرؤساء وكان سببا لوفاته. يتصف ابن الرومي بأنه كان مولعا بالعلم، فقد انصرف لمتابعة تعليمه في مجالس العلماء، والفقهاء، والأدباء، والرواة منذ صغره، وقد تتلمذ على يد العديد من المعلمين، ومن ضمنهم أبي العباس ثعلب الذي تتلمذ عن حماد بن المبارك. وقد اهتم بتعلّم الفلسفة، بالإضافة إلى أنّه اتجه لتعلّم الثقافة المعاصرة، والشعر، ورواية القديم والحديث.

تعرض طوال حياته للكثير من الكوارث والنكبات، فجاءت أشعاره انعكاسا لما مرّ به، فقد ترك له والده ضياعا كثيرة باع منها الكثير بسبب إسرافه في اللهو وشرب الخمر، واحترق البعض منها، كما أتى الجراد على زرعه، واغتصبت داره، واختطف الموت عائلته: أمه ثم ابنه، ثم زوجته الثانية وأولاده منها. تلك الأحداث جعلته يشعر بالتشاؤم والتطير في جميع الشؤون، وانعزل وعاش مرهوبا خائفا، وتجنّب الخلفاء والوزراء إلا قليلا منهم بسبب سرعة تقلّب مزاجه وحده طباعه. ومع ذلك كان شاعرا مجيدا برع في الوصف والهجاء والثناء، وكانت أشعاره مبدعة في الحركة والتشخيص والوصف، واعتنى بالموسيقى والقافية. ومن طرائف ما يروى عنه: أن معاصريه عرفوا شدة تطيره، فكانوا يقتصون لأنفسهم من هجائه لهم بأن يقرعوا عليه بابه في الصباح، فيسأل من الطارق؟.. فيتلقى إجابة مثل: مُرّة بن حنظلة، أو حرب بن مقاتل، وغير ذلك من الأسماء التي تدفعه للتشاؤم، فلا يفتح بابه ولا يخرج من منزله.

ومن الدليل على شدة حذره، وعظم تطيره وتشاؤمه، ما قاله لأبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة، وقد طلبه الخروج من البيت وركوب دجلة. وهو يرفض ذلك ويحذّر السفر فوق البحر والماء، ويصف العواقب الوخيمة والأهوال الشديدة من ذلك، ونقرأها في النصّ تحته:

والقصيدة طويلة مبدأها:

دع اللوم، إنّ اللوم عون النوايب ولا تتجاوز فيه حدّ المعائب
فما كل من حطّ الرحال بمخفق ولا كل من شدّ الرحال بكاسيب

- ١ ومن نكبةٍ لاقبئها بعد نكبةٍ
٢ وصبري على الإفتار أيسرُ محملاً
٣ لقيتُ من البرِّ التباريح بعدما
٤ سقيتُ على ربيِّ به ألفَ مطرةٍ
٥ إلى الله أشكو سُخْفَ دَهْرِي فَإِنَّهُ
٦ أُنِي أَنْ يُعَيْثَ الْأَرْضَ حَتَّى إِذَا ارْتَمْتُ
٧ سَقَى الْأَرْضَ مِنْ أَجْلِي فَأَضْحَتْ مَزَلَةً
٨ لتعويقِ سِرِّي أَوْ دُخُوضِ مَطِيَّتِي
٩ فمِلْتُ إِلَى خَانٍ مُرْتَبٍ بِنَاوُهُ
١٠ فَلَمْ أَلْقَ فِيهِ مُسْتَرَاحاً لِمَتْعَبِ
١١ فَمَا زِلْتُ فِي خَوْفٍ وَجُوعٍ وَوَحْشَةٍ
١٢ يُوَزِّقِي سَفْفَ كَأَنِّي تَحْتَهُ
١٣ تَرَاهُ إِذَا مَا الطَّيْنُ أَثْقَلَ مَتْنَهُ
١٤ وَكَمْ خَانَ سَفَرِ خَانَ فَانْقَضَ فَوْقَهُمْ
١٥ وَلَمْ أُنْسَ مَا لَاقَيْتُ أَيَّامَ صَحْوِهِ
١٦ وَمَا زَالَ ضَاحِي الْبَرِّ يَضْرِبُ أَهْلَهُ
١٧ فَإِنْ فَاتَهُ قَطْرٌ وَتَلَجَ فَإِنَّهُ
١٨ فَذَلِكَ بَلَاءُ الْبَرِّ عِنْدِي شَاتِيَا
١٩ أَلَا رَبُّ نَارٍ بِالْفِضَاءِ اضْطَلَبَهَا
٢٠ إِذَا ظَلَّتْ الْبَيْدَاءُ تَطْفُو إِكَامَهَا
٢١ فَدَعُ عَنْكَ ذِكْرَ الْبَرِّ إِنِّي رَأَيْتُهُ
٢٢ كِلَا نُزْلِيهِ صَيْفُهُ وَشَتَاؤُهُ
٢٣ لِهَاتُ مَمِيَّتٌ تَحْتَ بِيضَاءِ سَخْنَةٍ
٢٤ يَجْفُ إِذَا مَا أَصْبَحَ الرَّيْقُ عَاصِبَا
٢٥ فَيَمْنَعُ مَنِّي الْمَاءُ وَاللُّوحُ جَاهِدُ
٢٦ وَمَا زَالَ يَبْغِيهِ الْخَتُوفُ مُوَارِبَا
٢٧ فَطَوَّرَا يَغَادِيئِي بِلِصْنِ مُصَلَّتِ
٢٨ إِلَى أَنْ وَقَانِي اللَّهُ مَحْذُورَ شَرِّهِ
٢٩ فَأَقْلُتُ مِنْ دُونَانِهِ وَأَسْوَدِهِ
- رهبثُ اعْتَسَفَ الْأَرْضَ ذَاتِ الْمَنَاقِبِ
عَلِيٍّ مِنَ التَّغْرِيبِ بَعْدَ التَّجَارِبِ
لَقَيْتُ مِنَ الْبَحْرِ ابْيَضَّاصَ الدَّوَانِبِ
شَغِفْتُ لِبَعْضِهَا بِحَبِّ الْمَجَادِبِ
يُعَابِنِي مُذْ كُنْتُ غَيْرَ مُطَايِبِي
بِرْخَلِي آتَاهَا بِالْغَيْوِثِ السَّوَاكِبِ
تَمَائِلٌ صَاحِبُهَا تَمَائِلٌ شَارِبِ
وَإِخْصَابِ مُزَوَّرٍ عَنِ الْمَجِيدِ نَاكِبِ
مَمِيلٌ غَرِيقِ الثَّوْبِ لَهْفَانٌ لِأَغْبِ
وَلَا نُزْلًا. أَيَّانَ ذَلِكَ لِسَاغِبِ؟
وَفِي سَهْرٍ يَسْتَعْرِقُ اللَّيْلَ وَاصِبِ
مِنَ الْوَكْفِ تَحْتَ الْمُدْجِنَاتِ الْهَوَاضِبِ
تَصْرُ نَوَاجِيهِ صَرِيرَ الْجِنَادِبِ
كَمَا انْقَضَ صَقْرُ الدَّجَنِ فَوْقَ الْأَرَانِبِ
مِنَ الصَّرِّ فِيهِ وَالثَّلُوجِ الْأَشَاهِبِ
بَسُوطِيٍّ عَذَابِ جَامِدٍ بَعْدَ ذَانِبِ
زَهَيْنٌ بِسَافٍ تَارَةً أَوْ بِحَاصِبِ
وَكَمَ لِي مِنْ صَيْفٍ بِهِ ذِي مَثَالِبِ
مِنَ الضَّحِّ يُودِي لَفْخَهَا بِالْخَوَاجِبِ
وَتَرَسُبُ فِي غَمْرٍ مِنَ الْأَلِ نَاضِبِ
لَمَنْ خَافَ هَوْلَ الْبَحْرِ شَرَّ الْمَهَاوِبِ
خَلَافٌ لَمَّا أَهْوَاهُ غَيْرُ مُصَاقِبِ
وَرِيٌّ مَقِيَّتٌ تَحْتَ أَسْحَمِ صَانِبِ
وَيُغْدِقُ لِي وَالرِّيقُ لَيْسَ بِعَاصِبِ
وَيُغْرِقِي وَالرِّقَى رَطْبُ الْمَحَالِبِ
يُخِومُ عَلَيَّ قَتْلِي وَغَيْرَ مَوَارِبِ
وَطَوَّرَا يَمَسِّيئِي بَوْرِدِ الشَّوَارِبِ
بِعِزَّتِهِ وَاللَّهُ أَغْلَبُ غَالِبِ
وَخِرَابِيهِ إِفْلَاتَ أَتُوبِ تَانِبِ

شرح المفردات والمعاني:

- (١) النكبة : المصيبة. رهبت: خشيت. اعتساف الأرض: الذهاب في الطرق على غير هداية. المناكب: جمع منكب بمعنى الناحية والمعنى الفسيحة الأرجاء.
- يعنى بشدة ما لاقيت من المصائب والمشاق أنا أخاف التجول في البلاد المختلفة والخروج من البيت من غير هدف.
- (٢) الإقتار: ضيق العيش. التعرير: يعني تعريض النفس للهلاك. بعد التجارب: بعدما علمت أهواله من تجاربي النفسية. وهذه التجارب هي التي يشرحها في السطور التالية.
- يعني: البقاء في البيت من غير سفر مع تحمّل الإقتار وضيق العيش أسهل عليّ من التعرض للهلاك بسبب السفر، بعدما اخترت مشاقه من تجاربي الطويلة.
- (٣) التباريح: جمع تبريح وهو شدة الأذى. والدوائب: جمع ذوابة وهي النواصي.
- يعني إني قد لاقيت مصائب كثيرة بأسفاري في البرّ كما لاقيت أهوالاً أشدّ منها بالسفر فوق البحر حتى شبيبت ناصيتي.
- (٤) الرّي: ضدّ الظمأ. سقيت: أشربت. شغفت: أحببت. المجادب: جمع مجدبة، القحط والجفاف.
- يعني يتزل المطر عليّ كثيراً وأنا مسافر في البرّ من غير حاجة مني إلى السقيا والماء، حتى كرهت الأراضي الخصبة وأحببت الأراضي المجدبة.
- (٥) سُخف: ضعف العقل. يعابثني: يمازحني. مطايبي: لا يعاملني بطيب ورخاء.
- يعني إني أشكو إلى الله بغي وحزني عن سفاهة الدهر، فإنه يعاملني بالسخرية والاستهزاء ولا يعامل بالطيب والحسن.
- (٦) يغيث الأرض: يأتيها بالغيث أي المطر. ارتمت برحلي: سرتُ فيها. السواكب: المصبوبة.
- إن الله يمسك عن المطر فإذا أردت السفر في الأرض يأتي بالغيث والمطر الغزير.
- (٧) مزلة: موضع الزلل والزلق. تمايل: مال ذات اليمين وذات اليسار. الصاحي: الذي لم يشرب خمرا.
- وتمايله من التقلع في الوحل بسبب الأمطار، ويكون في هذه الحالة كأنه شارب خمرا.
- فيأتي الله المطر لأجلي (لمنع سفري) فتصير الأرض كثيرة الوحل منزقة حتى أصير ما يلا إلى اليمين والشمال فوق رحلي كأنني شارب خمر.
- (٨) تعويق: منع، إبطاء. دَحَضَتِ الرَّجُلُ: رَلَقَتْ، دَحَضَ الْمَاءُ الْأَرْضَ : جَعَلَهَا مُزْلَقَةً. إخصاب مُرَوَّر: مساعدة المنحرف. ناكب: أيضا منحرف، دليل.
- يفعل الله ذلك لإبطاء سيري أو جعل مطيبي منزقة ، وهو يعاكسني لمساعدة السفلة والمنحرفين والقيام في جانبهم. وظاهري في هذه الأبيات تشاؤمه الشديد عن الظواهر الكونية.

- (٩) الخان: ما ينزله المسافرون والجمع الخانات. مرث: بال. مَمِيل: بمعنى ميل. غريق الثوب: الذي غرق ثوبه في الماء الكثير الذي نزل عليه من المطر. اللفهان: المضطر المستغيث المتحسر. اللاغب: الذي أعيا من السير وتعب منه تعباً شديداً.
- فأقصدُ بسبب المطر للإقامة في أحد خانات المسافرين، فإذا تلك الخانات أيضاً قديمة بالية تقطر ماءً فتكون أنثوابي وأمتعتي مبتلة وغريقة في الماء حتى أصير متحسراً وعاجزاً عن السفر.
- (١٠) مستراحا: استراحة. النزل: ما ينزله الضيوف كالخان والفندق وجمعه أنزال. الساغب: الجائع التعب.
- ولم أُر في سفري مستراحاً جيداً أو فندقاً طيباً حتى يجد فيه المسافرراحة لسفره وسداً لجوعه.
- (١١) وحشة: الهم والخلوة. يستغرق الليل: يستوعبه من أوله إلى آخره. الواصب: الدائم الثابت.
- فأقيم في تلك الخانات البالية في خوف وجوع ووحشة وأقضي الليل كلها في سهر دائم بهذه الأحوال الكريهة.
- (١٢) يؤرقني: يسهرني. الوكف: أن يقطر الماء من سقف البيت. المدجنات: الأمطار الغزيرة. الهواضب: الأمطار التي يدوم مطرها.
- كيف أستطيع النوم تحت هذا السقف المثقّب الذي يقطر ماءً كأنني أنام تحت الأمطار الغزيرة.
- (١٣) تراه: تتحقق أمره. إذا ما الطين أثقل منته: أي إذا اختلط ماء المطر بتراب السقف فصار طينا ثقيلاً عليه. يصير: يصير له صوت. صرير الجنادب: أي مثل صوت الجنادب جمع جندب وهو الجراد.
- تستطيع أن تسمع من نواحي سقف البيت المشيد بالطين صريراً كصرير الجنادب بسبب اختلاط ماء المطر بالطين الصلب.
- (١٤) خانُ سقر: خانات أصحاب الأسفار. خان: غدر. انقض فوقهم: سقط عليهم. كما انقض صقر الدجن: كما هوى صقر الظلّمة أي الصقر الذي يصيد عند دخول الظلام لكي لا يفلت صيده.
- كثير من الخانات مثلها قد انقضت على ساكنيها ليلا كما ينقض (يقع فجأة) الصقر ليلا على الأرناب لأخذها فتكون فريسة له.
- (١٥) يومٌ صحوٌ، وسماءٌ صحوٌ: ليس فيهما غيمٌ. الصر: البرد أو شدته. الأشاهب: جمع أشهب وهو الأبيض يخالطه سواد.
- وكذا لا أنسى أبداً ما لاقيته في أيام الصحو التي ليس فيها مطر من شدة البرد ومضرة سقوط الثلوج وعموماً لاجتياز البرد أو في الصيف والشتاء، بهذه الخانات، فالأحسن ترك السفر.
- (١٦) ضاحي البر: يريد به الأودية والصحارى. ويريد بسوط العذاب الجامد: ما تدرؤه الرياح من الأتربة والرمال في وجوه المسافرين، وبسوط العذاب الذائب: ما تصبه السماء على رؤوسهم من الأمطار. ولا ينتهي الأمر بذلك، وأنا أتعرض للرياح الشديدة من الصحراء والفلاة وهي تصب فوق رأسي ووجهي الرمال والغبار. يعني أكابد شرّ التراب وشرّ الماء واحداً بعد واحد كأنني أضرب بسوطي عذاب جامد وعذاب مائع.

- وتتعجب بخيال ابن الرومي الرائع في تصوير المعاني المهمة بأمتلئة رائعة خلاصة من عنده لتقريب المعاني إلى الأفهام وتجسيد عواطفه إلى السامعين.
- (١٧) القطر: قطرات المطر. ساف: نائر التراب. الحاصِبُ: الريحُ الشديدة تحمل التُّراب والحصباء. الحاصِبُ السَّحَابُ: يرمي بالبرد والثلج.
- يعنى فإن المسافر لا يفوت عن إحدى الريحين، إما يجده ربح ترميه بالمطر والثلج أو ربح نائر التراب والغبار والحصباء.
- (١٨) شاتيا: داخلا في الشتاء. المثالب: المعاييب.
- وهذه هي أهوال السفر في البرّ في فصل الشتاء، ولا تختلف المخاطر والمعايب عن هذا في فصل الصيف.
- (١٩) الضَّح: حرارة الشمس. يودي لفحها بالحواجب: يذهب إحراقها بالحواجب فلا يبقى عليها. يشرع أن يصف مخاطر السفر في الصيف بعد بيان أهواله في أيام البرد والمطر. إذا سافرت في الصيف أتعرض لشدة حرّ الشمس في الفضاء حتى يؤدي حرّها إلى إحراق حواجب العين.
- (٢٠) البيداء: الفلاة. تطفو: تلعو. إكام: جمع أكمة وهي التل من الحجارة. ترسب: تنزل سفلا أي تنخفض. الغمر: الكثير. الال: السراب. الناضب: قليل الماء.
- يعرض هنا ما يحسّ من شعوره عندما يسير في البيداء. يرى الصحراء الشاسعة في نظره البعيد تحت حرّ الشمس كأن الأكام فيها طافية فوق السراب وكأن الرمال راسبة في سرايها الكثير.
- (٢١) المهابوب: جمع مهوب، أي المكان الذي يهاب فيه.
- فبذلك، قف عن ذكر محاسن السفر في البرّ، يكفي ما ذكرته من الأهوال والبليات عند السفر في البرّ. فكيف أسافر في البحر التي هي أخوف منه.
- (٢٢) غير مصائب: غير موافق للإنسان فلا يحبه. صاقب الرجل أي واجبه وجاوره. المصاقب المجاور. الخروج للسفر في البرّ سواء كان في الصيف أو في الشتاء، لا أرى فيه إلا ما أكره، هذا خلاف ما أحبّه وغير لائق لمزاجي.
- يعني في أي وقت أنزل في البر في الصيف أو في الشتاء فإني لا أرى فيه إلا ما أكره.
- (٢٣) اللّهات: الإعياء الشديد بسبب العطش. تحت بيضاء سخنة: تحت شمس حارة. وريّ مُفيت: أي ريّ لا خير فيه ولا فائدة. وتحت أسحم صائب: تحت سحب يهطل بالأمطار.
- إمّا أتعرض للإعياء الشديد بسبب العطش تحت شمس حارة في الصيف (فلا أجد ماء للريّ)، أو أكون تحت مطر هائل في الشتاء، فلا أحتاج إلى هذا الماء الكثير في وقت لا يشعر أحد بالظمأ.
- (٢٤) يجف: يصبح لا ماء فيه. جافا: يغدق لي: تكثر قطراته لي.
- وهو يعيب ويشأم ظواهر الكون. الأرض تجفّ بالماء عندما يحتاج الإنسان إليه (عندما يجف الفم بالعطش)، ويصّب السماء ماء كثيرا عندما لا يحتاج الإنسان إليها (عندما يكثر الفم بالريق)
- (٢٥) اللوح: العطش كاللوح. جاهد: مشتدّ. رطب المحالب: لم تجف الأواني التي تجمع فيها ماء.

وهذا تكرار للمعنى السابق، يعني أشعر بالظلم حينما كنت في أشد الحاجة إلى الريّ ويكثر عليّ من الماء حينما كنت غير محتاج إليه.

٢٦) يبغيني المحتوف: يطلبني أنواع الموت. موارد: مخاتلا ومخادعا. يحوم على قتلى: يدور لقتلي ويطلب الموت لي. غير موارد: يعني وفي بعض الأحيان يصرح به ويعلنه.

يطلبني الموت بكل أنواعها ويدور حولي ليقتلني بأي وجه في السفر أو الحضر، في الصيف أو الشتاء، في البر أو البحر، ويضمير الموت قصده أحيانا ويعلن به في بعض الأحيان.

٢٧) غاديني: يأتيني غدوة أي صباحا. مصلت: راکضا فرسه. الشوارب: الذين يريدون الشرب. يأتيني الموت في بعض الأحيان صباحا كمن يركض فرسه ويأتيني مساء في بعض الأحيان كمن يرد الحياض لشرب الماء.

٢٨) حتى حماني الله حتى الآن من شرور الموت وسلمني منها بلطفه وعزته، فإن الله تعالى غالب على أمره ولطيف بعباده.

٢٩) أفلتت: تخلصت. ذؤبانه: ذئابه. أسوده: سباعه. حرّابه: جمع حارب وهو الذي يسلب أموال أبناء الطرق يعني قطاع الطريق. إفلات أتوب تائب: تخلص أعظم التائبين توبة من السير في البر. وقد تخلصت من قبضة الموت؛ من ذئابه وأسوده وحرّابه كما خلص الله التوّابين من شرور الحياة الدنيا.

أحسن بأيام العقيق أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي . برز الشاعر أبو تمام في العصر العباسي في فترة ١٧٦-٢٣١هـ. وقد حقق نجاحا كبيرا خلال حياته القصيرة، فتمكن نتيجة لاجتهاده وطموحه من أن يتحوّل من سقّاء في مسجد عمرو بن العاص في مصر إلى شاعر من أشهر الشعراء في عصره، ولعل أهم ما يميز أسلوب أبي تمام الشعري سعيه نحو التفرّد، والكتابة وفقا لأسلوب مختلف عن أساليب الشعراء في عصره، فتمكن نتيجة لذلك من صيغ قصائده بطابع خاص إلى الحد الذي جعل أبو الفرج الأصفهاني يصفه بقوله: " ما كان أحدٌ من الشعراء يقدر على أن يأخذ درهماً في حياة أبي تمام فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه.

يُعدُّ أبو تمام من أبرز شعراء عصره، فقد تميز ببدايته الشعرية مجسداً إيّاها في سيره بطريقة خاصة وأسلوب متفرد، ولا شك أنّ تنقله في بلدان كثيرة، منها الشام، ومصر، والعراق، وفارس، كانت سببا إضافيا لجعله محطّ اهتمام الناس بما قدّمه من شعر وتآليف في العصر العباسي.

كان أبو تمام يتمتع بذكاءٍ حاد لم يعرف لغيره من الشعراء الذين عاصروه، بالإضافة إلى ما كان يميّز به من قوّة في الإحساس، فكان يحس بالأشياء إحساسا سريعا ويتعمّق بالتأثر فيها، وكان له ذلك كسلاح ذي حدّين: ففي الوقت الذي ساعده فيه عمقه هذا على فهم الأشياء بشكل دقيق، ونأى به عن الوقوع في الخطأ في الفهم والتقدير، وأورثه قوّة العقل، إلّا أنّه أدّى به إلى اتّخاذ ألوان من الغرابة في المعاني والألفاظ لم يعتدّها الناس ولم يتداولوها، وهو الأمر الذي جعلهم يجدون في شعره تكلفا ومشقة، فأنكروا عليه ذلك. وهذا النص ما قاله في مدح عمر بن طوق بن مالك بن طوق التغلبي.

النص:

١	أحسنَ بأيّام العقيق وأطيب	والغيث في أطرافهنّ المُعجِب
٢	ومصيفهنّ المُستَظِل بظله	سربُ المها وزبيعيهنّ الصَّيب
٣	لله ليلتنا وكانت ليلة،	ذُخِرَتْ لنا يئنّ اللوى فالشُرْبُ
٤	قالَتْ، وَقَدْ أَعْلَقْتُ كَفِّي كَفَّيَا:	جلاً، وما كلُّ الحلالِ بطيب
٥	فنعِمتُ من شمس إذا حُجِبَتْ بَدَتْ	من نُورها فكأنّها لم تُحجِب
٦	وإذا رنّت خلّت الطِّباءَ ولذَّبا	ربعيّةً واسترَضِعَتْ في الرِّبِّ
٧	إنسيّةً إنْ حُصِلَتْ أنساها	جَنِيّةً الأبوينِ ما لم تُنسب
٨	وطنِ الخَطوبِ وكفّ من غلّواها	عُمُرُ بنِ طوق، نجمُ أهلِ المُغرِب

٩ مَلْتَفٌ أَعْرَاقِ الوَشِيحِ، إِذَا انْتَهَى
 ١٠ فِي مَعْدِنِ الشَّرْفِ الَّذِي مِنْ حَلْيِهِ
 ١١ قَدْ قُلْتُ فِي غَلَسِ الدُّجَى لِعِصَابَةٍ
 ١٢ الكَوْكَبُ الجُشِيِّ نَصَبَ عُيُونِكُمْ
 ١٣ يُعْطِي عَطَاءَ المُحْسِنِ الخَضِلَ النَّدى
 ١٤ وَمُرَجَّبٍ بِالرَّائِرِينَ وَيَشْرُهُ
 ١٥ يَغْدُو مُؤَمِّلُهُ إِذَا مَا حَطَّ فِي
 ١٦ سَلَسَنِ اللَّبَانَةِ وَالرَّجَاءِ بِبَابِهِ
 ١٧ الْجِدُّ شِيمَتُهُ وَفِيهِ فَكَاهِلَةٌ
 ١٨ شَرَسٌ، وَيُنْبَغِ ذَاكَ لِيَنْ خَلِيقَةَ
 ١٩ صُلْبٍ إِذَا اعْوَجَّ الزَّمَانُ وَلَمْ يَكُنْ
 ٢٠ الْوُدُّ لِلقُرْبَى، وَلَكِنْ عَزْفُهُ
 ٢١ وَكَذَلِكَ عَتَابُ بِنِّ سَعْدٍ أَصْبَحُوا
 ٢٢ هُمْ رَهْطٌ مَن أَمْسَى بَعِيدًا رَهْطُهُ
 ٢٣ وَمُنَافِسِي عَمَرَ بِنِّ طَوْقِي مَا لَهُ
 ٢٤ قَبِدْتُ مِنْ عَمَرَ بِنِّ طَوْقِي هَمِّي
 ٢٥ نَفَقَ المَدِيحِ بِبَابِهِ فَكَسَوْتُهُ عِقْدَا
 ٢٦ أَوْلَى المَدِيحِ بَأَنَّ يَكُونُ مُهْدَبَا
 ٢٧ غَرِبْتُ خِلَانَتُهُ وَأَغْرَبَ شَاعِرٌ
 ٢٨ لَمَّا كَرُمْتَ نَطَقْتُ فِيكَ بِمَنْطِقِي
 ٢٩ وَمَتَى مَدَحْتُ سِوَاكَ كُنْتُ مَتَى يَضِقُ

يَوْمَ الفَخَارِ، قَرِيٌّ تُرِبِ المنصِبِ
 سُبُكْتُ مَكَارِمُ تَغْلَبِ ابْنَةِ تَغْلَبِ
 طَلَبْتُ أَبَا خَفْصَى: مُنَاخَ الأَرْكَبِ
 فَاسْتَوْضَحُوا إِيْضَاءَ ذَاكَ الكَوْكَبِ
 عَفُوا وَيَعْتَدِرُ اعْتَدَارَ المُنْذِبِ
 جَنِيَّةُ الأَبْوَيْنِ مَالَمُ تُنْسَبِ
 أَكْنَافِهِ رَحَلَ المِكَلِ المُلْغِبِ
 كَثِبَ المَتَى مُمْتَدَّ ظِلِّ المَطْلَبِ
 سَجَّعَ وَلا جِدُّ لِمَنْ لَمْ يَلْعَبِ
 لَا خَيْرَ فِي الصَّهْبَاءِ مَا لَمْ تُقْطَبِ
 لِيَلِينَ صُلْبَ الخَطْبِ مِنْ لَمْ يَصْلُبِ
 لِلأَبْعَدِ الأَوْطَانِ دُونَ الأَقْرَبِ
 وَهُمْ زَمَامُ زَمَانِنَا المَتَّقَلِبِ
 وَبُنُو أَبِي رَجُلٍ بِغَيْرِ بَنِي أَبِي
 مِنْ ضِغْفِيرِهِ غَيْرُ الخَصَى والأَثَلِبِ
 بِالخَوْلِ النَّبْتِ الجِنَانِ القُلْبِ
 مِنْ اليَاقوتِ غَيْرَ مُنْقَبِ
 مَا كَانَ مِنْهُ فِي أَغْرَ مَهْدَبِ
 فِيهِ فَاحْسَنَ مُغْرِبٌ فِي مُغْرِبِ
 حَقٌّ فَلَمَّ أَنْتُمْ وَلَمْ أَتَحَوَّبِ
 عَنِّي لَهُ صِدْقُ المِقَالَةِ أَكْذَبِ

شرح المفردات والمعاني:

(١) العقيق: موضع بعينه، وأجاز بعض أصحاب المعاني أن يكون العقيق السيوف. الأطراف: الغدوات والأسحار والأصال.

ما أحسن أيام العقيق وما أطيبها وما أحسن العيش الذي في أصالهن وأسحارهن وغدواتهن زمن عزهن وأيام سعدهن حينما كانت عامرة بالحبيبة.

(٢) المصيف: المكان يسكن زمن الصيف، معطوفة على العيش، الصيب: الممطر كثيرا. المها: بقر الوحش. السرب: الجماعة.

وما أحسن مصيفهنّ وربيعهنّ الذين يستظلّ في ظلّهما ويرتّع في مرابعها الخصبّة قطعُ بقرة الوحش.

(٣) اللوى والشرب: اسمان لموضعين.

أتعجب من تلك الليالي السعيدة التي كنت أجتمع فيها مع حبيبي في مواضع بين اللوى والشرب، وأذكرها في نفسي ولا أنساها أبداً.

(٤) أعلقتُ: ربطت، أخذتُ.

قالت، وأنا جعلت كقها في كفي: هذا ما أحللت لك من نفسي، وليس كل حلال بطيب.

(٥) نعمتُ: من تلك الحبيبة كالشمس في حسن وجهها ونوره، إلا أنها إذا حجبت خرق نور وجهها الحجاب فبدت من بدنها، والشمس بخلاف ذلك.

(٦) رنا يرنو: أدام النظر بسحر العين. الربيعي: الذي يولد في أول النتائج. الربيب: قطع بقرة الوحش.

إذا نظرت المحبوبة إليك حسبتها غزالاً في أول النتائج لحسن عنقها وجيدها، وخلصتها من قطع بقرة الوحش، وذلك لشبهه في طول العنق وسعة العينين وسحرهما وجمالها الرائع.

(٧) هذه المذكورة إذا نُسِبَتْ إلى أصلها علمت أنها إنسيّة، وإذا لم يعرف نسبها ظن أنها جنّية لحسنها. (وذلك أنهم كانوا إذا رأوا شيئاً يروق في الحسن نسبوه إلى الجن).

(٨) الخطوب: الأمور الجسام والحوادث العظام. غلوانها: يعني زيادتها وشدتها. عمرين طوق: هذا هو الممدوح، هو الغرض المهم بالقصيدة. وما قبله من الأبيات ديباجة في الغزل والتشبيب.

عمرين طوق هو الذي ذلّل الخطوب الجسام وكفّ زيادتها بقتل أعدائه، وهو ضياء أهل المغرب ونجمهم بلا منازع.

(٩) الوشيح: يعني التفاف القراة واتصالها. العرق: أصل كل شيء. ثري: نديّ مبلّل. المنصب: هنا الأصل. يوم الفخار: واقعة معروفة. شَبّه أصله بعروق الشجرة الراسخة في الأرض في الثبات والرسوخ.

إن أصله عريق في القدم وواضح الاتصال بعبضه ببعض، وكثير الكرم والجود.

(١٠) الحلي: ما تزين به النساء من الذهب والأحجار الكريمة. سُبِكَ: من سَبِكَ المعدن: أذابه وخلّصه من الخبث ثم أفرغته في قالب.

سبكت مكارم تغلب بن تغلب وشرفه من المعادن الذهبية التي تسبك منها حليّ النساء. يعني قبيلة تغلب هي أشرف القبائل عند العرب.

(١١) الغلس: ظلّمة آخر الليل. مناخ الأركب: محطّ الرجال الراكبين.

أجاب الشاعر لقوم جاءوا في آخر الليلة المظلمة قرب الصباح طالبين أبا حفص (عمر بن طوق)
الذي هو ملجأ ومحط الرجال المحتاجين:

(١٢) الجشعي: نسبة إلى جشم حيّ من تغلب. نُصب العين: الظاهر أمام العين.

الرجل الذي تطلبونه هو ذاك الكوكب الجشعي المضبي الذي أمام أعينكم، فاطلبوا منه حوائجكم
أيا كانت.

(١٣) الخضل: الندى الجواد يعني يعطي بغير حساب. عفوا: يعني بغير مسألة.

وهو الرجل الذي يعطي بغير حساب للجميع بغير مسألة ثم يعتذر عن عطائه كالمقصر، لأنه يستقل
عطائه مهما كان عظيما.

(١٤) مرخّب: الذي يقول مرحبا.

وهو يرخّب دائما الزائرين بوجه طلق، وبشره الذي يظهر في وجهه يطيب به نفس الزائر فيستغني
عن أن يقال له أهلا ومرحبا.

(١٥) المؤمل: المرتجي والمترقب. حطّ في أكنافه: نزل بفناؤه. المكلن: الذي كلت وثقلت راحلته. الملغب: الذي
أعياه السير، اللغوب الإعياء.

يصير المرتجي جوده إذا نزل في ساحته براحلته التي تعبت بسفرها. وتماهه في السطر التالي

(١٦) سلس اللبانة: يعني سهل الحاجة ومتيسرها. أصل اللبانة أن يطلب الرجل من الآخر لبنا، ثم
سمّيت كل حاجة لبانة. كثب المنى: جامع المطالب. ممتدّ ظلّ المطلب: أي باب الطلب واسع لديه
ومفتوح.

يكون مقضيّ الحاجة ومقرّب الرجاء في بابه وجامع الآمال وحاصلا كلّما يطلبُ مهما كان حاجته.

(١٧) فكاها: مزاح. السجع: اللين.

إن من طبعه وعاداته الجد والرزانة والوقار إلا أنه يمزجها بالفكاهة أحيانا فهو سمح الأخلاق أيضا
وإن من عين الحكمة وأصالة الرأي أن يمزج الجد باللعب.

(١٨) الصهباء: الخمر، تقطب: تمزج.

وهذا إيضاح لما سبقه، لا تصلح الشراسة إلا باللين، كما أن الخمر لا تصلح إلا بالمزج.

(١٩) وهو رجل ذو عزيمة وثبات في الأمر عندما يكون الأمر معقدا ومعضلا، فلا يلين الأمر الخطب إلا إذا
كان مصلحة ذا همة وعزيمة وثبات في الأمر.

(٢٠) العرف: العطاء والإحسان.

يخص قرابته بالود دون العطاء لأنهم غير محتاجين ، وعطاءه لمن لا نسب بينه وبينهم من الرجال الأباعد.

(٢١) عتاب بن سعد: هو أيضا من تغلب قبيلة الممدوح. المتقلب: المتغير والمتصرف
يمدح الشاعر عتاب بن زيد وقومه الذين هم أيضا من قبيلة تغلب ويجعلهم عقالا للدهر يكفّ
الزمان من تصرفاته المكروهة.

(٢٢) رهط: رهط الرجل قومه وأهله الأقربون.

يعتزّ بهؤلاء القوم الدليل الذي يبعد ناصره منه إذا استجار بهم. وهم إخوان من لا إخوان له
يواسونه ويتحملون المشاق عنه.

(٢٣) المنافس: المعاند. الضغن: الحقد والكراهية. الحصى : الحجارة الصغيرة. الأثلب: الحصى
المخلوط بالتراب. وكفى بالحصى والأثلب عن الخيبة والقنوط.

لا يتم منافس عمر بن طوق الذي يضم الحقد والكراهية له من إدراك رغبته منه إلا أن يجد
الخبية والقنوط.

(٢٤) قيّدت منه همّي: أوقفت همتي عليه ووضعت به كل أمالي ووقفت نفسي على خدمته. الحول:
المحتال في الأمور. الثبت الجنان: ثابت القلب وحازمه: القلب: الذي يقبّل الأمور ويحركها.
وضعت عليه همتي ووقفت على خدمته وهو المحتال في الأمور بدهاءه وحكمته وثابت القلب لا
يأخذه اضطراب النفس وكذا صار مقلب الأمور ومصرفها كيف يشاء.

(٢٥) الياقوت: الدرّ، وغير المثقّب من أفضل أنواع الدرّ.

يقول أبو تمام مفتخرا عن نفسه. قد مدحه جميع شعراء العرب حتى نفق المديح ببابه، أي حتى
قصر مدحهم من أن يتناول جميع صفاته إلا أنهم لم يبلغوا شأومديحي ، هذا الذي ما قلته فيه
هو اللؤلؤ الغير المثقّب.

(٢٦) أحسنُ المدائح ، المدائح المهذبة المصقولة بوصف بها عن ممدوح مهذب الأخلاق والعادات.

(٢٧) لما صار الممدوح غريب المكارم والأخلاق وفريدها، أتى الشاعر (يعني نفسه) في مدحه بغرائب
المعاني والأفكار. فصار هذا مدح البديع في البديع.

(٢٨) المتحوب: الذي ارتكب الإثم، الحوب الإثم.

لأجل ما كنت جامع المكرمات والفضائل عزمتُ على مدحك ونطقتُ فيك بكلام صادق، ولم أكن
فيه كاذبا ولا متصنعا.

٢٩) متى مدحت غيرك فضايق عليّ وصفه بالحق، استعملت الكذب في موضعه فأصير بذلك كاذبا في مدحه . وهذا لا يقع فيك أبدا.

Core Course VII

ARA 2 C 07 : MEDIEVAL ARABIC LITERATURE

Module I: General study

Features of Abbasid Prose: Maqamath, Rasa'el , Thouqeeath ,Ibn Al ameed, Abullah Ibn Al Muqafa, Jahid, Sahib Ibn Abad, Qadi Al fadil, Philosophy: Gazzali, Ibn Al Rusd, Al Kindi, Al Farabi, Ikhwan Al Safa Stories: kalila Vadimna, Alfu Laila Valaila. Quran & Hadith studies, Translation movement- Baithul Hikma.

Features of Abbasid Poetry: Gazal, Tardiyyath, Ikhvaniyyath, Vasfiyyath, Khamriyyath. Madhiyyath, Sufiyyath, Zuhdiyyath, Muvasahath, Zajl

Eminent Poets: Abu Nuwas, Abu tamam, Buhturi, Mutanabi, Abul Ala Al Mari,Abul Athahiya, Ibn Al Rumi, Basarbn Burd, Abu firas Al Hamadani, Abu Dulama, Ibn Rumi,Ibn Zaidun,Ibn Hani Al Undulsi.

Module II:

Major Refererene works: Al Kamil- Mubarad, Al Agani- Abul Faraj Al Asbahani, Al Mufaddaliyyath- Mufadal Al Dabi, Al Asmaiyyat- al Asmae, Al Iqdul Fareed – Ibn Abu Rabih,Al Fihrasth – Ibn Nadeem, Mujam Al Buldan- Yaquth Al Hamavi, Al Kithab – seebavaihi, Muruj Al Dahab- al Masudi, Kithab Al Hayavan , Kithab Al Bukhala, Al Bayan Va Al Thabyin.Al Badee- ibn Al muthaz, Asrar al Balaga, Dalail Al Ihjaz- Abd Al Qahir Al Jurjani,Jamharathu Asaar Al arab- Abu Yazid al Qurashi, Jamharath al Amthal al arab – Maidani, Al sir Va Al suara- Ibn Quthaiba, Twabaqathu Fuhuli Al Suara- ibn Sullam al Jumahi,Muqadima – Ibn Qaldun Development of Sciences in Medieval Period.

Module III: Detailed Study

Prose:

- مقدمة ابن خلدون (في فضل تاريخ العلم)
- مقامة الحريري (الحلوانية)
- مقامة بديع الزمان الهمداني (البغدادية)
- فصل في أجناس توقيعات الوزراء والسادة الكبراء - كتاب خاص الخاص، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١٩٩٤، ص: ١٣٤-١٣٩
- كتاب البخلاء – الجاحظ - قصة أهل البصرة مع المسجدين، دار المعارف، ط: ٧، ص: ١٩-٣٤

Module IV: Detailed Study

Poetry

- قصيدة أبي العلاء المعري – ألا في سبيل المجد من سقط الزند- ديوان أبي العلاء المعري، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٤٢ أبيات، ص: ٥٦
- قصيدة ابن زيدون – قافية النون، أضى التناثي، ٥١ أبيات، ديوان ابن زيدون، شرح الدكتور يوسف فرحت، ص: ٢٩٨
- المتنبي – الرأي قبل شجاعة، ٤٩ أبيات، ديوان المتنبي، مجلد ٤، ص: ١٧٦
- ابن الرومي – قصيدة مطلعها: "ومن نكبةٍ لاقيئُها بعد نكبةٍ"، من موقع أدب الموسوعة العالمية للشعر العربي.
- أبو تمام- قصيدة مطلعها: "أحسِنُ بآيَامِ العقيقِ وأطيبُ" - من موقع أدب الموسوعة العالمية للشعر العربي .

Model Question Paper
SECOND SEMESTER MA DEGREE (CUCSS) EXAMINATION
Arabic
ARA 2 C 07- Medieval Arabic Literature
(2019 Admission)

Time: 3 Hrs

(4x2=8 Weights)

Total Weightage: 30

ا. أجب عن أربعة من الأسئلة الآتية في فقرة موجزة:

١. ما المراد بالموشحات؟
٢. ما هي أهم الأسباب التي أدت الى نهضة الشعر في العصر العباسي؟
٣. أذكر الأعراض المستحدثة في الشعر العباسي؟
٤. ما هي ضروب النثر العباسي؟
٥. ماذا تعني بالمقامات؟
٦. ما هي أهم آثار الجاحظ؟
٧. لم يعرف المتنبي بشاعر الحكمة؟

(4x3=12 Weights)

ا. اشرح أربعة من الآتية بالتفصيل مع ذكر السياق:

٨. فيدعي تارة أنه من آل ساسان. ويعتزي مرة الى أقبال غسان. ويبرز طوراً في شعار الشعراء. ويلبس حيناً كبير الكبراء.....

٩. ثم ما فرغت من غدائي و غسل يدي حتى فقلت للعجوز: لم لا تطبخين لعيالنا في كل غداة نخالة فإن ماءها جلاء للصدر وقوتها غذاء وعصمة ثم تجففين بعد النخالة فتعود كما كانت

١٠. لعن الله الشيطان، وأبعد النسيان، أنسانيك طول العهد، واتصال البعد، فككيف حال أبيك؟
أشاب كعبيدي؟ أم شاب بعدي؟

١١. ولما رأيت الجهل في الناس فاشيا تجاهلت حتى قيل أني جاهل
فوا عجباً! كم يدعي الفضل ناقص ووأسفا! من يظري النقص فاضل

١٢. يا روضة طالما أجت لواحظنا ويدا، جلاه الصبا غضاً، ونسرنا
ويا حياة تملينا، بزهرتها، متى ضروبا، ولذات أفانينا

١٣. الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فاذا هما اجتماعاً لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان

١٤. أصل كبرد العصب نيظ الى ضعى عبق بريحان الرياض مطيب

وظلالهن المشرقات بخرد بيض كواعب غامضات الأعب

(2x5=10 Weights)

III. أكتب مقالة مفصلة عن اثنين من الآتية:

١٥. النثر العربي في العصر العباسي.

١٦. مساهمة ابن خلدون في مجال علم التاريخ.

١٧. النهضة العلمية في العصر العباسي.

١٨. الأغراض التقليدية والأغراض المستحدثة في الشعر العباسي.